في بريطانيا:
مؤسسات متقدمة
لتأصيل الوجود الاسلامي.

الأمّة
Al Ummah

اسلامية. شهرية. جامعة

العدد السابع والخمسون - السنة الخامسة - رمضان ١٤٠٥هـ أيار (مايو) ١٩٨٥م

شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ
أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ
مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ

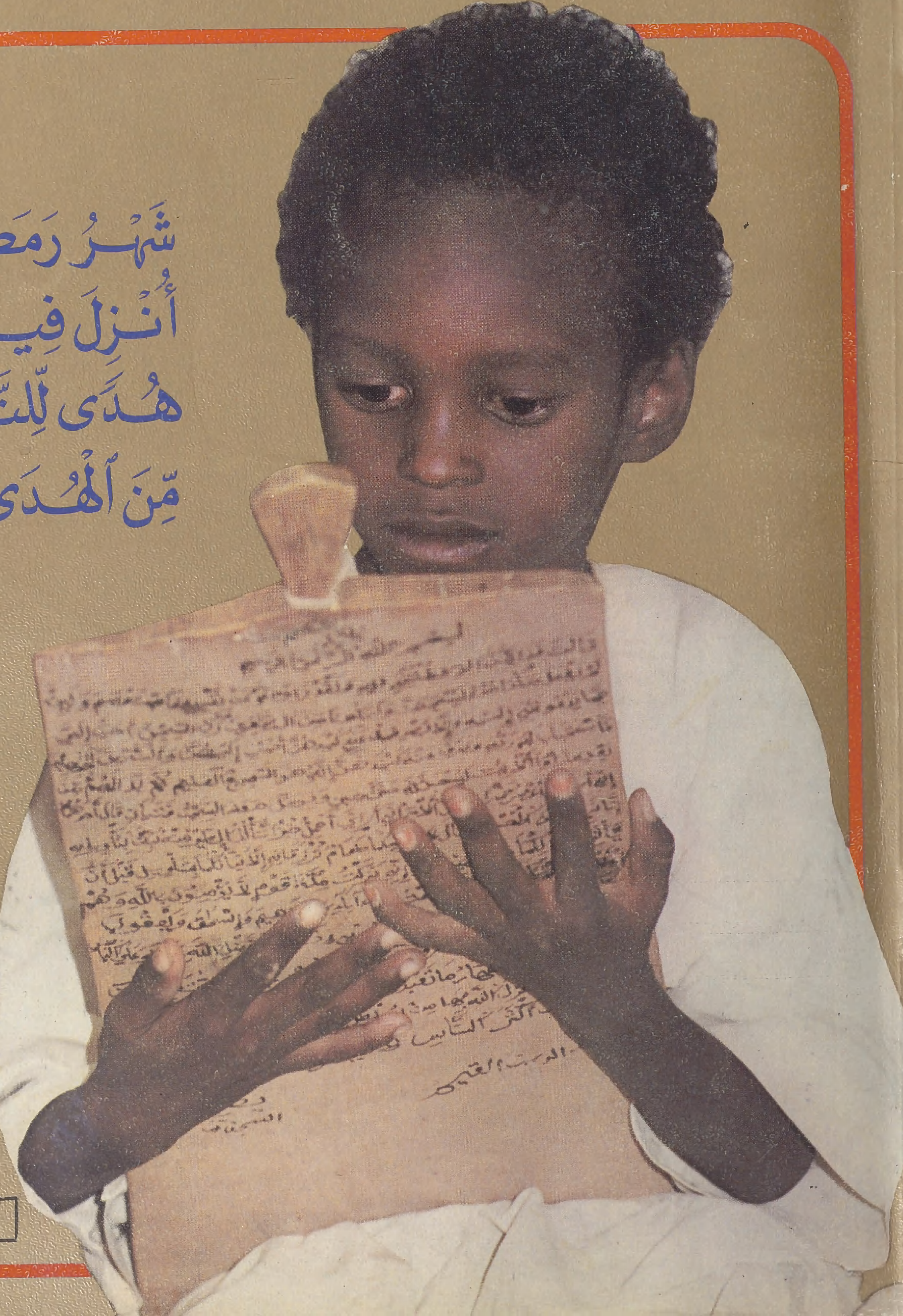

الهدية داخل العدد

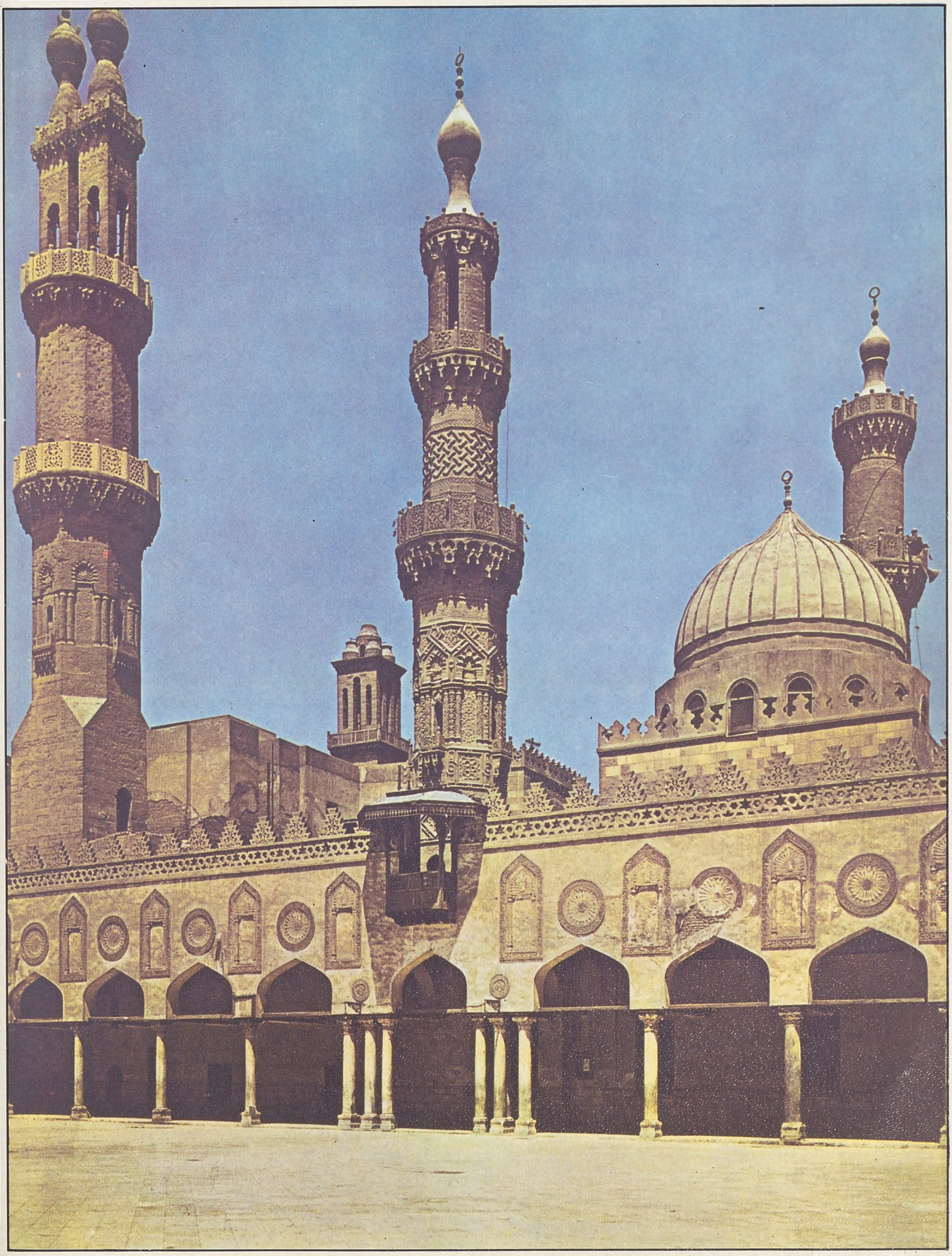

الجامع الأزهر - القاهرة ٩٧٠ - ٩٧٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

126659670

الأمة
Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

المشرف العام

عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود

President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير

يوسف عبدالرحمن المظفر

Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير

عمر عبيد حسنه

Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

من الحبر

مسلمون متطرفون!

■■ لا بد لنا من الاعتراف بان الإعلام المعادي للإسلام استطاع إلى حد بعيد ان يزرع مصطلح « التطرف » في عالم المسلمين ، ويجعل منه سلاحاً يشهر وقت اللزوم ، ويدمغ به كل مظهر او سلوك او توجه نحو الإسلام لشل حركة الدعوة إلى الله ومحاصرتها ، وتحنيط الدعاة وإقامة الحواجز النفسية بينهم وبين الناس ، وإشاعة جو من الرعب والتخويف من العمل الإسلامي ؛ إلى درجة استقر معها هذا المصطلح في شعور كثير من بسطاء المسلمين الذين سقطوا ضحايا الإعلام المضلّل ، واقتصر دورهم على قراءة ما يكتب لهم ويعرض عليهم فاصبحوا ينظرون بارتياب إلى كل من يدعو إلى الله دون الرغبة في مناقشة ما يدعو إليه وعرضه على ميزان الإسلام لمعرفة الحق من الباطل .

ولقد ساهم بحملة التضليل هذه بعض من علماء السوء وفقهاء السلطان الجائر عن سابق تصور وتصميم ، لانه جزء من المهام المنوطة بهم في مخطط حملة الكراهية ، كما أُسقط فيها بعض من العلماء عن حسن نيّة ظناً منهم ان القضية تقع ضمن مهمتهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ونحن هنا لا نريد الدفاع عن الخطا ولا حمايته ، ولا تكريسه في عالم المسلمين ، فشريعة الإسلام واضحة بيّنة ، وميزانه قائم إلى ان يرث الله الارض ومن عليها ، والرسول ﷺ يقول : « كل شيء ليس عليه امرنا فهو ردّ » لكن على طريق نشر الدعوة إلى الله ، والحكم على الأعمال والتصرفات لا بد من عملية التصنيف في المواجهة واتخاذ المواقف ، وممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ضوء رؤية واضحة ، فقد يكون هناك خطا من بعض العاملين للإسلام بسبب من رد فعل ، او ضغط موقف غير إسلامي ، او ضعف ثقافة وضآلة فقه ، فامر وقوع الخطا محتمل منذ فجر الدعوة ، والتصويب دائم منذ فجر الدعوة كذلك ، والرسول ﷺ قال للشباب الذين اخذوا انفسهم باكثر من الاعتدال : « من رغب عن سنتي فليس مني » لكن الخطورة كل الخطورة أن نسوي الخطا بالانحراف ، فهناك عاملون مخطئون ، وهناك اعداء منحرفون ديدنهم مطاردة الشباب المسلم ، وتضخيم اخطائهم ، والإغراء بهم لقتل روح الفاعلية الإسلامية في نفوسهم ، ولا شك ان الشباب المسلم انظف الناس سلوكاً ، واعلاهم اخلاقاً ، واكثرهم وطنية ، واشدهم على اعداء الدين والوطن ومواجهة الاستعمار . هم اجنحة الصحوة الإسلامية ، ورصيدها الدائم ، ومعينها الذي لا ينضب . هم المصلّون في المساجد ، القارئون لكتاب الله عزّ وجل ، حماة القيم ، وعدة السلم ، وعتاد الحرب ؛ وما اعظم اجر الشاب الذي ينشا في طاعة الله ...

وقد يكون بعض شبابنا وبعض شيوخنا ساهم ـ عن قصد او عن غير قصد ـ بتشويه صورة العاملين للإسلام حتى اتخذ منها الأعداء ادلة ووسائل إيضاح ، لكن ذلك لا يجوز بحال من الأحوال ان يجهض الصحوة ويبعثرها ، ويبدد طاقاتها ، ويجعل باسها بينها شديداً ... إن قضية التعصب والتطرف والتزمت ، وهذه القائمة من المصطلحات التي لا تنتهي ، هي الألغام التي زرعت على ارض الصحوة الإسلامية ، وهي إنما زرعت لتنفجر في كل سائر على الطريق ؛ إنها وسائل اعداء الإسلام المقنعة لمحاربة الإسلام ، والتي لا تتوقف عند حد ، فقد اصبح من التطرف اليوم ان يُسمى الإنسان باسم إسلامي ، وان يمارس لولده عملية الختان في بلغاريا ، وان يكون للشاب لحية اقتداء برسول الله ﷺ ؛ ومن التطرف ايضاً ان تلبس المراة اللباس الساتر ، في بعض الجامعات حتى لو بلغت علمياً ارقى المستويات ، ولسوف نبقى نوصم بالتطرف والتعصب طالما بقيت عندنا بقية من دين ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ■■

التحرير والإدارة

Editorial Offices & Administration

هاتف ـ (بدالة)	: ٤٦٦٢٢٢
رئيس التحرير	: ٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	: ٤٤١٨٣٠
القسم الفني	: ٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	: ٤٤٧٣٠٠
قسم التوزيع والاشتراكات	: ٤٦٦٢٨٥
تلكس	: ٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	: الأمة الدوحة
ص . ب	: ٨٩٣ الدوحة ـ قطر

Tel.: (PABX) 466222	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Distribution and Subscribers Dept.	466285
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA

Mailing Address:
P. O. Box 893 DOHA QATAR

ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة ـ قطر

صورة الغلاف

■■ القرآن كان ولا يزال من أكبر النعم التي امتنَّ الله بها على عباده المسلمين . يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي نقل بالتواتر فهو يقيني قطعي الثبوت ، منذ اللحظات الأولى لنزوله دوَّن آياته كتَّاب الوحي واستظهرها الحفظة ، ولا يزال ينتقل من جيل إلى جيل كتابة ومشافهة في السطور وفي الصدور مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ تشكَّلت من خلاله أمَّة كانت خير أمَّة أُخرجت للناس . ■■

الغلاف بعدسة : كمال الدين جعفر

الإخراج الفني مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفراد

- في قطر ٣٠ ريالاً قطرياً .
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالاً قطرياً او ١١ دولاراً امريكيا او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكيا أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر ٧٥ ريالاً قطرياً
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٨٠ ريالاً قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
»	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤٠ العين
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
»	□ » » »	الدمام
عمان	□ مؤسسة ناصر علي ناصر المفرجي للتجارة	ص . ب ٢٧٦١٥ بهلاء سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
»	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج - تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد - الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت - لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ — ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.
امريكا	ALMIHGER	408-B LOCUST STREET COLUMBIA, MO 65203, USA

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الامريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــــــة الأمــــــــــــــة ٤
● (قضيــــة للمناقشــــة) :
أين الخلل ؟ إلى الأمل والعمل .... الدكتور يوسف القرضاوي ٨
● فضل الدعاء .... فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود ١٤
● الردع الإسلامي في غزوتي بدر والفتح ....
.... اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ ١٨
● حديقــــة الأمــــة ٢٢
● أمتن برهـــــان على حفظ شرع الرحمـــن ....
.... أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ٢٤
● رمضــان شهر القرآن والذكريات .... سعد صادق محمد ٢٨
● وان تصوموا خيرلكم .... محمد رجاء حنفي عبدالمتجلي ٣٢
● (الأســــرة المسلمــــة) :
سـلاماً أمـــاه .... أمة الله الودود ٣٦
● يا رمضـــان (شعـــر) .... محمد السيد الداودي ٣٩
● (اســــتطلاع) :
في بريطانيا مؤسسات متقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي ٤٠
● أثر الإسلام في انتشار العربية .... الدكتور سعد أبو الرضا ٤٦
● تصريحـــــات وأقــــوال ٤٨
● حـــول تعـــريب الطـــب .... الدكتورة نحـلاوي ٤٩
● تأملات حول مأساة الدول النامية في عــالم غيرمتوازن ....
.... الدكتور محمد محمود المرسي ٥٠
● مكتبـــــة الأمـــــة ٥٤
● (العلــم والحيـــاة) ٥٦
● من مذكرات طفــل فلسطيني .... مجدي عبد الغني خليفة ٦٠
● البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق [٢] ....
.... في حوار مع الدكتور جمال عطية ٦٣
● (نــــدوات ومؤتمــرات) :
الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين المعاصرين ....
.... الدكتور محمد سليم العوّا ٦٩
● تعقيب على : مجتمعنا الإسلامي إلى أين ؟ ....
.... الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي ٧٢
● أسباب الاستعمال غير الطبي للأدوية الدكتور غازي محمد الحاجم ٧٤
● المبــــارك (قصة قصيرة) .... أحمد العناني ٧٨
● بطاقـــــة مـــن قــــارىء ٨٠
● بريـــد الأمـــــــة ٨١
● بأقــــلام القـــــراء ٨٤
● شـؤون المسلمين في العــالم ٨٦
● مع الصحافــــة في العـــالم ٩٢
● مسابقة العدد الســابع والخمســين ،
وحل مسابقة العدد الخامس والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خواطــــر وأفكــار) :
جــلال التفصيل القــرآني .... محمد بدر الدين بن حسن ٩٦

تأملات في مأساة الدول الناميـــة

■ هل هنـــاك ازمة غذاء في العالم العربي ؟

تشير الإحصاءات إلى ازدياد درجة الاعتماد على الخارج في مجال الغذاء ، وتتراوح نسبة اعتماد الدول العربية في سد احتياجاتها الغذائية على الخارج ما بين ٥٥٪ ، ٩٠٪ من إجمالي حاجاتها الغذائية .

الوطن العربي كله يستورد القمح ، فقد بلغت واردات البلاد العربية من القمح عام ١٩٦٠م حوالي (٢ر٨) مليون طن تضاعفت إلى (٢ر١١) مليون طن عام ١٩٧٦م ثم قفز الرقم إلى (٧ر١٣) مليون طن عام ١٩٧٩م أي ما يعادل ١٧٪ من القمح المتوفر للتصدير في العالم أجمع ، وسيصبح العجز حوالي (١٩) مليون طن عام ٢٠٠٠م .

وتشير الإحصاءات إلى أن إمكانية الزراعة متوافرة في العالم العربي ؛ فهناك مساحات شاسعة صالحة للزراعة تبلغ ٢٢٪ من المساحة الإجمالية من الأرض العربية بينما لا تتعدى نسبة الأرض المزروعة فعلاً ٤٪ فقط .... (ص : ٥٠) ■

أيـن الخـلـل ؟

■ إن شئنا الصراحة قلنا : إنه الخلل في داخل كل منّا ، في أنفسنا التي بين جنوبنا ، في حبنا لذواتنا ، وطوافنا حولها كما يطوف الوثني بوثنه ، في محاولتنا تبرئة أنفسنا واتهام غيرنا وإلقاء التبعة على كل أحد سوانا ، يرى كل منّا القذى في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عينه .

أجل ، الخلل في كل منّا ، فهو يطلب من المسلمين أن يعملوا وهو فارغ ، وأن يجاهدوا وهو قاعد ، وأن يبذلوا وهو شحيح ، وأن يضحوا وهو متفرج .

بهذه الكلمات يختتم الدكتور يوسف القرضاوي الحلقة الأخيرة من مشاركته في الموضوع الذي طرحته « الأمة » في سنتها الخامسة « قضية للمناقشة » (ص : ٨) ■

الردع الإسلامي في غزوتي بـدر والفتح

■ لقد كان الإسلام حريصاً على أن يزوّد المسلمين بأقوى الدوافع النفسية التي تملأ نفوسهم حمية واستبسالاً ، فكانت هذه الدوافع الصادقة « تحارب » إلى جانب أصحابها كما يحارب الجندي إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان حساب المسلمين في موازين القوى حساباً خاصاً لا يتسامى إليه غيرهم .. كان حساب المجاهد في الحرب مقدراً بما في قلبه من إيمان وعقيدة ، وبما في نفسه من مبادىء يحارب عنها وأسباب تدعوه إلى خوض الحرب ، يقول تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ .... (ص : ١٧) ■

كلمة الأمة

رمضان

□□ الموقع الذي يستأثر به شهر رمضان المبارك من نفوس المسلمين، سواء على مستوى صقل ذواتهم وتصفية نفوسهم وإعادة صياغتها وفق المنهاج الرباني، أو على مستوى تزويدها بطاقات تضمن لها القدرة على متابعة رحلة الجهاد الذي أمضاه الله تعالى إلى يوم القيامة، والإعداد له حيث لا يمكن لطبقة المهازيل الذين لم يتربوا في مدرسة الصوم أن يقوموا بهذه الأعباء، كما أن حمل رسالة النبوة وإبلاغها والشهادة على الناس يتطلب قدراً كبيراً من الاستعداد النفسي، والتمرس على الصبر، والتدرب على الاحتساب، وامتلاك خصائص خُلُقية، الإنسانية بأمسّ الحاجة إليها اليوم، هذا العطاء الدائم المتجدد على مستوى التربية الفردية حيث تنتصر دوافع الخير على نوازع الشر في إطار الذات التي تشكل محور كل تغيير، وأمل كل إصلاح. □□

وأما على مستوى العطاء الحضاري الإنساني، فشهر رمضان كان وعاء المبادىء التي شكلت منعطفات كبيرة في مسيرة البشرية بما أصّلت من قيم الحق والخير والمساواة، وأوقفت تسلط الإنسان على الإنسان، ونسخت الألوهيات التي استذلت البشرية وعَبَّدَتها لغير الله، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة: ١٨٥) وفوق هذا وذاك، ففي رمضان من كل عام تجديد لذاكرة المسلمين تجاه رسالتهم، واستشعار مسؤوليتهم، وقراءة متجددة ومدارسة يومية لقرآنهم، واستيقاظ معاني البر والتكافل الاجتماعي التي تعيد تماسك مجتمعهم، إلى جانب المعالم الكبرى التي رسمها وحققتها الانتصارات الإسلامية، أو المعارك الإسلامية التي كانت نقاط التحول في التاريخ البشري...

ففي رمضان يعيش المسلم مناخ غزوة بدر الكبرى، وما حققه البدريون للدعوة الإسلامية، ويستمع إلى نداء دعاء الرسول ﷺ التاريخي: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض، اللهم نصرك الذي وعدت» وتتجدد عزيمته وقدرته على الصمود والصبر ومواجهة قوى الشر التي مهما اشتدت فلن تخيفه عندما يطّلع على خبر بدر ويقرأ قوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٩) ويجدد عهده مع الله تعالى على السير مقتفياً أثر هذا الجيل الفريد الذي تربّى على عين الله تعالى وتسديد نبيه ﷺ، فكان ركيزة الإسلام الأولى التي لا يعدل عملها عمل «لعلَّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

أمّا الإعداد والاستعداد لمعركة بدر الكبرى والتخطيط لها من خلال الإمكانات المتاحة والتشاور حولها، وتغيير المواقع على ضوء ما ظهر من مصلحة للمسلمين فأمر يدعو المسلمين اليوم إلى مراجعة الحسابات كلها والعودة إلى التعرف على عوامل النصر المعنوية والمادية، وشروطه الفنية، والسنن التي تحكمه والتي أخضع الله عز وجل لها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كمحاولة لتصويب المعادلة وتحصيل جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧) ذلك أن مسلم اليوم يطلب حصول الإجابة وينسى الفعل الذي هو الشرط الذي لا تتحصل الإجابة بدونه، إنه يكتفي بالانفعال عن الفعل، وبالقول عن العمل...

وبعد انتهاء المعركة التي كانت معركة فرقان بحق، داخَلَ بعض النفوس ـ والصحابة بشر من البشر ـ أن الانتصار إنما كان بجهدهم وتدبيرهم وفعلهم، وكان هذا بسبب من نشوة النصر والظفر التي قد تكون أحوج إلى التربية والترشيد حتى لا تخرج بصاحبها عن مقتضيات الإيمان، وتشكل معالم هادية على طريق الأمة المسلمة بعد توقف الوحي فجاء قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى... ﴾ (الأنفال: ١٧) هذا بالنسبة لمعركة الفرقان وبعض من أجوائها، أما معركة الفتح التي حققت النقلة العريضة من دولة المدينة المنورة إلى دولة الجزيرة العربية، حيث دخل

والعطاء المتجدد

الرسول ﷺ مكّة ، ويكاد وجهه يلامس راحلته خضوعاً وشكراً لله تعالى ، وما تلا ذلك من معارك وفتوح وانتصارات خرجت بالمسلمين إلى المستوى العالمي ، وكان وعاؤها شهر رمضان المبارك الذي يعيدها إلينا أو يعيدنا إليها في كل عام نستمد منها عوامل البقاء والنهوض فحديثها يطول ... ولا شك أن أهم الانتصارات وأكبرها وأكثرها استمراراً إنما هو نزول القرآن الكريم الذي كان جماع الخير كله ، فهل يأخذ رمضان بُعده عند مسلمي اليوم فيجدد إيمانهم ، ويوقف جنوحهم ، ويعيدهم إلى قرآنهم الذي فيه ذكرهم ؟! يقول تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٠) .

والحقيقة التي لا بد من التذكير بها دائماً ـ وقد يكون التذكير بها في شهر الصيام آكد ـ والتي يمكن أن تغيب عن ساحة الاهتمام والعمل في حماة الحياة المادية وممارساتها اليومية وضغوط الحياة من حولنا ، هي : غياب البعد الإيماني ، وانحسار عالم الغيب شيئاً فشيئاً عن تنظيم حياتنا وحكم علاقاتنا ؛ وقد يعزو بعض الناس ـ نتيجة لبعض الصور المحزنة ـ سبب تخلفنا والكثير من عجزنا إلى إيماننا بأمور غيبية وقوىً خارقة نكتفي نحن بالشكوى والتضرع إليها ، وبذلك نعفي انفسنا من العمل ونطلب إليها أن تنوب عنا في إحداث التغيير ، وتحقيق الأماني والأحلام ... ونحب أن نوضح هنا أن المشكلة ليست إيماننا بأمور غيبية ، وإنما المشكلة كلها إنما هي بسبب الضعف والبرود والذبول الذي انتاب إيمان المسلمين بالغيب ، وهم الذين جعل الله تعالى من ميزاتهم : الإيمان بالغيب . ذلك أن استحضار هذا البعد هو الذي ينظم الحياة ويعطيها طعماً ومذاقاً خاصاً ، ويجعلها ذات هدف وحكمة ومعنى ، ويدفع الإنسان إلى استفراغ جهده للقيام بأمانة الاستخلاف التي سوف يُسأل عنها ، والتي تخلص حياة الناس من العبثية والعدمية وافتقاد الهدف والغاية من الفعل ... إنَّ بعض الصور المشوهة التي نراها عند بعض مسلمي اليوم ، من ادعاء الإيمان بعالم الغيب ، واستحكام العطالة في عالم الشهادة ، وتوقف الفاعلية ضرب من المرض والخبال ، والتفسير المعوّج الذي ترافق وانبثق من مناخ التخلف نفسه .

ولعلَّ في شهر رمضان الذي تتمحص عبادة الصوم فيه لتأكيد وإيقاظ البعد الإيماني الغيبي ، المعين الذي لا ينضب ، فـ « كل عمل ابن آدم له إلّا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه لأجلي ... » [رواه مسلم] ، إنه يحقق لنا أعلى درجات الاحتساب ، وأرقى حالات البعد عن الرياء والسمعة ، إنه الإيمان الذي يُحدث الفعل ويُشْعر بالمسؤولية ، ويحض على أداء الأمانة ... ذلك أن معظم انتصارات هذه الأمة التي تعتبر أعلى انواع الأعمال وأرقاها إنما حدثت في هذا الشهر الكريم الذي يؤصِّل للإيمان بالغيب ويدرب عليه ، ابتداءً من تحقيق الانتصار على مستوى الذات وتخليصها من نوازع الشر ، وانتهاءً بتحقيق الانتصار للمعاني الكبيرة على مستوى الأمة والإنسانية .

ولسنا الآن بسبيل الاستقصاء للمعاني الكبيرة التي يحملها إلينا شهر الصيام ، ولا الحديث عن الانتصارات التي حققها المسلمون ، ولأمر يريده الله عزَّ وجل كان معظمها في رمضان ، وإنما إلى إضاءات سريعة نقدمها بين يدي هذا الشهر العظيم ، وقد نكون الآن بحاجة أكثر من أي وقت مضى ـ وقد تكالب علينا الأعداء من كل جانب ، وتكررت هزائمنا وانكساراتنا ، ولا يزال الإصرار على تنحية الإسلام وإبعاده عن الساحة قائماً ـ إلى استقراء المعارك الرمضانية التي خاضتها الأمة المسلمة ، وهي على حال تشبه إلى حد بعيد الظروف التي تعاني منها اليوم ؛ ففي مناخ السقوط والتخلف والهزيمة التي نعاني منه اليوم لا بد من عملية المواجهة ، من التأصيل الثقافي والتحصين التربوي ، والتركيز على عوامل النهوض ، وانتقاء الفترات التاريخية المشابهة ، والتأكيد على المعاني الخالدة التي حملت الأمة إلى مواقع النصر ، ودراسة دعوة الرواد الذين جدَّدوا للأمة امر دينها ، وأعادوا إليها الفاعلية ، ونهضوا بها من ضعف ... واستشارة التاريخ واستحضاره هنا لا تشكل مهرباً من الواقع ولا ابتعاداً عن المعاصرة بقدر ما تحقق من عبرة ودرس ،

رمضان

وتمنح من حرية وفرصة قد لا تكون متوفرة في مناخ التخلف والهزائم التي تحاول أن تطبع كل شيء بطابعها، وتفسر كل عمل بتفسيرها، وتعجز عن تجاوز ذلك ولا تسمح به للقادرين عليه؛ إن الكلام عن المعارك التاريخية يعطي قدراً من الحرية التي تكاد تكون مفقودة، وإن الاحتماء بالتاريخ يعتبر ظاهرة طبيعية للتخلص من القمع النفسي الذي يعيش بداخل إنسان الهزيمة والتخلف، ذلك أن الهزائم التي قطّعت أوصال الأمة وقضت على فروعها تدعو بالضرورة إلى العودة إلى الجذور والأصول التي لا يجدها الإنسان إلَّا في التراث والتاريخ، هذا إلى جانب أن المعارك التاريخية استقرت حقائقها واتضحت أسبابها، ولعلَّ العصر الذي عايشه الإمام العامل المجاهد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، والانتصارات التي حققها على مستوى تنقية عالم أفكارها ومواجهة أعدائها من التتار ـ بعد أن كاد إعصارهم يعصف بالمسلمين ـ أنموذج لا يستغنى عنه في هذا المجال؛ وقد يكون من الأمور الهامة أن نذكر بأن الإمام المجاهد ابن تيمية رحمه الله كان أنموذجاً متجدداً للعطاء الإسلامي، لالتقاء السيف والقلم واقتران العلم بالجهاد في شخصية المسلم؛ فالأرض الإسلامية كانت مهيأة من الناحية النفسية والسياسية والفكرية والعسكرية للسقوط في قبضة التتار، حيث كانت آفاتها النفسية، وعللها الفكرية، وانقسامها السياسي المقدمة التي لا بد منها للإعصار، وكان الإعصار التتاري أحد الأعاصير الكبيرة المدمِّرة التي استهدفت الأمة الإسلامية لاقتلاع كيانها والقضاء عليها ...

في هذه الظروف الصعبة وهذا المناخ الهازم المنهزم الذي فقد فيه الناس أي أمل في النصر ولد ابن تيمية رحمه الله بعد تدمير بغداد بخمس سنوات ودخول التتار حلب ودمشق بثلاث سنوات، ورأى آثار الدمار لهذه المدن الإسلامية، وسمع قصة مذابح المسلمين وصدى حكايات الفظائع الوحشية التي مارسها التتار في كل مكان، حتى إنَّ بلده حرّان لم تنج من فظائعهم، وكانت سنه سبع سنين عندما هاجرت أسرته إلى دمشق، يروي قاضي القضاة، أبو العبَّاس، عن مقابلة الشيخ الإمام ابن تيمية رحمه الله لقازان ـ طاغية التتار ـ فيقول: «إنهم لمَّا حضروا مجلس قازان، قُدِّم لهم الطعام فأكلوا منه إلَّا ابن تيمية، فقيل: لِمَ لا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس، طبختموه بما قطعتم من أشجارهم؟.. ونحن نجمع ثيابنا خوفاً من أن يُقتل فنطرطش بدمه ـ وكأنَّ المشكلة بالنسبة لهم هي في حكم إصابة ثيابهم بدمه رحمه الله، أمَّا ما تعانيه البلاد والعباد فليس بمشكلة، هذه العقلية، وهذا الفقه الذي كان عليه الناس في ظل التتار والتمكين لهم ـ ثم لمَّا خرجنا، قلت له: كدت تهلكنا معك، ونحن ما نصحبك من هنا؛ فقال: وأنا لا أصحبكم».

هذه صورة للواقع النفسي والعملي الذي كان سائداً، ومن هنا كانت مهمة ابن تيمية رحمه الله هي إعادة الثقة الإسلامية إلى النفوس، وتطهير الأفكار مما لحق بها من التشويه والتواكل والابتداع الذي كان سبباً في هذه المصائب كلها، ويبين المواجهة للعدو الماحق الذي يستهدف كيان الأمة، وينتهك أعراضها وحرماتها، فالجهاد المطلوب إليه إسلامياً كان في أكثر من موقع ...

أمَّا عن وحشية التتار في دمشق، فعلى الرغم من حصول أهلها على وثيقة الأمن من سلطان التتار، إلَّا أن التتار كانوا مستمرين في السلب والنهب، ونقض القانون، والوحشية في نواحي دمشق وضواحيها، وغلت الأسعار غلاءً فاحشاً أزعج الناس، ومما زاد في هلعهم أن التتار طلبوا إليهم تسليم جميع ما عندهم من الخيول والسلاح والأموال المخبأة، وكانت سيطرة التتار قد تمت على البلد كلها إلَّا القلعة التي امتنع نائبها عن تسليمها إليهم أشد الامتناع بإشارة من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: «فإن الشيخ تقي الدين بن تيمية أرسل إلى نائب القلعة يقول له: لو لم يبق فيها إلَّا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت، وكان في ذلك مصلحة عظيمة لأهل الشام التي لا تزال دار إيمان وسنَّة».

والعطاء المتجدد

لقد سجن التتار عدداً كبيراً من المسلمين رجالاً ونساءً، واسترقّوهم، ففي محلة الصالحية وحدها قتلوا نحو أربعمائة،

واسروا نحواً من أربعة آلاف، وسَبَوْا كثيراً من الفتيات والفتيان من أسر شريفة وبيوتات فضل وعلم، واستباحوا حرمات المسلمين بشكل عام، ونهبت كتب كثيرة من المكتبات الخاصة ومكتبات الوقف وبيعت بأبخس الأثمان... وقعد الناس في بيوتهم خوفاً من أن يؤخذوا بالسخرة، كما يقول ابن كثير رحمه الله، وكانت الطرقات لا يُرىٰ فيها أحد إلَّا القليل، والجامع لا يصلي فيه أحد إلَّا اليسير، ويوم الجمعة لا يتكامل فيه الصف الأول وما بعده إلَّا بجهد جهيد، ومن خرج من منزله في ضرورة يخرج بثياب زيهم ثم يعود سريعاً، ويظن أنه لا يعود إلى أهله،

وحاول بعض الناس الكلام في حكم قتال التتار، ومن أي قبيل هم، فإنهم يُظْهِرون الإسلام، وليسوا بغاة على الإمام؟! فكان ابن تيمية رحمه الله يقول للناس: «إذا رأيتموني في صف التتار موالياً لهم وعلى رأسي مصحف فاقتلوني» فتشجع الناس وقويت قلوبهم ونيَّاتهم.

والكلام عن أفعال التتار رهيب رعيب، وما أصاب الناس من الخوف والهون عجيب غريب، ولا يهمنا هنا الاستقصاء لما فعل التتار في بلاد الشام أو البلاد الإسلامية عامة، وإنما الذي يهمنا موقف شيخ الإسلام رحمه الله الذي نفخ في الأمة روح الإسلام من جديد، وأعاد إليها الفاعلية حتى حققت الانتصار على التتار في موقعة «شقحب» في شهر رمضان المبارك..

لقد احسَّ الشيخ رحمه الله بمسؤوليته أمام الله عن حماية دار الإسلام، واستشعر تبعته في تعبئة الجماهير المسلمة نفسياً وعسكرياً، وشاركها الحراسة على سور القلعة، ولم يترفع عنها، وكان في مقدمة المواجهين للظلم والظالمين، المحاربين لأصحاب البدع والأهواء بمنطقه القويم وفهمه لمنهج السلف، ولم ير أن يقتصر جهاده على ميدان واحد.

لقد رافق الجيش الإسلامي إلى منطقة «شقحب» القريبة من دمشق، وقاتل تحت راية جيش الشام، وكان يحلف للأمراء والناس «إنكم - والله - هذه الكرّة لمنصورون» فيقول له الأمراء: «قل: إن شاء الله» فيقول: «إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً» وكان يقول: «نحن مظلومون، والمظلوم منصور، ومن بغي عليه لينصرنه الله، ولذلك فإن النصر مؤكد، والفتح قريب، وإنَّ وعد الله كان مفعولاً».

وقد استحضر البعد الغيبي الإيماني بمفهومه وحقق فراسة المؤمن وفقه المجاهد في الميدان، ونبذ تحميل آيات الله تفسيرات عصور التخلف والهزيمة والانكسار النفسي، تلك التفسيرات التي تعفي من المسؤولية وتلقي بالتبعة على القدر والمشيئة كضرب من الجبرية الفكرية والسياسية المهزومة...

فإنَّ «إن شاء الله» كانت عنده مزيداً من الفاعلية والجهاد ليتحقق وعد الله باتخاذ الأسباب «أقول إن شاء الله تحقيقاً» وليست مهرباً وملجأ نحتمي به من أخطائنا «إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً» إن ميزان الله عادل ولا يضيع عنده مثقال ذرة.

لقد كان يرىٰ بفقهه العظيم وفهمه السديد وعودَ الله متحققة للمؤمنين المظلومين دون أن يداخله أدنىٰ شك في ذلك، إنها المقدمات والسنن التي لو أحسن المسلمون التعامل معها لتحصلت النتائج وتحققت الأهداف، يراها تماماً كقوانين الرياضيات والفيزياء والمنطق فتمتلىء نفسه بالإيجابية والعمل.

فما أحوج مسلم اليوم إلى هذا الفهم «التيمي» إن صح التعبير، وما أجدرنا أن نذكر ونذكِّر بتاريخنا وتراثنا ليكون لنا دليلاً هادياً دافعاً للنهوض، لا قيداً مانعاً من الحركة وداعياً إلى الجمود، وما أحوجنا دائماً إلى عطاء رمضان، ذلك العطاء الخالد المستمد من منهل الكتاب الخالد الذي أنزل فيه، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ ولله الأمر من قبل ومن بعد...

أين الخلل؟

قضية للمناقشة

إلى الأمل والعمل

الحلقة الثالثة

بقلم : د. يوسف القرضاوي

■■ ما ذكرناه عن الأمة الإسلامية أولاً ، وعن الحركة الإسلامية ثانياً ، لا يعني ـ كما يصور بعض المتطيرين أو بعض ذوي الغرض ـ أن الأمل مفقود ، وأن الطريق مسدود .

فثمت دلائل كثيرة تبشر بالخير ، على مستوى الأمة ، وعلى مستوى الحركة . وإجماعنا على أن هناك خللاً يجب أن يُسد ، وقصوراً يجب أن يُتلافى ، والبحث عن هذا الخلل لتشخيصه ووصف العلاج له ... هذا كله من الظواهر الصحية المبشرة بغد أفضل ، فالوعي بجوانب النقص أول خطوات تحقيق الكمال . ■■

انصفوا الحركة الإسلامية

على أن أول خطوة في سبيل العلاج الصحيح أن ننصف الحركة الإسلامية ، التي ترنو إليها الأمة على أنها مناط الرجاء ، وهذا يحتم علينا أن نذكر ما لها ـ أو على الأقل بعض ما لها ـ من حسنات وثمرات ، كما ذكرنا ما عليها من مآخذ . وما لها من حسنات ليس هيناً ولا قليلاً .

وقبل ذلك ينبغي أن نذكر ما لها من عذر فيما قصَّرت فيه ، وما يعترضها من عقبات قد تعجز وحدها عن تذليلها .

المناخ الذي تعمل فيه الحركة الإسلامية

إن الحركة الإسلامية تعمل في مناخ لا تُحسد عليه ، مناخ لا يُسمح للإسلام فيه أن يقول كلمته بصراحة ، ولا أن يجمع أبناءه في حرية . وقد يؤذن لكل ذي نحلة أو مذهب أن يعبر عن نفسه إلا الإسلام ودعوة الإسلام .

الإسلام المسموح به هو الإسلام (الموجّه) ، الإسلام الحكومي ، أو الإسلام (المستانس) ، الذي جرِّد من كل سلاح من أسلحة القوة والحيوية .

في هذا الجو الخانق ـ جو القهر والاستبداد ـ تعمل الحركة الإسلامية . تعمل وأيدها مغلولة ، وأقدامها مقيدة ، تُشنُّ عليها الحرب من كل الجهات داخلية وخارجية ، وبكل الأسلحة : جسدية ونفسية ، فكرية وإعلامية ، اقتصادية وسياسية .

ولا تكاد تفيق من ضربة إلّا لتتلقى أخرى ، أو تقوم من محنة إلّا لتواجه بمحنة أقسى وأعتى ، حتى تكاد تنسي الآخرة مرارة الأولى على قسوتها ؛ وكادت تكون أيام المحن هي الأصل ، وأيام العافية هي الاستثناء ، وغدا أبناء الحركة يتمثلون بقول أبي الطيب :

فصرت إذا أصابتني سهام
تكسرت النصال على النصال

وقد أثبتت التجارب في أقطار إسلامية شتى ، وفي أزمنة مختلفة : أن الحركة الإسلامية إنما تنتعش وتزدهر في ظل الحرية ، هناك تتجاوب مع الفطر السليمة ، والعقول الراشدة ، فيهتدي على يديها الضالون ، ويزداد الذين اهتدوا هدى .

هناك ينتقل كثيرون من السلبية إلى الإيجابية ، من العزلة إلى المشاركة ، من التدين الفردي . إلى العمل الجماعي ... من قولة : نفسي نفسي ، إلى قولة : أمتي أمتي ... من شعار : دع الملك للمالك ، والخلق للخالق ! إلى شعار : أصلح نفسك وادعُ غيرك .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت : ٣٣) .

كما أثبتت الوقائع : أن الحركة الإسلامية إنما تنكمش وتضمر ، بل تذوي وتذبل ، حين يخنقها (غاز) القهر والاستبداد . وهو الذي تعانيه اليوم في جل أقطار الإسلام ، إن لم يكن في كلها .

الحركة باقية ماضية

ورغم هذه الظروف الصعبة التي تعمل في ظلها الحركة الإسلامية ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمته للأمة الإسلامية ، في بلاد العرب والمسلمين كافة ، على صعيد الفكر والشعور ، والسلوك والتربية ، والجهاد ، وخصوصاً بعد تمكن الاستعمار من أقطارهم ، وهدم الخلافة الناظمة لعقدهم ، وهيمنة الفكر الغربي على مثقفيهم ، ثم سيطرة الأنظمة

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

الوطنية العلمانية الاتجاه على أزمَّة الحكم والتوجيه لحياتهم . ولا يستطيع دارس منصف أن يزعم أن الحركة قد تجمدت أو شاخت ، فالحركة باقية ببقاء الإسلام الذي تستمد قوتها منه .

إن الحركة الإسلامية ـ إن اخفقت في إقامة الدولة الإسلامية المنشودة ـ فهذا لا يعني أن دورها قد انتهى .

والمراقبون الغربيون أنفسهم يدركون هذا ، ويعلمون أن المارد المحبوس في قمقمه يمكن في أي لحظة أن يفك الطلاسم ويبطل السحر ، ويخرج من أسره عملاقاً جباراً .

هكذا قال أحدهم قديماً ، وهو المستشرق المعروف (جب) الخبير بالإسلام وبالشرق ، في كتابه (إلى اين يتجه الإسلام) قال :

« إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بسرعة مذهلة تدعو إلى الدهشة ، فهي تنفجر انفجاراً مفاجئاً ، قبل ان يتبين المراقبون من اماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة في امرها . فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلَّا وجود الزعامة . لا ينقصها إلَّا ظهور (صلاح الدين) جديد » !!

وحديثاً قال مستشرق آخر هو : **(برنارد لويس)** في كتابه **(الغرب والشرق الأوسط)** فقد نقل عن **الدكتور نبيه امين فارس** ـ احد اعلام المؤرخين العرب المعاصرين ـ قوله عن **« الإخوان المسلمين »** :

« ... إن فكرتهم ومثاليتهم لا تزال تمثل اعمق مطامح المسلمين من المغرب إلى إندونيسيا » ، ثم قال لويس : « والشيء الواضح الوحيد هو ان من بين جميع الحركات الكبرى التي هزَّت الشرق الأوسط في آخر قرن ونصف كانت الحركات الإسلامية وحدها اصيلة في تمثيلها لمطامح اهل هذه المنطقة .

فالليبرالية والفاشية والوطنية والقومية والشيوعية والاشتراكية كلها اوروبية الاصل ، مُهما اقلمها وعدَّلها معتنقوها في الشرق الأوسط ، والمنظمات الإسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة ، وتعبر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة .

وبالرغم من ان كل الحركات الإسلامية قد هزمت حتى الآن ... غير انها لم تقل بعد كلمتها الأخيرة » اهـ .

بعض ثمار الحركة الإسلامية

على أن الحركة الإسلامية بشهادة الأنصار والأعداء ، قد حققت نجاحاً ملموساً في ميادين شتى لا يجحدها إلَّا مكابر .

(أ) لقد صححت الحركة المفاهيم الإسلامية التي شوهتها عصور الجمود ، أو عهود الاستعمار ، وطاردت الغزو الثقافي الذي خلا له الميدان في بعض المراحل ، واستعبد عقول كثير من المثقفين من أبناء أمتنا .

واغنت المكتبة الإسلامية بعدد غير قليل من الكتب والرسائل في مختلف جوانب الثقافة اللازمة للمسلم المعاصر ، حتى أثرت في عدد من الكتاب الذين كان ولاؤهم للفكر الغربي ، فاتجهوا بكتاباتهم إلى الإسلام ، وبذلك احدثت تياراً فكرياً ضخماً كان له أعمق الأثر في تغذية الاهتمام بإحياء التراث الإسلامي ، ونشره ، وتوجيه الدراسة إلى الموضوعات الإسلامية في الجامعات ، حتى المدنية منها .

(ب) اعادت الحركة لجماهير المسلمين الشعور بالذاتية الإسلامية ، وبالانتماء إلى خير امة أخرجت للناس ، وزرعت الأمل في قلوبهم بغدٍ مشرق للإسلام بعد يأس غذاه طول الهزائم والنكسات ، من جراء الغزو الخارجي ، والطغيان الداخلي . وحطمت الحركة الهالة التي قدمت بها الحضارة الغربية ، وجعلت منها صنماً يعبد ، وحررت نفس المسلم من الشعور بالدونية والهزيمة الروحية امام تلك الحضارة التي كاد سنا برقها يذهب بالأبصار ، ويخلب الألباب . وبخاصة انها جاءتنا وهي في أوج قوتها وتقدمها ، ونحن في حضيض ضعفنا وتخلفنا .

(جـ) انشأت الحركة جيلاً من المسلمين والمسلمات ، الملتزمين بالإسلام : اعتقاداً وتعبداً ، وفكراً وسلوكاً ، ودعوة وجهاداً ، ولا يزال هذا الجيل ينمو ويتكاثر يوماً بعد يوم في أنحاء شتى من ارض الأمة الإسلامية ، وهو جيل رباني الوجهة ، قرآني الخُلُق ، محمدي القدوة ، إسلامي الأفكار والمشاعر ، قدم الشهداء بعد الشهداء ، في ميادين الجهاد في سبيل الله ، ضد الاستعمار والصهيونية في الخارج ، وضد الطغيان و (اللادينية) في الداخل .

وهو جيل استعصى على التذويب ، برغم تتابع المحن القاهرة ، والتي استخدم فيها من أدوات التعذيب ، ووسائل القهر ما يذيب الحديد . عذبوا الأبدان ، وازهقوا الأرواح ، وجوَّعوا البطون ، وقهروا الأنفس ، ولم يزدهم ذلك إلَّا إيماناً وتسليماً .

(د) وكونت الحركة كذلك ـ وراء هذا الجيل الملتزم ـ رأياً عاماً إسلامياً ، يناصر الإسلام ويحب دعوته ، ويظهر الولاء لشريعته ، وينكر الإلحاد

أين الخلل؟ قضية للمناقشة

إلى الأمل والعمل

والإباحية والعلمانية . وقد ظهر ذلك في التنادي بتطبيق الشريعة الإسلامية ، وضرورة الرجوع إلى أحكامها ، والنص في كثير من الدساتير على انها المصدر الأول أو الرئيس للتشريع ، واستجابة بعض الحكام لصوت الجماهير المنادية بذلك بالفعل ، ولا تزال القاعدة الجماهيرية الموالية للإسلام ، المنكرة للعلمانية ، تتسع يوماً بعد يوم . حتى غدت الأحزاب السياسية العلمانية الأصل تتملقها وتلتمس رضاها في الانتخابات النيابية ، معلنة قبولها لحكم الشريعة ، والدعوة إليها !

(هـ) كما اسهمت الحركة الإسلامية باكبر نصيب في إيجاد ما اصطلح على تسميته بـ « الصحوة الإسلامية » المعاصرة ، التي شملت اعداداً لا تحصى من المثقفين من الفتية والفتيات ، في شتى اقطار العالم الإسلامي ، وخارج العالم الإسلامي ايضاً في اوروبا وامريكا والشرق الأقصى . وكان لها اثرها في الجهاد الإسلامي في افغانستان والفلبين وغيرهما .. **وفي إقامة البنوك والمؤسسات الاقتصادية الإسلامية .. وفي انتشار الكتاب الإسلامي حتى ضرب الرقم القياسي في سوق التوزيع .**

وكانت الحركة الإسلامية ـ بفكر علمائها ، وصبر دعاتها ، وصمود أبنائها ، وتضحيات شبابها وشيوخها ، وغنى تاريخها ـ هي التي هيأت لهذه الصحوة أن ترى النور ، وأن تبرز إلى حيز الوجود والتأثير .

فهي بحق صحوة فكر وعاطفة وسلوك ، كما لمسنا آثارها في بلاد الله الرحبة ؛ ولهذا ليس من العدل أن نقول : إن الحركة أخفقت في مهمتها ؛ فإن مهمتها ذات شُعب متعددة ، وكل فرد مسلم تكسبه الحركة وتنقله من حمأة الجاهلية الحديثة ، أو من صحراء التيه والضياع إلى دائرة الالتزام الفكري والخلقي للإسلام ؛ يُعدّ مكسباً ذا بال ، وتحقق به الحركة جزءاً من أهدافها ، كما يقربها من أهدافها الأخرى ، وفي الحديث الصحيح : **« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النِّعم »** .

مزيد من العمل والعطاء

ومع هذا ، فإن على الحركة الإسلامية أن تضاعف الجهد ، وتكثّف العطاء ، حتى تحقق الآمال المنوطة بها .

على الحركة ان تنتقل من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، وان تتحرر من تلك الآفة التي غدت ظاهرة عامة بيننا نحن المسلمين ، والتي غدت تعوق خطانا عن السير ، وهي : كثرة النواح على الماضي ، وقلة العمل للحاضر ، والنواح لا يحيي ما مات ، ولا يرد ما فات .

إن آفتنا كثرة الشاكين المتوجعين ، وقلة المداوين ؛ كثرة من يسبون الظلام ، وقلة من يوقدون الشموع .

اجل ، كثرت الشكوى وتكررت من الأدواء والمآسي ، حتى لم يعد هناك احد إلّا يشكو ، **فمن المشكوُ منه إذنْ ؟** كلنا شاكٍ وكلنا مشكو منه .

ولقد حدثوا ان واعظاً بليغاً وعظ الناس يوماً حتى بكوا من تاثير الموعظة ، ثم بحث عن كتابه فوجده قد سرق ، ونظر إلى الحاضرين ، عسى ان يلمح بينهم وجهاً تلوح عليه آثار الجريمة ، ولكنه وجد الجميع يبكون ، فقال لهم : كلكم يبكي ، فمن سرق الكتاب ؟!.

والحركة الإسلامية يلزمها ان تنتقل من دائرة الشكوى ولوم الزمان إلى دائرة العمل ، والعمل المتواصل الدؤوب : العمل على مستوى الإسلام ، ومستوى العصر ، ومستوى ما يعمل الآخرون لاديانهم ؛ العمل للحاضر ، والعمل للمستقبل ؛ العمل لإقامة البناء ، والعمل لحمايته من معاول الهدم .

ولا يعفينا من حساب الله ، ولا من لوم الناس ، ولا من سؤال التاريخ ، ولا من تانيب الضمير ، ان نقول : إننا كنّا ضحية لمخططات جهنمية دبرتها القوى المعادية للإسلام في الخارج ، ونفذها عملاؤها في الداخل ! **فإلى متى نظل حقل تجارب لخطط الأعداء ؟ وإلى متى نشكوا من تخطيط غيرنا ضدنا ، ولا نخطط نحن لانفسنا ؟ لماذا لا نقابل تخطيطهم بتخطيط بنّاء مضاد ؟ ولا يفل الحديد إلّا الحديد .**

العمل لكسب النخبة والجماهير معاً

ولا بد للحركة الإسلامية أن تعمل بجد للوصول إلى قلب **(النخبة والجماهير)** وإزالة ذلك السور الذي ضرب بين الحركة وبين عدد كبير من **(النخبة)** أي : المثقفين من جهة ، وبينها وبين عدد كبير من الجماهير من جهة أخرى .

فالنخبة من المثقفين قد غزاهم ـ أو غزا كثيراً منهم ـ الفكرُ الدخيل ، فأثر في أفكارهم ومفاهيمهم ، كما اثر في مشاعرهم وولائهم ، فهم لا يفهمون الإسلام إلّا كما يفهم الغربي النصرانية ، وهم يسقطون على الإسلام ما أسقطه الغربيون على نصرانيتهم . **فهم يفترضون عداوة موهومة بين الإسلام والعلم ، ومناقضة بين الشريعة والتطور ، ويرون أن مكان الدين في ضمير الفرد ، او تحت سقف المسجد لا يتعداه ، وهم يتخذون من التراث موقفاً عدائياً** ، على حين يقدسون كل ما جاء من الغرب ويضمرون الولاء له ، والتقدير لرجاله ، ويجعلون منه موئلاً وإماماً .

ولا بد للحركة الإسلامية بكل مدارسها وجماعاتها وشخصياتها أن تبذل جهداً أكبر مع النخبة المثقفة ، وأن تخاطبها بلسانها لتبين لها ، وأن تتعرف على ما لديها من شبهات لترد عليها بالعلم لا بالاتهام ، أو من استفسارات لتجيب عنها ، وأن يقوم حوار علمي هادىء ممتد بينها وبينهم ، ولا ريب أن تغيراً كبيراً قد حدث بين المثقفين ، وتغيرت مفاهيم الكثيرين منهم مما لقنه لهم **« الغزو الفكري »** ، وانضم كثيرون كذلك لركب العمل الإسلامي .

والجماهير التي قامت الحركة أساساً لتنهض بهم ، وتأخذ بأيديهم ، وتعلم جاهلهم ، وتنصف مظلومهم ، قد استطاع الخصوم الدهاة المدربون أن يخوفوا أعداداً منها من الحركة ، وينفروهم منها ، وينشروا من الأكاذيب حولها ما يزهدهم فيها ، أو على الأقل

■ إنَّ آفتنا كثرة الشاكين والمتوجعين وقلة المداوين .. كثرة من يسبون الظلام وقلة من يوقدون الشموع . ■

■ حركة الدعوة الإسلامية هي الوحيدة التي تنبع من تراب المنطقة وتعبر عن مشاعر الكتل الجماهيرية المسحوقة وما عداها من الفاشية والشيوعية والوطنية كلها أوروبية الأصل. ■

يؤنسهم من مستقبلها

ولا بد للحركة أن تعمل جاهدة على إذابة حاجز العزلة، وكسر هذا السور المفتعل، والوصول إلى قلب الجماهير التي هي أولى الجهات بالتعبير عنهم، فهي منهم وإليهم وبهم. وجماهيرنا مؤمنة بفطرتها وتاريخها، وهي مع حركة الإسلام، ونداء الإيمان، كما يدل على ذلك استقراء الواقع، وقراءة التاريخ.

إنما تنجح الحركة يوم تكون حركة كل المسلمين، لا حركة فئة من المسلمين.

ترشيد الصحوة الإسلامية

ولا بد للحركة الإسلامية من بذل الجهود الفكرية والعلمية لترشيد الصحوة الإسلامية، وتسديد خطواتها على الطريق الصحيح الذي يجنبها المزالق والعثرات، وينأى بها عن الغلو والتفريط، ويقيها السقوط في المهاوي التي يحفرها لها الحفارون، أو تحفرها لنفسها بسوء تقديرها.

وقد دلت شواهد ووقائع كثيرة أن هناك جهات أجنبية، وقوى معادية خفية، تعمل بجد ودهاء، وتدبر في الظلام والخفاء، لإدخال هذه الصحوة في متاهات لا تستطيع الخروج منها، وإقحامها في معارك لا مبرر لها، وشغلها بالنوافل عن الفرائض، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه، كما تعمل على تغذية ما سموه (التطرف الديني) وتضخيمه واستخدامه لمصالحهم.

وانا لست من الذين يحاولون رد كل ما يحدث في مجتمعاتنا إلى مؤثرات اجنبية ومخططات جهنمية: صهيونية او صليبية او شيوعية، تستخدم فيها بعض القوى المحلية من حيث تشعر او لا تشعر، لأن هذا التفكير يشعرنا في النهاية اننا مسيرون لا مخيرون، كما تقول الجبرية الدينية، او اننا، احجار على رقعة الشطرنج، تحركنا وتغير مواقعنا القوى الكبرى بغير إرادتنا، كما تقوله الجبرية السياسية!

وفي هذه القضية أرى أن ما سموه (**التطرف الديني**) أفرزته أسباب عديدة شرحتها في كتابي (**الصحوة الإسلامية**) وهي أسباب من داخل كياننا قبل كل شيء.

ولكنني لا انكر ان هناك قوى معادية لانتصار الإسلام وعودته إلى قيادة المجتمع، استغلت هذه الظاهرة بخبث ودهاء، وحرصت على تغذيتها لتكبر وتنمو، ورمت لها بالوقود لتظل متأججة ملتهبة، وهي بذلك تكسب جملة فوائد منها:

١ - تنفير جماهير الناس من ظهور الإسلام نظاماً حاكماً للحياة، ما دام الذين يدعون إليه ويجسدون صحوته، يتبنون التشديد والتضييق، وتحجير ما وسع الله، وتعسير ما يسر على عباده. على عكس ما قال النبي ﷺ لاصحابه: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» [رواه البخاري وابو داود والترمذي وغيرهم] وبذلك ينعزل الجمهور الذي ينشد اليسر ويكره العسر عن الصحوة، بل قد يقف منها موقف الجفاء او الخصام، وفي هذا خسارة كبرى.

٢ - شغل جيل الشباب الذي يمثل العمود الفقري للصحوة الإسلامية بالمسائل الجزئية، والقضايا الجانبية، وتبديد جهوده الفكرية، وطاقاته العملية في الدعوة بحرارة لهذه الفرعيات، والمجادلة عنها والمخاصمة عليها، وإلهاؤه عن القضايا المصيرية الكبرى التي تتصل ببقاء الإسلام، وسيادة امته، وتحرير اوطانه، وتحكيم شريعته في الأرض.

٣ - شغل القوى الإسلامية المتحركة بعضها ببعض، فبدل ان توجه حركتها الصاعدة إلى عدوها المشترك، تتصارع فيما بينها، وتتراشق بالتهم، حتى يصل الأمر إلى حد التاثيم، بل التكفير... وبهذا يهدم بعضها بعضاً، ويخربون بيوتهم بايديهم! والعدو المتربص يقف متفرجاً قرير العين بما يرى، ولا مانع عند اللزوم ان يتدخل ليجهز على البقية الباقية.

٤ - إعطاء السلطات المتربصة بالدعوة الإسلامية - التي تتوجس منها خيفة او تضمر لها كرهاً - مبرراً لتضرب التحرك الإسلامي، والعمل الإسلامي كله، السوي منه والشاذ تحت مظلة محاربة (التطرف) ومقاومة (المتطرفين)!

٥ - تيئيس الناس - في النهاية - من الإسلام ودعاته، وان المد الإسلامي مصيره إلى جزر، والصحوة مآلها إلى نوم، وان لا فائدة في اي عمل إسلامي ما دامت نتيجته ان يضرب من الخارج، او يتآكل من الداخل.

ونصيحتي للحركة الإسلامية أن تعمل على ترشيد الصحوة، ولا تحاول احتواءها والسيطرة عليها؛ فإن من الخير للحركة، وللصحوة، ولامة الإسلام، ان تبقى هذه الصحوة حرة وعفوية وغير منسوبة إلى جماعة او هيئة او حزب، وهذه العفوية او التلقائية او (الهلامية) لها فائدتها في الامتداد الأفقي في مختلف شرائح المجتمع، دون عوائق نفسية أو اجتماعية او سياسية، مما يعوق انتشار الدعوات ذات الاسم المعيَّن والإطار الخاص والتاريخ المعروف، والتي لها أعداء تقليديون، وخصوم منافسون. كما لها فائدتها في بقاء هذه الصحوة بمعزل عن إرهاب السلطات المستبدة التي تعجز عن محاصرة هذه الصحوة أو ضربها.

خطوط عريضة لترشيد الصحوة

وفي ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر بالجزائر (شوال ١٤٠٤هـ - يوليو [تموز] ١٩٨٤م) وكان موضوعه (الصحوة الإسلامية) تحدثت عن مستقبل هذه الصحوة بين الأمل فيها والخوف عليها.

وكان مما طرحته على الملتقى لترشيد الصحوة، وتجنيبها المزالق والمآزق والعثرات - حتى تحقق الآمال المرجوة منها، وتتقي المحاذير المخوفة

أين الخلل ؟ قضية للمناقشة

إلى الأمل والعمل

عليها ـ أن تنتقل من طور إلى طور ، وترتقي من مرحلة إلى مرحلة ، بعد أن شبت عن الطوق وأصبحت ظاهرة عالمية لها تغلغلها وتأثيرها ، وامتدادها طولاً وعرضاً وعمقاً ، وخصوصاً بين الشباب المثقف .

وقد حددت برامج هذا الانتقال أو التطور في عشرين نقطة أساسية ، من شأنها ـ إذا روعيت وتحققت ـ أن تجعل هذه الصحوة أهلاً لقيادة الأمة كلها ، وإزالة التناقض القائم بين عقيدتها المستقرة في ضميرها ، وبين واقعها الذي عزل فيه الإسلام عن قيادة الركب وحكم المجتمع .

ويكفيني هنا أن أشير إلى عناوين هذه النقاط العشرين التي تمثل الخطوط العريضة لمستقبل الصحوة المنشودة في فهم الإسلام ، والدعوة إليه ، والعلاقة بالآخرين من العاملين له ، والقاعدين عنه من أبناء أمته ، ومن الجاهلين به ، والخائفين منه ، والطامعين فيه ، والحاقدين عليه من غير أمته .

لا بد أن تنتقل دائرة الاهتمام والتركيز :

١ ـ من الفروع والجزئيات إلى الأصول والكليات .

٢ ـ من النوافل إلى الفرائض .

٣ ـ من المختلف فيه إلى المتفق عليه .

٤ ـ من أعمال الجوارح إلى أعمال القلوب .

٥ ـ من طرفي الغلو والتفريط إلى الوسطية والاعتدال .

٦ ـ من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير .

٧ ـ من الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد .

٨ ـ من الكلام والجدل إلى العطاء والعمل .

٩ ـ من العاطفية والارتجال إلى العلمية والتخطيط .

١٠ ـ من التعصب على المخالفين في الرأي إلى التسامح معهم .

١١ ـ من الإثارة إلى التفقيه (أو من أسلوب الوعاظ إلى أسلوب الفقهاء ، أو حماس المنبر إلى هدوء الحلقة) .

١٢ ـ من الكم إلى الكيف (أو من الاهتمام بتزايد الأعداد ولو على حساب التربية إلى العناية بالتربية ولو على حساب العدد) .

١٣ ـ من سماء الأحلام إلى أرض الواقع (أو من المثالي المنشود إلى الممكن الموجود) .

١٤ ـ من الاستعلاء على المجتمع إلى المعايشة له (أو من موقف ممثل الاتهام إلى موقف الطبيب) .

١٥ ـ من الانكفاء على الماضي إلى معايشة الحاضر ، والإعداد للمستقبل .

١٦ ـ من الاستغراق في العمل السياسي إلى الاهتمام بالعمل الاجتماعي .

١٧ ـ من اختلاف التضاد والتشاحن إلى اختلاف التنوع والتعاون .

١٨ ـ من إهمال شؤون الحياة إلى التعبد بإتقانها .

١٩ ـ من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة .

٢٠ ـ من الإعجاب بالنفس إلى محاسبة النفس (أو من الغلو في إثبات الذات إلى نقد الذات) .

هذه هي المنطلقات العشرون والتي اعتبرت بمثابة (ورقة عمل) لتوجيه الصحوة الإسلامية ، ومن باب أولى : الحركة الإسلامية .

ولا ريب أن كل نقطة منها تحتاج إلى شرح وتحديد وتفصيل ، أرجو أن يوفقني الله إلى معالجته في المستقبل .

العمل الاجتماعي

ولا بد للحركة الإسلامية أن تحدد لنفسها ميادين للعمل تخدم بها دينها وأمتها ، وألا يستهلك العمل السياسي جهدها ووقتها كله .

ومن ذلك : الميدان الاجتماعي الذي قصر فيه المسلمون تقصيراً شائناً ، واستطاع أعداؤهم أن يستغلوه لنشر أديانهم المحرفة بين الجياع والمرضى والأميين والمشردين من أبناء أمتنا .

وهذا ما دعانا للمناداة بتكوين (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) ، التي تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع ، والكساء للعاري ، والدواء للمريض ، والرعاية لليتيم ، والإيواء للمشرّد ، والتعليم للجاهل ، والتشغيل للعاطل ، والتدريب للعامل ، والمشاركة الجادة في تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها .

وقد رأينا إماماً ، مثل : حسن البنا ـ رحمه الله ـ يعطي العمل الاجتماعي من دعوته وحركته عناية بالغة ، ويجعله أحد أهدافها الأساسية ، وينشىء في كل شعبة قسماً للبر والخدمة الاجتماعية ، مهمته تنظيم فعل الخير ، والدعوة إليه على كل صعيد .

إن بعض الحركات أو الأحزاب الإسلامية تحرم على نفسها العمل لخير الناس أو مساعدتهم حتى تقوم الدولة الإسلامية المرجوة . فكل مهمتهم (الانتظار) على طريقة (انتظار المهدي) الذي تنشق عنه الأرض ، أو تنفرج عنه السماء ، في يوم وليلة !

و (مهدي) هؤلاء هو الدولة أو الحكم الإسلامي المنتظر ، فهم واقفون في طابور الانتظار ، بلا عمل يذكر ، حتى يتحقق موعودهم !.

حتى إن منهم من غلا ، فقال : لا جهاد إلا تحت راية الدولة الإسلامية ولا دولة فلا جهاد ، وبعبارة أخرى : تحت راية الإمام ولا إمام !!

■ نصيحتي للحركة الإسلامية أن تعمل على ترشيد الصحوة ولا تحاول احتواءها والسيطرة عليها فإن من الخير أن تبقىٰ هذه الصحوة حرة وغير منسوبة إلى جماعة أو هيئة أو حزب . ■

■ لقد أثبتت التجارب أن الدعوة إلى الله إنما تنتعش وتزدهر في ظل الحرية ، هناك تتجاوب مع الفطر السليمة والعقول الراشدة . ■

ولا امر بمعروف ولا نهي عن منكر إلّا في ظل الدولة المنشودة !

وبقي عليهم ان يقولوا : لا صلاة ولا زكاة إلّا بعد قيام الدولة !!

العمل من الجميــــع

وإن من آفاتنا كذلك كثرة المتفرجين ، وانتظار العمل من الآخرين . والواجب أن يعمل الجميع كل على قدر جهده وطاقته

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (التغابن : ١٦) .

لا ينبغي أن ننتظر العمل من الحكام وحدهم ، ولا من العلماء وحدهم ، ولا من أصحاب المال أو الجاه أو الثقافة وحدهم ، وإنما ننجح حقاً يوم نستطيع أن نحرك الجماهير المسلمة الغفيرة بالإسلام وللإسلام ؛ كما فعل اليهود حين حرّكوا يهود العالم كله من أجل أرض الميعاد ، رغم تفرقهم في أقطار الدنيا وتقطيعهم في الأرض أمماً .

فعلينا أن نحرك المسلمين ، كل المسلمين ، ليقوم كل بدوره قدر وسعه : للرجل دوره ، وللمرأة دورها ، وللصبي والكبير ، وللغني وللفقير . المهم أن يعمل الجميع ، وأن يوضع كل في مكانه الملائم . من استطاع أن يميط شوكة عن طريق فليمطها ، ومن امكنه أن يبذر حبة في الأرض فليبذرها .

من قدر على أن يعطي درهماً واحداً فليبذله ولا يستقله ، ولا يبالي بسخرية الساخرين من أهل النفاق :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ٧٩)

ومن يدري ؟ لعلّ درهماً واحداً أثقل في الميزان عند الله من ألف ، بل من مائة ألف .

وفي حديث رسول الله ﷺ : « سبق درهم مائة ألف درهم » فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : « رجل له مال كثير ، اخذ من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها . ورجل ليس له إلّا درهمان فاخذ احدهما فتصدق به فهذا تصدق بنصف ماله » [رواه النسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ، والحاكم وصححه على شرط مسلم] .

إن الإسلام لا يهوّن من قيمة اي عمل صالح ، وإن ضؤل حجمه ، أو صغرت مساحته ، أو قل عدده . وهو يقرر أن مثقال الذرّة أو حبّة الخردل من عمل الخير لا تضيع عند الله ، كل ما يهمه هنا هو الروح المصاحبة للعمل ، والنية الباعثة عليه .

فإذا كان وراءه نية صالحة وهدف رفيع ، فإن الله يتقبل العمل بيمينه ، ويضاعف الجزاء لصاحبه ، وإن كان في صورته وكمّه شيئاً قليلاً .

هذا ما يقرره القرآن صراحة في آياته حيث يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠)

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٧)

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧)

كلمـــة ختـــام

وفي ختام هذه الصحائف نعود للسؤال الأصلي : اين الخلل ؟

ونعود فنجمل الجواب ، ونقول : إنه خلل عام وشامل ، والمسؤولية موزعة على الجميع ، وإن تفاوتت مقاديرها .

إنه ليس خللاً في الحركة الإسلامية وحدها ، بل هو خلل في الأمة الإسلامية جمعاء .

وإن شئنا الصراحة ، قلنا : إنه خلل في داخل كل منّا ، في أنفسنا التي بين جنوبنا ، في حبنا لذواتنا ، وطوافنا حولها كما يطوف الوثني بوثنه . في محاولتنا تبرئة أنفسنا واتهام غيرنا ، وإلقاء التبعة على كل أحد سوانا ، يرى كل منّا القذى في عين أخيه ولا يرى الخشبة في عينه !

أجل ، الخلل في كل منّا ، فهو يطلب من المسلمين أن يعملوا وهو فارغ ، وأن يجاهدوا وهو قاعد ، وأن يبذلوا وهو شحيح ، وأن يضحوا وهو متفرج !

الخلل في كلّ منّا ، حيث يؤمن بالله ولا يطيع أمره .. ويحب رسول الله ﷺ ولا يتّبع نهجه .. ويريد الجنة ولا يسعى لها سعياً ... ويخاف النّار ، ويسلك سبيل أهلها ... ويفخر بالانتساب إلى الإسلام ولا يعمل لنصرته ..

فطوبى لمن بدأ بإصلاح نفسه ، ثم بدعوة غيره ، ووضع يده في يد كل من كان على شاكلته من أهل الخير ، غير متبرم بيومه ، ولا يائس من غده ، واثقاً من نفسه ، معتزاً بدينه ، مؤمناً بربه ، آملاً في نصره الذي وعد به المؤمنين .

ورغم اتساع الخلل ، فإنّ سدّه ممكن ، وبواعث الأمل في انتصارنا أكبر من عوامل اليأس والقنوط .

ومما يقوي رجاءنا في المستقبل :

(١) ان معنا الحق الذي قامت به السموات والأرض ، وبعث الله به خاتم رسله ، وانزل به آخر كتبه ، والذي يحمل الهداية للفرد والسكينة للأسرة ، والتماسك للمجتمع ، والخير للإنسانية .

(٢) وان معنا فطرة الإسلام التي فطر الله الناس عليها ، والتي يرجع إلى حظيرتها كل يوم اعداد غفيرة ، تهتدي بعد ضلال ، او تتوب بعد معصية ، او تستقيم بعد انحراف في الفكر او في السلوك ، او تتنبه بعد غفلة وطول رقاد ، وتنضم إلى قافلة العائدين إلى موكب الإسلام .

(٣) وانّ معنا شعوب الأمة الإسلامية ، التي غدا الإسلام لُحمتها وسُداها ، واصبح جزءاً لا يتجزأ من كيانها العقلي والنفسي والاجتماعي ، فلا يمكنها ان تعيش وتحقق ذاتها إلّا بالإسلام ، ولا يحركها شيء كما تحركها كلمة الإسلام ، وقد جربت (الحلول المستوردة) من الشرق والغرب ، فلم تحقق بها املاً ، ولم يبق إلّا (الحل الإسلامي) منقذاً .

(٤) وانّ معنا مصلحة الإنسانية ، التي شقيت بفلسفات البشر ، وتشريعات الارض ، فما عاد يسعدها إلّا هداية السماء ، ولا توجد هذه الهداية نقية مصفاة إلّا في رسالة محمد ﷺ التي حفظ الله كتابها ، فلا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

(٥) ومعنا قبل ذلك كله وبعده : تاييد الله تبارك وتعالى ، الذي وعد بنصر من ينصره ، وتكفّل بان يظهر دينه على الدين كله ولو كره المشركون ، وان يتم نوره ، وإن كاد له الكائدون :

﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٢ - ٣٣) .

فضل الدعاء

الدعاء عبادة

فالدعاء عبادة ، لما روى النعمان بن بشير ، ان النبي ﷺ قال : « الدعاء هو العبادة » ، ثم قرا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر : ٦٠) . [رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبّان وقال : صحيح الإسناد] .

وفي رواية « الدعاء مخ العبادة » ومخ الشيء خالصه ، فليس شيء اكرم على الله من الدعاء لأنه عماد الدين ، ونور السموات والأرض ، وسلاح المؤمن ؛ وانه لن يهلك مع الدعاء احد ، كما ثبت بذلك الحديث ، والله يحب ان يُسأل ويحب الملحّين في الدعاء ، ومن لم يسأل الله يغضب عليه :

الرَّبُّ يَغْضَبُ إنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ
وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

ونظير هذا ما حكى الله عن نبيه يونس عليه السلام ؛ وذلك أنه لما غاضبه قومه ولم يقبلوا هدى الله الذي جاء به ، خرج من البلد مغاضباً ، فركب في سفينة ، ثم إن السفينة اشرفت على الغرق ، فقذفوا في البحر جميعَ ما تحمله لتخف وترتفع فلم ترتفع ، فاتَّفقوا على ان يعملوا قرعة فمن وقع عليه سهم القذف رموْا به في البحر ، فوقع سهم الإلقاء على نبي الله يونس بن متى ، فرموا به في البحر لكون الأنبياء اشد الناس بلاء في الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ (الصافات : ١٤١) اي : المُلقَيْن ، ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ (الصافات : ١٤٢) اي : ان الله سبحانه قد لامه على شدة الغضب الذي خرج من البلد بسببه ، وكان من واجبه أن يصبر على اذى قومه .. فعند ذلك دعا ربّه وهو في ظلمات ثلاث : ظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وظلمة بطن الحوت .. فكان من دعائه : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٧) قال الله سبحانه : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٨) ، ثم ذكر الله سبب هذا الإنجاء ، وانه كثرة دعائه لربه في حالة الرخاء ، فقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ (الصافات : ١٤٣) ، اي في حال الرخاء ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (الصافات : ١٤٤) وفي الحديث ان النبي ﷺ قال : « دعوة اخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلَّا استجاب الله له » ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء : ٨٧) ، فمن أحبَّ ان يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء ، وإذا دعا المسلم بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم حصل له إحدى ثلاث خصال : إما أن يعجل الله له دعوته ، او يدخرها له في الآخرة ، او ان يدفع عنه من السوء مثلها .. قالوا : إذاً نكثر يا رسول الله ، قال : « فضل الله اكثر » [رواه الحاكم والترمذي وقال حديث حسن صحيح] . ومن فتح باب الدعاء وذاق حلاوته فقد فتح له باب الخير والرحمة والإجابة ، كما قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لا احمل همَّ الإجابة ولكن احمل همَّ الدعاء ، فإذا أعطيت الدعاء وُفِّقْت للإجابة .

ولهذا يقال : يا ابن آدم لقد بورك لك في حاجة اكثرت فيها من قرع باب سيدك . ومتى كان الدعاء عبادة ، بل هو مخ العبادة والإنسان مخلوق للعبادة ، لأن الله يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات : ٥٦) فإنه لا ينبغي للإنسان أن يسام من الدعاء ولا يعجز عنه ، ففي الحديث : « يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : قد دعوتُ ودعوتُ فلم يُسْتجبْ لي » ، [متفق عليه] .

وافضل العبادة انتظار الفرج وفي الحديث « أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام » : اي الزموا وداوموا ، [رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه]

والله يقول : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (الفرقان : ٧٧) ، سواء قلنا إن المراد به دعاء العبادة أو دعاء المسالة .

الدعاء يرد القدر

فالدعاء بمثابة الأشجار المثمرة والخزائن المدخرة ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فهو يدفع البلاء بعد انعقاده ، وقبل نزوله ويرفعه بعد نزوله .. لقول النبي ﷺ : « لا يَرُدّ القدر إلَّا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلَّا البر ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » [رواه ابن حبان والحاكم] فأخبر النبي ﷺ ان الدعاء يرد القدر والقضاء ، وفي دعاء القنوت « وَقِنا واصرف عنَّا شرَّ ما قضيت » فلو لم يكن الدعاء سبباً في صرف القدر والقضاء لما شرعه النبي ﷺ وارشد إليه امته .. وفي مراسيل الحسن أن النبي ﷺ قال : « حصّنوا اموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، واستدفعوا امواج البلاء بالدعاء والتضرع » . وفي حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال له : « احفظِ الله يحفظْك ، احفظ الله تجدْه تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » [رواه الترمذي بطوله وقال حديث حسن صحيح] .

■■ قال الله سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٦) . هذه الآية توجد متوسطة بين آيات الصيام ، والحكمة في وضعها بين آيات الصيام أن المؤمن الصائم يتوسع في أفعال الطاعات ، ويكثر من الدعاء والتضرع إلى الله لعلمه أن للصائم دعوة لا ترد ، وسبب نزولها أن أناساً قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله أربُنا قريب فنناجيَه أم بعيد فنناديَه ؟ ، فأنزل الله هذه الآية . وكان رسول الله ﷺ في سفر ، وكان الصحابة إذا علَوُا الرُّبىٰ كبَّروا وهلَّلوا ، وإذا هبطوا الأودية سبَّحوا يرفعون بذلك أصواتهم . فنادىٰ منادي رسول الله : أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، وإنما تدعون سميعاً قريباً أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته . فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ... ﴾ أي عباد الإجابة والدعوة الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وإلاَّ فكل الناس عبيد الله بطريق القهر والخَلْق والتكوين ، ولكن السائلين المتضرعين هم عباد الله الصالحون المخلصون الذين يعبدون الله ويدعونه بما شرع لهم ، ولا يدعون معه أحداً غيره . ■■

بقلم فضيلة الشيخ :

عبد الله بن زيد آل محمود

رئيس المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية بدولة قطر

إنه متى كان الإنسان متادباً مع ربّه بالدعاء والتضرع في حالة رخائه وسَرَّائه ، ثم وقع في شدة من الشدائد فدعا الله ـ عزّ وجل ـ ، قالت الملائكة : يا رب صوت معروف من عبد معروف .. اللهم استجب دعاءه . ولهذا كان من دعاء بعض السلف : اللهم إني أُمرت بالدعاء ووُعِدْت بالإجابة ، وقد سألتك كما امرتني فاستجب لي كما وعدتني . إن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه وتعتقد بأن دعاءك واقع بمسمع من الله .. كانت عائشة رضي الله عنها تقول : سبحان من وسع سمعه الأصوات ، لقد اتت المجادلة ـ أي خولة بنت ثعلبة ـ إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها ـ أي أوس بن الصامت ـ وتقول : إنه افنى شبابي ، واكل مالي ، وكان لي منه عيال ، فلما كبر سنّي ظَاهر مني ، أشكو إلى الله حالي . والله إني لفي كِسْر البيت أسمع بعض كلامها ويخفى عليَّ بعضُه ، فما برحتْ من مكانها حتى سمع الله شكواها وانزل : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة : ١) وصدق الله العظيم حيث يقولُ : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ . إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الشعراء : ٢١٨ ـ ٢٢٠) .

آداب الدعـــاء

وللدعاء آداب ينبغي للداعي أن يتادب بها ، لأن من حُرم الأدب حُرم التوفيق .

الأول : طِيبُ المطعم وتنظيف البطن عن اكل الحرام . فقد ذكر رسول الله ﷺ الرجل الذي يطيل السفر اشعث اغبر يمد يدهُ إلى السماء يقول : « يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنّى يُستجابُ له » [رواه مسلم من حديث ابي هريرة] . فكان هذا بفعله قد سدَّ باب الإجابة عن نفسه ، وقد قال النبي ﷺ لسعد بن ابي وقاص : « يا سعدُ اطبْ مطعمك تكنْ مستجابَ الدعوة » ..

والثـاني : أن يبدا في دعائه بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه ، ثم يدعو بحاجته ، فقد سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو ولم يحمد الله ولم يصلِّ على النبي ﷺ فقال : « عجِّل هذا » ، ثم دعاه فقال : « إذا دعا احدكم فليبدا بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بحاجته » [رواه احمد وابو داود والترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم] لكون الوسائل مطلوباً تقديمها امام المسائل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ ، فتقديم الثناء على الله والصلاة على رسوله ﷺ هي نعم الوسيلة التي ترفع الدعاء إلى الله .

الثالث : ان يمد يديه في دعائه ، لأن في مدّ اليدين إظهاراً للتذلل والعبودية وإشعاراً بانه فقير إلى ربه في كل حالاته . وفي الحديث « إن ربّكم حييٌ كريم يستحيي من عبده إذا مدَّ إليه يديه ان يردهما صفراً ـ اي خائبتين ـ » [رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم من حديث سلمان] .

الرابع : ان يدعو بقلب حاضر موقن بالإجابة ، وللدعاء في السجود سر عجيب ، كما في الحديث « اقرب ما يكون العبد من ربه

فضـــل الدعـــاء

وهو ساجد ، فاكثروا من الدعاء ، فقمن ان يستجاب لكم ، [رواه مسلم] ، فيدعو في سجوده بسائر حاجاته من امور الدنيا والآخرة وبصلاح دنياه وآخرته . وللدعاء امر عجيب وحسن عاقبة في إصلاح الحال وإصلاح المال والعيال والتوفيق لصالح الأعمال .. فالذي له حظ ونصيب من الدعاء والتضرع إلى الله في كل حالاته وسائر حاجاته ، ويدعو له ابوه او تدعو له امه او يدعو له الناس على حسن اعماله تجده ملحوظاً من الله بالتوفيق والتسديد و إصلاح الشان والمحبة في قلوب الناس . اما من ليس له نصيب من الدعاء ، ولم يذق حلاوة المناجاة ، ويستكبر عن عبادة ربه ودعائه ..

فهذا يعد محروماً من الخير ، محروماً من التقرب إلى الله والتحبب إليه ، قد سد عن نفسه باب الرحمة والاستجابة ، لان نزع حلاوة المناجاة من القلب هي اشد عقوبة يعاقب بها الشخص وهو لا يشعر . وقد استعاذ النبي ﷺ من اربع ، فقال : « اللهم إني اعوذ بك من علم لا ينفع ، وقلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع - اي لا يستجاب له - » .

دعـــاء غير الله شرك

ومتى كان الدعاء عبادة - بل هو مخ العبادة - فليعلم ان من صرف هذه العبادة لغير الله فقد اشرك بالله ووقع في الشرك الأكبر الذي لا يغفر .. فمن دعا نبياً ، او دعا علياً ، او دعا ولياً ، او دعا صاحب قبر من القبور فقد اشرك بالله ، ومن اشرك بالله فقد حرَّم الله عليه الجنة وماواه النار ، ومن يشرك بالله فقد حبط عمله . واخبر الله بانه لا اضل ولا اظلم ممن يدعو مخلوقاً دون الله ويتوسل به في قضاء حاجاته وتفريج كرباته ، فقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ (الأحقاف : ٥ - ٦) .. فسمى الله دعاء الانبياء والأولياء عبادة ، فهؤلاء الذين يترددون رجالاً ونساءً على بعض القبور ويزعمون انه قبر ولي وانه يتصرف في الكون فيسالونه ويتوسلون به في قضاء حوائجهم وتفريج كربهم هم في الحقيقة من اضلّ الناس طريقة وافسدهم عقيدة ، وانه لا اجهل ولا اظلم ولا اضل منهم . وإلَّا فكيف يدعون ميّتاً رميماً في قبره لا يستطيع زيادة في حسنات نفسه ولا نقصاً من سيئاته فضلاً عن ان ينفع غيره .. يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ . إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ (فاطر : ١٣ - ١٤) وهو الله . ومثله الذين ياتون عند قبر رسول الله ﷺ فيتضرعون إليه ويسالونه ، يقول احدهم : يا محمد اغثني ، يا محمد اشفع لي عند ربي .. وإذا قام احدهم او قعد قال : يا رسول الله او يا علي .. فإنَّ معنى يا رسول الله : ادعو رسول الله ، ومعنى يا علي او يا عبد القادر : ادعو علياً او ادعو عبد القادر . والله يقول : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ (يونس : ١٨) .

وشفاعة الرسول لا تنال من اشرك بالله ، وإنما تكون لمن وحَّد الله ولم يشرك به احداً .. ولما قال رجل للنبي ﷺ : من احق الناس بشفاعتك يا رسول الله ! ، فقال : « من قال لا إلـه إلَّا الله خالصاً من قلبه » . فتلك الشفاعة لاهل الإخلاص ولا تكون لمن اشرك بالله . قال رجل للنبي ﷺ : إنَّا نستشفع بك على الله ، فقال رسول الله ﷺ : « شان الله اكبر من ذلك .. إنه لا يشفع بالله على احد من خلقه » ، فنهى رسول الله ﷺ عن الاستشفاع به او بجاهه ، وامر امَّته بان يخلصوا دعاءهم لربهم ، وان يكثروا من الصلاة عليه . قولوا : « اللهم صلّ على محمد ، اللهم بارك على محمد ، اللهم آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته » ، فامر امَّته بان تدعو له ، لأنّ الذي يُدعى له لا يدعى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس : ١٠٦) .. نعوذ بالله من الشرك والشك وسوء الأخلاق وفساد الاعتقاد ، والحمد لله رب العالمين .

■ « إذا دعا المسلم بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم حصل له إحدىٰ ثلاث خصال : إمَّا أن يعجل الله له دعوته ، أو يدخرها له في الآخرة ، أو أن يدفع عنه من السوء مثلها » . ■

[حديث شريف]

■ من أحب أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر من الدعاء في الرخاء.ومن آداب الدعاء أن يدعو بقلب حاضر موقن بالإجابة . ■

الرّدع الإسلاميّ في غزوتي بدر والفتح

■■ تحتوي غزوتا بدر الكبرى وفتح مكة على دروس غالية، ينبغي على الأمة الإسلامية أن تتدبرها وتسترشد بها لتصحيح الخلل في موازين القوى بينها وبين أعدائها والمحافظة على سلامتها وأمنها. ■■

بقلم اللواء الركن :

محمد جمال الدين محفوظ

والأمر الذي يستحق التأمل والتدبر ما يلي :

١ - هذه الدروس الغالية تنبثق من التطبيق العملي لاستراتيجية الردع الإسلامية التي تتمثل في قول الله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (الأنفال : ٦٠)

وفي قول الرسول القائد ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » [رواه البخاري].

٢ - قدم الرسول ﷺ لأمته أكثر من طريقة لردع الأعداء :

● ففي بدر : كان الردع « بالقتال ».. أي « باستخدام القوة »

● وفي الفتح : كان الردع « بغير قتال » .. أي « بإظهار القوة »

٣ - كان استخدام كل من هاتين الطريقتين موافقاً لمقتضيات الموقف من ظروف وأحوال استراتيجية وظروف المكان والزمان ومتفقاً مع مفهوم الإسلام للسلام والقوة والحرب .

● فقوة الأمة الإسلامية يجب أن تكون « قادرة على إيقاع الرهبة » في قلوب أعدائها بحيث يمتنعون عن العدوان عليها .

● فإذا لم يمتنعوا عن العدوان فيجب أن يقاتلهم المسلمون « مدفوعين بفكرة القوة » أيضاً فتكون ضربتهم للمعتدي من القوة بحيث « تفقده توازنه النفسي وتلزمه حدوده . » .

٤ - أوضح الرسول ﷺ لأمته - وهو القائد والمعلم والأسوة الحسنة - أساليب التنفيذ والعوامل التي تحقق للردع أهدافه في تأمين سلامتها ورد العدوان عنها .

٥ - وأخيراً فإن تطبيق نظرية الردع في « بداية الصراع » في بدر وفي « نهاية الصراع » في الفتح يقول للأمة : « ها أنتم ترون أنه لا سبيل أمامكم للمحافظة على أمنكم ورد العدوان عليكم إلَّا « ببناء القوة الرادعة » وتأسيس سياستكم الدفاعية على « الردع » أولاً وأخيراً ... »

الدرس الأول

على المسلمين - لكي يتغلبوا على العدو المتفوق - أن يستغلوا مواردهم المتاحة بأقصى قدر من الكفاية في التنظيم والإدارة .

يذكر علماء الإدارة - للتعبير عن أهمية الإدارة في تحقيق الأهداف - القول المشهور لـ « روبرت مكنمارا[٢] » :

الردع الإسلاميّ في غزوتَي بدر .. و الفتح

« إن الولايات المتحدة تمتلك تكنولوجيا عالية جداً ، وكذلك الاتحاد السوفيتي ، ولكن الذي سوف يحسم المعركة هو الإدارة السليمة » ، أي أن العبرة في التغلب على الخصم ليست بالتفوق والتقدم في القوة البشرية والسلاح بقدر ما هي بالتفوق في إدارة البشر والسلاح .

لكن الإسلام لديه ما هو أكثر من ذلك فالقول المذكور قد بني على أن الإدارة السليمة هي التي تحسم الصراع بين « قوتين متكافئتين » أما الإسلام فقد تجاوز هذا الحساب وقرر أن القوة المحدودة الموارد تستطيع بالإدارة السليمة وبقوة الإيمان والعقيدة أن تقهر القوة المتفوقة عليها .

ويبرز هذا المبدأ بكل وضوح في « إدارة » الرسول ﷺ للمعركة في بدر ، في أمور :

أولاً : إحكام السيطرة على الموارد :

لقد كانت موارد المسلمين في بدر محدودة للغاية ؛ إذ كان الأعداء ثلاثة أمثالهم في العدد والسلاح ، ولديهم « قوة هجومية ضاربة » تتمثل في مائتي فرس يواجهها لدى المسلمين فرسان اثنان ثم إن « الذخيرة » بالقياس إلى ذلك كانت محدودة جداً عند المسلمين .

فلكي تستغل هذه الموارد المتاحة لأقصى حد لا بد من قدر كبير من المركزية في السيطرة على استخدامها ، بحيث يمكن تحقيق حشد القوة مع الاقتصاد لإنفاقها في الوقت نفسه وهذا ما فعله الرسول ﷺ :

(١) باتخاذ تشكيل القتال بالصفوف فهو يضمن سيطرة القائد المحكمة على جيشه على نحو لا يتحقق في أسلوب الكر والفر الذي اعتادت عليه العرب ، ففرق كبير في مجال السيطرة بين قوة ثابتة متلاصقة وبين قوة تتردد في الحركة السريعة بين الأمام والخلف ؛ هذا فضلاً عن أن أسلوب الصفوف يؤمن للقائد احتياطياً يعالج به المواقف الطارئة .

(٢) ورغم سهولة السيطرة على هذا الجيش القليل عدده إلَّا أن الرسول ﷺ ـ لتحقيق المزيد من السيطرة ـ قسمه إلى كتيبتين وجعل لكل منهما قائداً .

(٣) ثم تصل السيطرة الى أقصى حد بأن يأمر الرسول القائد ﷺ رجاله : « لا تقاتلوا حتى أوذِنَكم »(٣) فلا يبدأ القتال إلا بأمر منه .

ثانيا : استخدام الموارد بأقصى حشد مع الاقتصاد في الإنفاق .

فقد أصدر الرسول ﷺ « أمر القتال » الذي وردت فيه عدة روايات منها :

- إذا أكثبوكم (أي اقتربوا منكم) فارموهم واستبقوا نبلكم(٤) .
- إن اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل(٥) .
- لا تقاتلوا حتى أوذنكم ، وان اكتنفوكم فارموهم ، ولا تسلّوا السيوف حتى يغشوكم(٦) .

ويعني هذا الأمر ما يلي :

[١] تقسيم المعركة الى مرحلتين :

الأولى : الرمي بالسهام عند اقتراب العدو . والثانية : القتال المتلاحم عندما يصل العدو الى صفوف المسلمين .

هذا التقسيم غاية في البراعة في التنظيم والإدارة فهو يضمن في المعركة الأولى استخدام السهام وهي السلاح بعيد المدى « بأقصى حشد » كما يضمن في المرحلة الثانية استخدام السيوف « بأقصى حشد أيضاً » وهكذا يستثمر المسلمون مواردهم بأقصى طاقاتها في الوقت المناسب وإلى أقصى حد .

[٢] الاقتصاد الشديد في الاستهلاك :

فالذخيرة محدودة للغاية كما قدمنا والاقتصاد في استهلاكها يصبح « ضرورة حتمية » لا تفوت القيادة الإسلامية فقد قصد الرسول ﷺ من أمر القتال :

- ألَّا يبدأ الرمي إلَّا بإذنه « حتى أوذنكم » . .
- وألَّا يبدأ الرمي إلَّا حين يقترب الأعداء « إذا أكثبوكم » .
- ثم زاد تأكيده على الاقتصاد في الاستهلاك بقوله : « واستبقوا نبلكم » .

فالمسلمون إذا أطلقوا سهامهم والعدو بعيد فسوف يطيش منها الكثير لعدم دقة التصويب على البعد ، وعددها القليل لا يحتمل أن يضيع سهم منها بغير طائل فكان على المسلمين أن « يُمهلوا » عدوهم الزاحف حتى يصبح في متناول سهامهم ويأتي كل سهم برجل منهم(٧)

الدرس الثاني

على المسلمين أن يُفقدوا الأعداء توازنهم النفسي وإرادتهم القتالية .

يعرف رجال العسكرية أن أكبر ما يفقد الجيوش توازنها النفسي ويضعف من إرادتها القتالية ما يلي :

(١) فداحة الخسائر التي تتعرض لها وخاصة إذا وقعت هذه الخسائر « بحجم كبير وفي زمن قصير » وفي ذلك يقول « شارنهورست » في كتابه (التكتيك) :

« إن عشرة رجال يسقطون معاً في ميدان المعركة يجبرون فوجاً - حوالي (١٠٠٠) رجل - على التراجع بصورة مؤكدة ، أكثر من خمسين جريحاً يسقطون تدريجياً في أماكن مختلفة » .

فلو حاولنا رسم « صورة ذهنية » لما حدث لقريش نتيجة لتنفيذ المسلمين لأمر القتال فسوف نرى أعداداً كبيرة منهم تسقط صرعى في أقصر وقت فذلك هو النتيجة المنطقية لرمي المسلمين سهامهم « بأكبر حشد وفي وقت واحد وبأدق تصويب » .. أضف إلى هذا « سقوط مبارزيهم » الذين دفعوا بهم قبل المعركة صرعى على أيدي مبارزي المسلمين ، ولا يفوتنا هنا أن نذكر كيف حرص الرسول ﷺ على أن يختار ذوي الكفاءة الفائقة في المبارزة ليكون نجاحهم على رجالات قريش مضموناً ، وكيف حرص على تكليف بعض رجاله باصطياد زعماء قريش وساداتها من الصفوف واستئصالهم ؛ من ذلك قيام بلال بقتل أمية بن خلف . وليس من شك في أن كل هذه الأعمال قد أصابت قريشاً بالصدمة النفسية في اللحظات الأولى من المعركة .

(٢) حدوث نقص شديد في المواد الحيوية للقتال كالذخيرة والوقود والمياه .

وقد عرض المسلمون قريشاً لهذا الوضع حين اتخذوا موقعهم في بدر بحيث يسيطرون على المياه ويحرمون عدوهم منها ، وهو أمر بالغ التأثير في حروب الصحراء .

(٣) فقدُ المبادأة :

● فقدْ تملك المسلمون المبادأة في بدر بسيطرتهم على الماء واستدرجوا عدوهم - نتيجة لذلك - إلى القتال « في أرض من اختيارهم » فإن سيطرتهم على الماء حددت مكان المعركة واضطرت المشركين إلى أن يصلوا إلى هذا المكان لينازعوهم على الماء وهذا ما عبر عنه سلوك الأسود المخزومي حين صرخ بأعلى صوته : وحق اللات والعزى لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !

● وتملكوا المبادأة أيضا في فتح مكة حين قرر الرسول ﷺ أن يتحرك ليهاجم قريشاً في عقر دارها بعد أن نقضت عهدها الذي أقرت بنوده في

الردع الإسلامي في غزوتي بدر والفتح

هدنة الحديبية .

(٤) التعرض للمباغتة[٨] :

● ففي بدر تعرضت قريش للمباغتة بسبب اتخاذ المسلمين لأسلوب جديد في القتال وهو الصفوف ثم سيطرتهم على مياه بدر .

● وفي الفتح تعرضت للمفاجأة على نحو أكبر إلى حدّ أنه تعذر عليها معرفة هوية الجيش الكبير الذي عسكر على أربعة فراسخ من مكة .

(٥) اهتزاز الثقة في القضية وفي القدرة على إحراز النصر :

هذا ما وقع لقريش في فتح مكة :

● فزعيم قريش أبو سفيان استطاع الرسول ﷺ أن « يغزو قلبه وعقله ونفسه » حتى جرده تماماً من إرادة المقاومة والقتال إلى حد أنه دفع قومه إلى الاستسلام ، ومن ذلك أنه أوصى عمه العباس باحتجازه في مدخل الجبل إلى مكة حتى يمر به جيش المسلمين فيحدث قومه عمّا رآه عن بينة ويقين بأنه لا أمل لهم في النصر ، وأبلغ دليل على ذلك قوله لهم : « يامعشر قريش هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به » .

● وقريش نفسها فقدت قدرتها على المقاومة حين رأت جيوش المسلمين تطوق مكة من جهاتها الأربع وانه لا سبيل لديها لتركيز قوتها وحشدها في جبهة واحدة ، كما أنه لا أمل لها في النصر إذا شتتت قواها لكي تواجه أرتال المسلمين الأربعة .

● ثم ها هي تتعرض بعد ذلك « للضربة النفسية القاضية » التي تتمثل في إعطاء المسلمين للأمان مقابل الاستسلام على لسان زعيمها : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . » كل هذه الأعمال أحدثت خللاً كبيراً في التوازن النفسي للمشركين و أوقعتهم على وجه التأكيد تحت وطأة الضغوط النفسية التالية :

(أ) الإحساس بأنهم يواجهون موقفاً سيئاً .

(ب) التشتت الذهني والتمزق النفسي والشعور بأنهم قد وقعوا في « فخ » يصعب التخلص منه .

(ج) تولد الشعور بالعجز عن القيام بعمل مضاد لحركة المسلمين .

وهذا ما أكده الخبير الحربي (ليدل هارت) حين قال : « ينبئُنا التاريخ العسكري في جميع العصور ، وفي جميع الحروب الحاسمة على التقريب ، أن الإخلال بتوازن العدو نفسياً ومادياً هو المقدمة التي لا محيص عنها للقضاء عليه » .

الدرس الثالث

العقيدة الراسخة ترجح كفة المسلمين في موازين القوى :

لقد ضرب المسلمون في هذا المجال أمثلة لا نظير لها في تاريخ الحروب على مر العصور ، حسبنا أن نذكر أن أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه في معركة بدر ، وأن عبد الرحمن بن أبي بكر كان مع المشركين فقال لأبيه أبي بكر رضي الله عنه بعد إسلامه : « لقد صدفت لي يوم بدر فلم أقتلك » فقال أبو بكر : « والله لو صدفت لي لقتلتك » ، فما الذي يدعو إلى أن يقتل الابن أباه والأب ابنه غير قوة الإيمان والعقيدة الراسخة التي تتضاءل أمامها سائر العلائق ؟ ولقد كان الإسلام حريصاً على أن يزوِّد المسلمين بأقوى الدوافع النفسية التي تملأ نفوسهم حمية واستبسالاً فكانت هذه الدوافع الصادقة تحارب إلى جانب أصحابها كما يحارب الجندي إلى جانب صاحبه ، ولهذا كان حساب المسلمين في موازين القوى حساباً خاصاً لا يتسامى إليه غيرهم ، فلقد كان حساب المقاتل المجاهد في الحرب مقدراً بما في قلبه من إيمان وعقيدة وبما في نفسه من مبادىء يحارب عنها وأسباب تدعوه إلى خوض هذه الحرب .

وهذا ما نجده في قول الله تعالى :

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِنكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُن مِنْكُم مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنفال ٦٥)

ذلك لأن الذين كفروا قد خلت نفوسهم من المبادىء الكريمة والدوافع الصادقة ، ولهذا حُرموا « الفقه » الذي كان من شأنه أن يبصرهم بالمبادىء التي يقاتلون عليها ، والمثل التي يدافعون عنها ، ومن حرم هذا الفقه في مجال الحرب ، فقد تعرَّى من كل سلاح يدافع به ، وكانت عاقبته الهزيمة والبوار .

الدرس الرابع

على الأمة الإسلامية أن تحافظ على أسرارها لكي تنتصر على عدوها .

● ففي بدر ، انطلق الرسول ﷺ أمام جيشه وبصحبته أبو بكر رضي الله عنه للاستطلاع قبل المعركة ، فوقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . قال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ .. قال الرسول ﷺ : « إذا أخبرتنا ، أخبرناك . » وعلم عليه الصلاة والسلام من رد الشيخ أن عير قريش قريبة منه فقال له : « نحن من ماء » !

فانظر كيف حرص الرسول ﷺ على إخفاء هويته وإخفاء أمر المسلمين عن الشيخ حتى لا تعلم قريش بهم : فهو حين التقى به ، لم يسأله عن قريش فقط ، بل سأله عن الطرفين (عن قريش وعن محمد) وحين طلب الشيخ أن يعرف هويته وصاحبه كشرط للإجابة ، استطاع الرسول « تأجيل » الرد حتى يقول الشيخ ما عنده أولاً ، وفي النهاية حين أراد أن يجيب الشيخ عن هويته قال : « نحن من ماء » وهو رد صحيح (أي من ماء دافق وهو المني) لكنه لا يكشف سر المسلمين .

● وحفلت غزوة الفتح بتدابير عدة لإخفاء أسرار حركة المسلمين ونواياهم كلها وردت في كتب السيرة ، ونكتفي للبرهان على دقة هذه التدابير وإحكامها بأن المسلمين منعوا الرسالة التي أراد حاطب بن أبي بلتعة إرسالها إلى قريش من أن تصل إليهم ، وأن السيدة عائشة رضي الله عنها أخفت أخبار الرسول ﷺ ونواياه عن أبيها أبي بكر رضي الله عنه حين سألها : يا عائشة أهمَّ رسول الله ﷺ أن يغزو ؟ .. فقالت : « ما أرى ، لعله يريد بني سليم ، لعله يريد ثقيفاً ، لعله يريد هوازن ! » .

وبعد :

● فلعلنا قد لاحظنا أن « ضعف » المسلمين في نظر أعدائهم (في بدر) جعلهم يستهينون بهم ، و(أغراهم) بالعدوان عليهم ، وأن (قوة) المسلمين في الفتح (أرهبت أعداءهم) فامتنعوا عن العدوان .. إنه درس عظيم ينبغي على الأمة أن تتدبره بكل الفهم والوعي .

● ولعلنا أدركنا (تفوق) الحسابات الإسلامية لوزن المسلم في ميزان القوى مع أعدائه لكي ننفذ ماأراده الله بها من المؤمنين وهو أن يحققوا في أنفسهم مايجعلهم أهلاً لتلك الغلبة الفذّة والانتصار الفريد ، من التربية الخلقية والعسكرية والإقدام على التضحية وإتقان الجهاد والثبات في مواطن البأس .

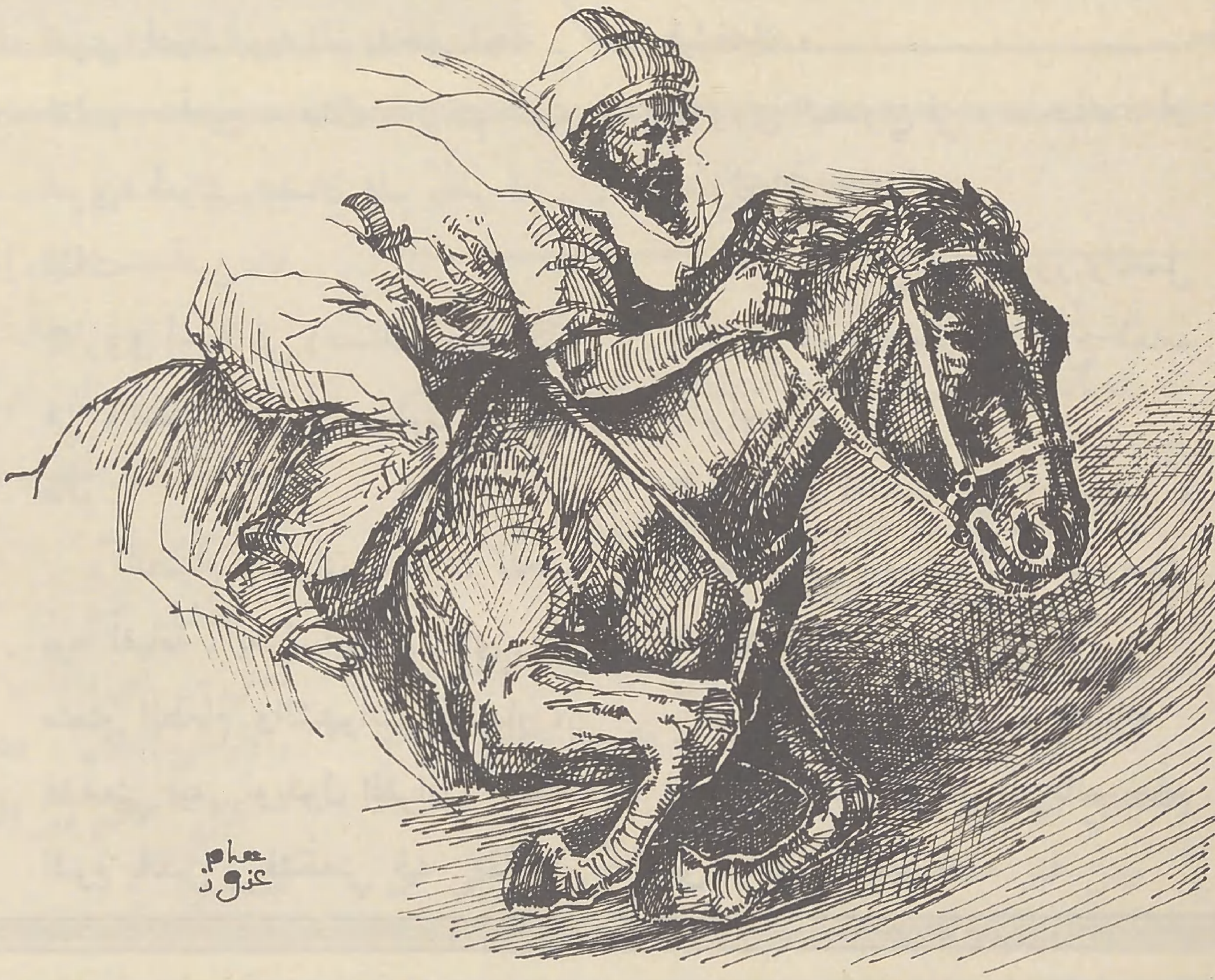

(١) الواقع أن الردع طبق في أغلب الغزوات ، لكننا هنا نركز على ما أبرزته بدر والفتح من دروس .

(٢) كان وزيراً للحربية للولايات المتحدة في الخمسينيات ويعتبر من أبرز علماء الإدارة المعاصرين .

(٣) الواقدي : مغازي رسول الله ﷺ ص ٤٨ .

(٤) البخاري : ج ٧ ص ٢٤٥ .

(٥) ابن هشام : ج ٢ ص ٦٢٥ .

(٦) الواقدي : مغازي رسول الله ﷺ ص ٤٨ .

(٧) المدهش أن هذا الأمر (واستبقوا نبلكم) هو بعينه قاعدة يتعلمها العسكريون اليوم في الدفاع ويطلقون عليها (كبت أو حبس النيران) فرصاص البنادق اليوم يصل مداه إلى عدة مئات من الأمتار لكن أصول الرمي في الدفاع تقضي بأن « يحبس » المدافعون نيران بنادقهم حتى يصل العدو المهاجم إلى مدى (١٠٠) متر أو أقل حتى يضمنوا دقة الإصابة مع الاقتصاد في استهلاك الذخيرة في الوقت نفسه .

(٨) المباغتة في العلم العسكري هي « إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له » وهي تتخذ أشكالاً عدة فقد تكون في الوقت أو المكان أو الأسلوب أو غير ذلك .

من نور كتاب الله

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(البقرة : ١٨٥)

بحسبه لقيمات

إن من أعظم الإحسان وقت الإفطار ترفق الصائم بمعدته ، وألاّ يستكثر من الطعام الحلال يملأ به جوفه حتى لا يطيق بعده الحركة بل ولا التنفس إلاّ بضيق وعسر شديدين ، فإذا كان ملء الجوف بالطعام على هذه الصورة في الأيام العادية مكروهاً ، فكيف به في أيام الصوم ، ورسول الله ﷺ يقول : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإذا كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لِنَفَسِهِ »

[أحاديث رمضان ـ حسن خالد]

من أقوال رسول الله ﷺ في رمضان

● روى البخاري في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال :

« من صام يوماً في سبيل الله بَعَّدَ اللّهُ وَجْهَهُ عن النّار سبعين خريفاً » .

● روى البخاري ومسلم في « صحيحيهما » أن رسول الله ﷺ قال :

« إيّاكم والوصال » مواصلة يومين فأكثر في الصوم (قالها ثلاث مرات) قالوا : فإنّك تواصل يا رسول الله .

قال : « إنكم لستم في ذلك مثلي ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفُوا من الأعمال ما تطيقون » .

● روى مسلم في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال :

« ثلاث من كل شهر ، ورمضان إلى رمضان ، فهذا صيام الدهر كلّه ؛ وصيام عرفة ـ لغير الواقف على عرفة ـ أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله والسنة التي بعده ، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » .

● روى أحمد في « مسنده » أن رسول الله ﷺ ارتقى على المنبر درجة ، فقال : « آمين » . ثم ارتقى الثانية ، فقال : « آمين » . ثم ارتقى الثالثة ، فقال : « آمين » . فقال أصحابه رضوان الله عليهم : عَلامَ أَمَّنْتَ ؟ قال : « أتاني جبريل ، فقال : رغم أنف امرىء ذُكِرْتَ عنده فلم يُصلِّ عليك . فقلت : آمين . فقال : رغم أنف امرىء أدرك أبويه فلم يدخل الجنة . فقلت : آمين . فقال : رغم أنف امرىء أدرك رمضان فلم يُغْفر له . فقلت : آمين » .

● روى أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » أن رسول الله ﷺ قال :

« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي ربِّ منعتُه الطعامَ والشهوات بالنهار ، فشفِّعني فيه . ويقول القرآن : منعتُه النومَ بالليل ، فشفِّعني فيه . قال : فيشفعان » .

● روى البخاري في « صحيحه » أن رسول الله ﷺ قال :

« من لم يدع قول الزور والعملَ به فليس لله حاجة في أن يَدَعَ طعامَهُ وشرابَهُ » .

● وروى أحمد في « مسنده » والحاكم في « مستدركه » أن رسول الله ﷺ قال :

« ربَّ صائم حظُّه من صيامه : الجوعُ والعطشُ ؛ وربَّ قائم حظّه من قيامه : السهر » .

إن الديـن دينـكم

يروى عن يزدجرد ، آخر ملوك فارس ، أنه بعث رسولاً إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأمره أن ينظر في شمائله ؛ فلما دخل المدينة ، قال : أين ملككم ؟

قالوا : ليس لنا ملك ، وإنما لنا أمير خرج .

فخرج الرجل في أثره ، فوجده نائمًا في الشمس ، ودرته تحت رأسه ، قد عرق جبينه حتى ابتلت منه الأرض . فلما رآه على حالته ، قال :

عدلت ، فأمنت ، فنمت ؛ وصاحبنا ، جار ، فخاف ، فسهر ؛ أشهد أن الدين دينكم ، ولولا أني رسولٌ لأسلمت ، وسأعود إن شاء الله .

[بدائع السلك في طبائع الملك]

ما ترك لجالينوس شيئاً

روي أنه كان للرشيد طبيب نصراني حاذق ، فقال لعلي بن الحسين يوماً : ليس في كتابكم من علم الطب شيء ، والعلم علمان ، علم الأديان وعلم الأبدان .

فقال له علي : قد جمع الله الطب في نصف آية من كتابنا .

فقال له : وما هي ؟

قال : قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ .

فقال النصراني : ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب ؟

فقال علي : بلى . قال : وما هو ؟

قال : « المعدة بيت الداء ، والحِمْيَةُ رأس كل دواء ، وأعط كل جسد ما عوَّدته » .

فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم « لجالينوس » شيئاً .

[أحاديث رمضان ـ حسن خالد]

خـــير الفـكر ...

قال بعضهم ، وأظنه بكر بن عبدالله المزني :

لا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها ، فخير الفكر ما كان عقب الجمام ، ومن أكره بصره عشي . . .

وعاودوا الفكرة عند نبوات القلوب ، واشحذوها بالمذاكرة . . .

ولا تيأسوا من إصابة الحكمة إذا امتحنتم ببعض الاستغلاق ، فإن من أدام قرع الباب ولج . . .

[البيان والتبيين]

أدب المؤمن مع الله

إطراق الطَّرف ، وجمعُ الهمِّ ، وسكونُ الجوارح ، وامتثالُ الأوامر ، واجتناب المناهي ، وحُسْنُ الخُلق ، ودوام الذِّكر ، وسكونُ القلب ، وتعظيم الرب ، وإيثار الحق . . .

[إحياء علوم الدين]

سرعـة خاطـر

قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم ؟ فقال : كما يرزقهم على كثرة عددهم .

وقيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أين تذهب الأرواح إذا فارقت الأجساد ؟

فقال : أين تذهب نار المصابيح عند فناء الأدهان ؟

وهذان الجوابان جوابا إسكات ، تضمنا دليلي إذعان وحجّتي قهر . . .

ومن غير هذا الفن ـ وإن كان مسكتاً ـ ما حُكي عن إبليس لعنه الله ، أنه حين ظهر لعيسى بن مريم عليه السلام قال : ألست تقول إنه لن يصيبك إلاّ ما كتبه الله عليك ؟

قال : نعم ؛ قال : فارمِ نفسك من ذروة هذا الجبل ، فإنه إن يُقَدِّر لك السَّلامةَ تسلم .

فقال : يا ملعون ، إن لِلَّهِ أنْ يختبر عباده ، وليس للعبد أن يختبر ربه .

وروى قَثَمُ بن العباس رضي الله عنهما قال : قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة مستجابة .

قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس .

[أدب الدنيا والدين]

أمتن برهان على حفظ شرع الرحمن

■■ لله سبحانه وتعالى تدبيران : أحدهما شرعي ، والآخر كوني .
وكلاهما من ناحية القضاء تدبير كوني يجمعهما اللوح المحفوظ أُمّ الكتاب .
وإنما القسمة من ناحية النوعية ، وجهة القسمة حرية العبد وإرادته وما يترتب عليها من مسؤولية .
فتدبير الله الكوني ما يمضيه الله في كونه غير مرتبط بفعل العبد واختياره ، كالموت والحياة ، والصحة والمرض ، والرزق والفقر ، والكسوف والخسوف ... إلخ .
والله يخلق ما يشاء ويختار ، ويزيد في الخلق ما يشاء ، وكل شيء عنده بمقدار .
وتدبير الله الشرعي ما يمضيه الله على عباده المكلفين من الجن والإنس مما لهم (أو ليس لهم) فعله ، أو قوله ، أو اعتقاده .
وارتباط هذا القسم بفعل العباد : أنه شَرْعٌ لتصورهم وسلوكهم بلَّغهم به بواسطة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام ، وأن مسؤوليتهم وفق حريتهم التي ملَّكهم إيَّاها بتدبيره الكوني . ■■

بقلم : أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

ومنذ فجر البشرية والرسل والشرائع تتعاقب ، وتكون فترة يضيع فيها الشرع ، أو يلتبس فيبعث الله رسولاً يبعث لهم الملة ويجدد لهم الشريعة . وملة الرسل واحدة ، وشرائعهم مختلفة .

قال أبو عبد الرحمن : ولم يرد قط أن الله تكفَّل بحفظ شريعة ما قبل شريعة محمد ﷺ .

لم يرد بهذا نص ، ولم يقل به أحد ، بل ورد النص عن أهل الكتاب : انهم استُحفِظوا كتاب الله فَضَيَّعُوه ، فلم يضمن حفظه لهم .

أما القرآن فقد تكفَّل الله بحفظه بالنص الشرعي . ودعوى امة محمد ﷺ اليوم : أن دين الإسلام محفوظ لم يضع منه حرف واحد ، وانه متميز لم يلتبس بغيره البتة .

ولكل من شاء من عُشَّاق الحقيقة أن يُجْفِلَ بما شاء من مناهج التوثيق التاريخي وضروب الاستدلال العلمي ليمتحن بها ديننا الذي ورثناه عن رسول ربنا ﷺ .

فليست هذه المقالة محاجَّة لمخالفي السلف في الملة أو النحلة ، وإنما هي مخاطبة لعقول ووجدان أبناء ملتنا وأهل قبلتنا : أن لا يستفزهم الإرهاب الفكري الحديث فَيُسَوُّوا بين الدين الإسلامي ونصوص الشعر والتاريخ والمخطوطات إذا فحصوهن بقواعد التوثيق التاريخي .

بل عليهم أن يعلموا بأن الدين محفوظ قطعاً تكفَّل بحفظه من شرعه ونزَّله .

فهم يستخدمون قواعد التوثيق ليكتشفوا تدبير الله الكوني الذي جعله ضمانة لحفظ شرعه خلال خمسة عشر قرناً وإلى أن تقوم الساعة .

وليس غرضهم أن يعلموا ـ بقواعدهم ـ : هل الشرع محفوظ أو غير محفوظ ؟

ولست أقول : إن نصوص الأدب والتاريخ تصمد لقواعد التوثيق أكثر مما تصمد نصوص الشرع .

معاذ الله أن أقول ذلك ، بل الواقع أن نصوص الشرع غُرْبلت بأصلب وأمتن قواعد التوثيق مما لا يحتمله أي فن من فنون المعارف البشرية : غاية ما هنالك : أن قواعد الفكر البشري في التوثيق ليست هي التي حفظت الدين عند تحمُّلِ الأجيال له ، وإنما شهد تطبيقها على أن الدين محفوظ .

أما حفظ الشرع فقد تم بظاهرات من تدبير الله الكوني لا حيلة لأحد في تبديل سننها ، وتلك الظاهرات مفهومة من الإسلام بالضرورة ، ومشهودة في الواقع الحسي بعيانٍ لا غبش عليه . وإليكم بيان ذلك :

تتألف الضرورة الإسلامية من التالي :

١ ـ يؤمن المسلم بوجود الله وكماله بمقتضى توحيد الأسماء والصفات وبمقتضى توحيد الربوبية ، ويؤمن بتوحيد الألوهية وهو إفراد الله

● عصمة الإجماع عوضاً عن ختم الرسالة ، فلو اجتمعت أمة محمد ﷺ على ضلالة لكانوا يحتاجون إلى نبي آخر يبين لهم . ●

بالعبادة بمقتضى التوحيدين الآنفي الذكر .

٢ - يؤمن بأن عبادته لله هي مراد الله منه ، ولا يعرف مراد الله إلَّا بالواسطة ، ولا واسطة بين الخالق والخلق إلَّا الوحي . وكلُّ مبلِّغ وَحْيٍ اظهر الله آية صدقه بالبراهين .

٣ - يؤمن بأن الوحي معصوم لا محالة ، وانه صدق وعدل وحكمة ورحمة .

وعلى المكلف أن يَتَبَيَّنَ أمر النص حتى يظهر أنه وحي ثابت ، فإذا ثبت له أن هذا النص وحي فلا يجوز له أن يشك في معقوليته من ناحية عدله وحكمته ... إلخ .

فإن فعل فقد ارتد عن إيمانه بكمال الله وربوبيته والوهيته ، لأن القدح في الشرع قدح في كمال منزِّل الشرع ، ومن ثبت له مثلًا أن الرجم من دين الله ثم ردّه بدعوى القسوة والوحشية فلا ينفعه فيما بعد الإيمان بالرجم إذا أُقيم له البرهان على معقوليته وحكمته وانه رحمة للأمة . لأنه في الأولى لم يستسلم لدين ربه ، وفي الثانية استسلم لعقله . وإنما ينفعه أن يجدد إيمانه .

٤ - يرد على بعض نصوص الوحي - بعد صحة ثبوتها - الاختلافُ في فهم المراد منها لاحتمال دلالتها . كما فُهِم مما سبق انه يرد على النص الشك في ثبوته . وضياع الشرع إنما ياتي من اختلاط غيره به حتى لا يتميز ، كما ياتي من تحريف لفظه حتى يتغير مفهومه ، كما ياتي من احتمال دلالته احتمالاً لا بيان له .

والمسلم يؤمن بأن شرع الله محفوظ متميز مفهوم ، ويؤمن بأن مفهوم الشرع : إما معين محدد لا يقبل تاويلًا ويأثم من خالف ظاهره ، وهذا النوع هو ما جرت به السيرة العملية .

وإما مفهوم غير محدد - وإن كان متعيناً في علم الله - وهذا النوع الأخير جعل الله في الاختلاف فيه (بقدر ما تسمح دلالته) مغفرة ومعذرة ، واجراً للمخطىء واجرين للمصيب .

وضمانة هذا الأمر - من ضرورة الشرع - من وجوه :

اولها : ثبت بالنص الشرعي الذي لا احتمال في ثبوته ودلالته : أن الله نَزَّلَ الشرع وانه حافظٌ له . فمن ادَّعىٰ أنه لا مجال لتمييز الشرع عن غيره ، أو انه لا مجال لفهمه فقد كذَّب ربه ، وتحلَّل من عبادة ربه واحكام شرعه بحريته واختياره .

وثانيها : أنه ثبت بالنص الشرعي الذي لا احتمال في ثبوته ودلالته : أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، وانه لا وحي بعده ، وأن دينه للناس كافة إلى يوم القيامة . فمن ادَّعى ضياع الشرع فقد كذب ربه ، لأنه ادعى ضياعه قبل انتهاء الأجيال ، والله أخبر انه رضي هذا الدين لجميع البشرية إلى يوم القيامة .

وثالثها : أنه ثبت بالنص الشرعي الذي لا احتمال في مفهومه ودلالته أن الله أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ، ثم ختمهم بمحمد ﷺ .

فمن ادعى ضياع الدين قبل نهاية الأجيال فقد ادعى على ربه انه لم يظهر حجته على خلقه .

ورابعها : أنه ثبت بالنص الذي لا احتمال في ثبوته ودلالته ان امة محمد ﷺ خير امة أُخرجت للناس ، وانهم شهداء على الناس . وامة محمد آخر الأمم . فمن ادعى ضياع الدين فقد كذَّب ربه بان امة محمد شاهدة على الأمم وانها خير الأمم ؛ إذ كيف تكون خيراً ، وتكون شهيدة وقد ضاع دينها ؟!

هذه هي الضرورة الشرعية عن حفظ الدين وتمييزه وفهمه ، وقبل أن اتجاوزها إلى الضرورة الحسية احب أن أشير إلى ثمرتها في عمل وعقل ووجدان المسلم ، واضرب المثال لذلك بخبر الواحد العدل .

فالأصوليون مختلفون : هل يقتضي العلم والعمل ، أم العمل فقط ، أم لا يقتضيهما ؟

وهذا الاختلاف يتسع له الصدر فيما يُبَلِّغُه الآحاد العدول من حكايات وآداب وثقافات وتجربات غير أمور الشرع .

اما إذا بلَّغ الواحد العدل خبر الشرع ، وسَلِم خبره من معارض أصح : فلا بد أن يكون خبره مقتضياً للعلم والعمل معاً بيقين لا مرية فيه . وليس ذلك لأن هذه صفةُ كلِّ خبرِ واحدٍ عدل ، وإنما الماخذ في ذلك : أن تدبير الله الكوني قضى بأن يكون جمهور الشرع - الذي لا يُفهم القرآن إلَّا به ، ولا يتم الشرع بسواه - بطريق خبر الواحد العدل .

وقد ثبت بتدبير الله الشرعي أن الشرع محفوظ ، فوجب ضرورة أن يكون تدبير الله الكوني محققاً وضمانة لحفظ تدبيره الشرعي .

قال أبو عبد الرحمن : قلت لكم : إن الله حفظ شرعه بظاهرات من تدبيره الكوني الذي لا حيلة لأحد في تبديل سننها ، وأن تلك الظاهرات مشهودة في الواقع الحسي بعيان ليس عليه غبشة . فإليكم بيان هذا ايضاً من وجوه :

١ ـ ثبت بالقواطع النقلية كيفية السيرة العملية لمبلغ الشرع رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم قولاً وفعلاً واعتقاداً . ثم كانت هذه السيرة ظاهرة اغلبية في القرون الأولى الممدوحة المفضلة .

ثم كانت هذه السيرة ظاهرة غريبة في اواخر الزمان الذي تكون فيه غُربة النُّزَّاع

أمتن برهان على حفظ شرع الرحمن

وغربة الإسلام . وورد في الخبر الشرعي الصحيح ان اولئك النزاع طائفة منصورة لا يضرهم من خذلهم .

وورد الحديث الصحيح في السنن وغيرها : ان الأمة تفترق ثلاثاً وسبعين فرقة ، ، وان الحق مع واحدة .

وحصل الاختلاف واقعاً حسياً ولا يزال ، وورد الخبر الشرعي الصحيح ان امة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة ، لان الله جعل عصمة الإجماع عوضاً عن ختم الرسالة . فلو اجتمعوا على ضلالة لكانوا يحتاجون إلى نبي آخر يُبَيِّن لهم .

كل هذه الأمور التي ذكرتها هي مقتضى خبر الله الشرعي .

ثم جاء تدبير الله الكوني بحدوث الفرق والاختلاف ، ووجد ان كل مخالف محتج بالكتاب كما قال ملحد المعرة :

وكم من فقيهٍ خابطٍ في ضلالة
وحجَّته فيها الكتاب المنزَّل

ثم وجدنا سبب الاختلاف غير المأجور : إما تحريف دعوى النص ، وإما الادعاء عليه ، وإما استبداله ، وإما تعطيله .

ووجدنا بتدبير الله الكوني حفظ السيرة العملية لرسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، وحفظ الله لنا بتدبيره الكوني ايضاً سِيَرَ علماء الأمة ورجال اهل الفرق ، وعلمنا بالاستقراء والمشاهدة والمقارنة من هو اشد مطابقة للسيرة العملية ، ومن هو أعظم شبهاً بها ، ومن هو ابعد عنها . فضمنَّا بذلك معرفة سِيمَا الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها . وعلمنا بذلك سِيمَا من يلزمنا إجماعه . وجعلنا هذه السيرة العملية محكاً ورجحاناً لما اختلف فيه المختلفون .

فكانت هذه السيرة هي المأمن والمرجع لما اختلف فيه من امور العقيدة ، لان اهل هذه السيرة لم يختلفوا ، ولان فهمهم لنصوص الشرع هو الأسعد بدلائل اللغة وملاحنها التي نزل بها الشرع .

ثم راينا أهل هذه السيرة ذاتهم اختلفوا في فهم احكام شرعية : فعلمنا ان نوعية هذا الاختلاف هي الاختلاف المرحوم الذي يسع فيه الاجتهاد ويكون المخطىء ذا اجر واحد .

وعلمنا ان اي اختلاف ليس من نوع ما اختلف فيه اهل هذه السيرة : فإنه الاختلاف المحرم .

قال ابو عبد الرحمن : فصح بذلك ان ما لم يختلف فيه اهل تلك السيرة العملية من السلف الصالح فلا يجوز ان يُحدث فيه خلافٌ جد .

وصح بذلك ان ما لم تمض به سيرة عملية من السلف الصالح في أمور العبادة فليس من دين الله ومحال ان يصح به خبر شرعي كأعياد الموالد ، فلم يُقِمْ ابو بكر رضي الله عنه مولداً لرسول الله ﷺ وهو أحب الناس إليه ، ولم يقم عمر رضي الله عنه مولداً لابي بكر وهو من احب الناس إليه .. وهكذا ، وهكذا . وصح ان ما اختلفوا فيه فجائز ان يُحدث فيه راي جديد ، وبهذا تبطل دعوى بعض الأصوليين : ان الحق لا يعدو اقوالهم .

قال ابو عبد الرحمن : والبرهان على ذلك ان الله جعل الاجتهاد والصواب حظاً مشاعاً للعلماء لم يخصَّ به جيلاً دون جيل . فما فتحه الله لا يجوز لأحد ان يقفله .

وبرهان آخر : وهو ان الله حث عقول البشر وحواسهم على التدبر ، وجعل فهم بعض المعاني لشرعه موكولاً إلى خبرة المسلم الدنيوية .

وقد استجدت معارف بشرية لم تكن عند السلف الصالح ، واستجدت وسائل للمعرفة لم تكن لديهم ، وجعل الله هذه الوسائل والمعارف مُعيناً على فهم بعض نصوص الشرع . فدلالة العلم الحديث على ان القمر اقرب الأفلاك إلينا مما يحصل بها الرجحان في تفسير النص الشرعي الآن بحيث يطمئن المجتهد ان القمر دون السماء . وعالم الحشرات اليوم يتحفنا بحقيقة علمية نفرح

• إنَّ قواعد الفكر البشري في التوثيق ليست هي التي حفظت الدين ، وإنَّما شهد تطبيقها على أنَّ الدين محفوظ . •

• يجب ألَّا يستفزنا الإرهاب الفكري الحديث فنسوي بين الإسلام ونصوص الشعر والتاريخ والمخطوطات ... •

• كل عالم بالحق ، معاند فيه ، متعمد للتضليل ، مستكبر عن الاستسلام شبيه باليهود والمشركين ، فهم عالمون بالحق لكن أنوفهم متورِّمة . •

● جعل الله تعالىٰ الاجتهاد والصواب حظّاً مشاعاً للعلماء ، لم يخص به جيلاً دون جيل ، فما فتحه الله لا يجوز لأحد أن يقفله . ●

بها في تفسير الآية الواردة عن النحل ولا نجدها في تفسير السلف الصالح . وقد يتفضل الله على المتاخر بلماحية وجه الحق فيما غاب عن سلفه ما دام الموضوع مما يسع فيه الاختلاف .

وفضل القرون السالفة إنما هو في الجملة لا في الأفراد . فطيّب الذكر !! ابو نواس من اهل القرون الممدوحة ، ولكن يوجد في ذَنَب الدنيا من لا يقاس بابي نواس من عامة المسلمين فضلاً عمن يجدد للأمة امر دينها .

٢ — وجدنا للأمة المسلمة ـ بمقتضى تدبير الله الكوني ـ خصيصة لم تكن لغيرها من الأمم ، وهي تحمُّلُ واداء شرع الله بالرواية والإسناد . واقتضى تدبير الله الكوني ان يكون القائمون بهذه الخصيصة المحققون لها من عدول الأمة اهل المطابقة والمشابهة لسيرة المصطفى ﷺ وصحابته ، وان تكون بداية عملهم منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم وإلى ان تم تدوين المأثور الشرعي ، وان يكون هذا العمل مستبداً بجهودهم وقدراتهم ، وان يكون ذلك صفة الكمال عندهم . وحبّب الله إليهم هذا العمل وحلّاه في قلوبهم فضربوا آباط الإبل شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وقنعوا من حياتهم بالبلغة ، وجعلوا ذلك جزءاً من العبادة ، والعبادة احب شيء إليهم . ووجدنا تحقق الإسناد واتصاله وعدالة ناقليه شرطاً عندهم لصحة ثبوت الشرع .

كل هذا هو تدبير الله الكوني ، فعلمنا علم اليقين انه مصداق لتدبيره الشرعي . فالقائمون بهذه الخصيصة هم العلماء كافة وهم امثل اهل عصرهم ديناً وورعاً وعدالة : فمن المحال ان يشغل الله اولياءه بما لا عائدة فيه في امور دينهم ، وبهذا علمنا ان الإسناد من الدين ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك وغيره : (الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء) .

ولمّا ضمن الله حفظ الدين : لم نجد في عمل عدول الأمة وعلمائها غير تحقيق الإسناد : فتعين بذلك ان ما تمخضت عنه جهودهم من نتائج علم الرواية هو الضمانة الكونية لمصداق خبر الله الشرعي بحفظ الدين على سبيل اليقين او الرجحان .

قال ابو عبد الرحمن : وبالمعادلة عندنا نقيضان آخران : احدهمـا : دين من لم يتكفل الله بحفظ دينه . وثانيهمـا : نِحْلة من خالف السيرة العملية للسلف الصالح . فهذان الطرفان روايتهم نقل بلا إسناد ، او إسناد إلى غير معصوم ولا حجة .

ولما اخبر الله ـ بواسطة رسوله ﷺ ـ عن الطائفة المنصورة في كل زمان : علمنا علم اليقين ان الأمة لا تخلو من ﴿ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ .

ولما عيَّن الرسول ﷺ القرون الممدوحة ورأينا علم الإسناد في القرون الممدوحة : علمنا ان جمهور اهل تلك القرون من المسلمين ﴿ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ بما جسروا عليه من علم التجريح ليحفظوا دين الله من الكذب .

٣ — قضى تدبير الله الكوني بأن القرآن منذ نزل وإلى ان تقوم الساعة : لا حيلة لأحد في تحريف نصه تحريفاً ينطلي على احد من المسلمين مع شدة دواعي المبطلين وعظم جهودهم لتحقيق هذا المطلب ؛ ذلك انه لا يخلو عصر ولا مصر من حُفَّاظ لكتاب الله في صدورهم مع تواتر نقل المصحف الإمام .

ومنذ ان اقتضى تدبير الله الكوني ان تنهض الأمة بعلم الإسناد والرواية وإلى ان استقر التدوين : أَمِنَ اشد الأمن ان يدّعي مدّعٍ حديثاً لم يفرغ منه السلف الصالح بحكم محقق . وإنما انحصرت جهود المبطلين في تحريف معاني الشرع لا نصوصه .

والمسلم الجاد لا يبتغي فهم دين ربه ممن لا يامن صدق تعامله مع ربه ، وإنما اراحه تدبير ربه الكوني بثوابت لا يسع فيها الاختلاف جرت عليها السيرة العملية ، واراحه تدبير ربه الشرعي بتحديد مجال اجتهاده واشترط عليه الصدق في تحري الحق وطلب البرهان . فقد نهانا ربنا ان نقفو ما ليس لنا به علم ، وندبنا إلى طلب البرهان وحسن القصد .

وحسن القصد هو تحري مراد الله .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ﴾ .

فالبغي عدول عن مراد الله .

وقال تعالى عن اهل الكتاب : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ .

فهؤلاء عدلوا عن بعض مراد الله .

قال ابو عبد الرحمن : اما اليهود الملاعين فشبيهة بهم كل عالم بالحق معاند فيه ، متعمد للتضليل ، مستثقل لأداء الحق ، مستكبر عن الاستسلام كالمشركين الذين قال الله عنهم : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ فهم عالمون بالحق ولكن آنافهم متورمة ، والله المستعان .

رمضان

بقلم : سعد صادق محمد

الله عزَّ وجل هو الذي يصطفي ويختار ... يصطفي المرسلين والأنبياء ... والمصلحين والقادة ... ويختار الأمكنة والشهور ، وفي هذا يقول الله : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ (القصص : ٦٨) .

فالأنبياء والمرسلون اصطفاهم الله لإبلاغ رسالاته إلى الناس وحمل مشاعل الخير والهدى والإصلاح لهم ، يقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ (آل عمران : ٣٣) ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي** ﴾ (الأعراف : ١٤٤) .

كذلك يختار الله من الأمكنة ما يجعلها تمتاز عن غيرها ... فيجعلها مهابط للرسالات ، ومثابة للتقديس والعبادة ، ومن الأماكن التي اختارها الله : الوادي المقدس ، يقول الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ** ﴾ (طه : ١١ - ١٣) .

ومنها : القدس ، يقول الله تعالى : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾ (الإسراء : ١) .

كذلك يختار الله من الأزمنة ليالي يجعلها مواسم لنزول رحمته وبركته ، وأوقاتاً لهبوط استجاباته ، نعرف ذلك من قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** ﴾ (الإسراء : ٧٨) ، وقوله : ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ (القدر : ٣) .

رمضان شهر القرآن

وعلى سنة هذا الاصطفاء والاختيار الإلهي للبشر والأمكنة والأزمنة جرى اختيار الله لشهر رمضان المعظم ، فاصطفاه على سائر الشهور ، فهو الشهر الوحيد الذي صرح الله باسمه في القرآن الكريم ، حيث يقول : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

ولقد جاء تكريم الله لهذا الشهر بسبب نزول القرآن في إحدى لياليه التي وصفها الله في آيتين من سور القرآن ، فوصفها في الآية الأولى بأنها ليلة مباركة ﴿ **حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (الدخان : ١ - ٦) ووصفها في الآية الثانية بأنها ليلة ذات قدر - وهو الشرف وعلو المكانة - ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ (القدر : ١ - ٣) .

فالقرآن كان ولا يزال من أكبر النعم التي امتن الله بها على عباده المسلمين ، إذ يقول الله في هذه المنة : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (المائدة : ١٥ - ١٦) .

القرآن ... والبشرية

دعا القرآن إلى أمور كثيرة من أجل خير البشرية ، كان من أبرزها :

* **أنه فك عن العقل الإنساني أغلال التقليد والجمود ليتيح له العمل والحركة ، والنظر في ملكوت السموات والأرض ، لينتفع بما سخر الله للإنسان في الحياة ، إذ كان الإنسان في عصور الجهل والغفلة مقلداً لغيره ، تابعاً لآبائه وأجداده ، حتى فقد حرية الإرادة والتفكير ، وصارت أعماله التعبدية قائمة على التقليد الأعمى والمحاكاة المذمومة .**

* **أنه أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور العلم ، لأن**

شهر القرآن والذكريات

الإنسان إنما ترتفع قيمته بالعلم ، ويعلو شأنه بالمعرفة .

والجاهلية تعني الجهل بالعلم[1] النافع الذي جاء به الإسلام ، وليس المقصود بالجهل ، عدم الإلمام بالقراءة والكتابة ، كما يعتقد بعض الناس .

نعم ، المقصود به فعل الشيء بغير علم ، وعدم إدراك المعاني الحقيقية له ، فمن غفل عن الشيء ، ولم يدرك مواضع الحق والصواب فيه ، فهو جاهل ولو حصل على أعلىٰ المؤهلات ، فالجاهلية في أيام البعثة المحمدية ، كانت تجهل الحقائق التي جاء بها الإسلام ، ولم تدرك المعاني السامية التي نزل بها القرآن الكريم لإسعاد البشرية ، وترقية حياتهم ، مع أن العرب ـ في ذلك الوقت ـ عُرفوا بالفصاحة ، وقوة البيان ، وطلاقة اللسان .

* أنه انتشل الناس من حياة الذل للحجر ، وأنقذهم من عبادة البشر ، وهداهم إلى طريق الله ، ليفردوه وحده بالعبادة والذل والرجاء ، فالله جل شأنه ما أرسل الرسل ، وما أنزل الكتب إلَّا ليحقق الناس في أنفسهم كلمة (لا إلـٰـه إلَّا الله) أي : لا معبود بحق إلَّا الله ، وإلى هذا يشير قول الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

* أنه حطَّم الفوارق بين بني الإنسان وأعلنها في صراحة وقوة أن الناس أمام الله سواء ، كلهم لآدم وآدم من تراب ، فلا فرق بين أبيض وأسود ، أو حاكم ومحكوم إلَّا بمقدار ما يقدمه من عمل صالح يبتغي به وجه الله ، وإلَّا بمقدار ما يستقر في قلبه من التقوىٰ ، يقول الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات : ١٣) ويقول الرسول ﷺ : « كلكم لآدم وآدم من تراب » [البخاري] « لا فضل لأحد على أحد إلَّا بالتقوىٰ » [الطبراني] .

* أنه أرشد الناس إلى طريق الخير ، والابتعاد عن الشر ، ورسم لهم طريق الحرية والسعادة ، ونص في آياته على وجوب اتباع رسول الله محمد ﷺ ، لأنه القائم بهذه المهمة ، يقول الله تعالى : ﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف : ١٥٧) .

مكانة شهر رمضان عند الله

وإذا كان هذا هو القرآن ... وإذا كان هذا هو أثره في حياة الناس جميعاً ، فلا عجب إذا كان الله قد رفع قدر شهر رمضان ـ لنزول القرآن في إحدى لياليه المباركة ـ وأعلىٰ شأنه ، وعظَّم أيامه ، ورسم للناس أسلوب تكريمه ، ومظهر تعظيمه ، فافترض على المسلمين في بقاع الأرض جميعها صوم هذا الشهر الذي أُنزل فيه القرآن ، وجعل هذا الصوم ركناً من أركان دينهم ، وعنصراً هاماً من عناصر القوة في الإسلام .

والتقوىٰ والهداية غاية من غايات الصيام ، يقول الله عزَّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣) . ويقـول : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ... ﴾ (البقرة : ١٨٥) .

فحين نصوم شكراً لله على نعمة إنزال القرآن ، فإن الصيام هنا خير موصل إلى حقيقة الهداية .. هداية الصائم بالقرآن في أخلاقه وأعماله وسلوكياته ، وخير موصل أيضاً إلى حقيقة التقوىٰ ، لأن الصيام أنسب وقت لاتصال الصائم بالله ، فهو يعرف مقام ربه في هذا الوقت وهو مكفوف القلب عن التفكير في المعاصي ، مكفوف الجوارح عن إتيانها لكل ما يغضب الله ، ومن هنا تتولد في نفسه ملكة التقوىٰ فيخلص وجهه لله ، ويصفي روحه من دخان المادة وغبارها .

فإذا خرج المسلم من هذا الشهر بنعمتي الهداية ،

رمضان شهر القرآن والذكريات

والتقوى ، انتفع بهما في حياته ، واستطاع أن يسد على نفسه منافذ الشر ، وأبواب الهوى ، وأن يغرس في قلبه الخُلُق والفضيلة والأدب ، والرغبة في عمل الخير والبر .

إيحاءات رمضان

ولم يكن رمضان مجرد اسم زمني لشهر معروف ضمن شهور الله في السنة ، وإنما له عند المسلمين إيحاءات تهتز لها قلوبهم ، وتنشرح بها صدورهم ، وتسمو بها أرواحهم ، وتتفتح بها عيونهم على كل معاني الخير ، فالذين يفهمون رمضان ويعرفون ميزاته وخواصه ، يدركون هذه المعاني الجليلة ، فالمؤمن في هذا الشهر يخلع نفسه من أكدار الحياة ومشاغلها ، وينتقل إلى لذة روحية يسعد بها طوال الشهر ، فهو يبدأ صيامه بقوله : باسمك اللهم صمت . فيعيش نهاره لا يقول إلَّا خيراً ولا يعمل إلَّا ما يرضي الله ، فإذا أفطر قال : باسمك اللهم أفطرت . ومن ثم يقضي ليله راكعاً ساجداً ، مسبحاً ، داعياً ربه ، مرتلاً قرآنه .

وهكذا يفعل طوال شهر الصيام ، فإذا انتهى الشهر ودار الزمن دورته ، وعاد له رمضان بأيامه ولياليه ، أوحت له هذه الذكريات بمعانٍ روحية تحمل كل جميل وجليل .

وإذا كان لشهر رمضان هذا الإيحاء الروحي عند المسلمين لكونه شهراً فرض الله عليهم صيامه ، فإن أحداثاً عظاماً وقعت خلاله .. أحداثاً توحي بالنصر والغلبة وتمكن السلطان للمؤمنين بالله ، المدافعين عن عقيدته ، المقاتلين من أجل رفع كلمته وتحكيم شريعته .

وتوحي لنا كذلك بوقوع الهزيمة لفلول المشركين ، الذين

> ■ « إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ، وإن جهل عليه أحدٌ فليقل : إني امرؤ صائم » . ■
>
> [حديث شريف]

وقفوا موقف العداء والشر والصلف للدعوة الإسلامية ، وتربصوا بالرسول ﷺ **والمؤمنين به ليقضوا عليهم وعلى دعوتهم .**

ومن هذه الأحداث التي وقعت في شهر رمضان نذكُرُ بأهم حدثين هامين كانت لهما آثار عظيمة في تاريخ الدعوة الإسلامية .

أولهما : غزوة بدر الكبرى : تلك الغزوة التي كان لها دوي هائل زلزل عرش الباطل ، وهدم أركان الفساد ، واقتلع جذور الشرك والخرافات ، وهوى بمكانة طواغيت وزعماء قريش .

وقعت هذه الغزوة الكبرى في الثامن عشر من رمضان في السنة الأولى للهجرة ، وانتصر المسلمون فيها انتصاراً ساحقاً وعظيماً على المشركين .. بل كانت هذه الغزوة بداية لانتصارات باهرة حققها المسلمون بعد ذلك . وعن هذه الغزوة يقول الله تعالى : **﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ . بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ . وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾** (آل عمران : ١٢٣ - ١٢٦) .

ثانيهما : فتح مكة : إنَّ فتح مكة الذي يذكِّرنا به رمضان ، طهَّر الله فيه بيته من الأصنام والأوثان وجعله خالصاً له ، يعبد فيه وحده ، وكان بداية لامتداد سلطان دين الله بعد ذلك في الأرض ، فأصبحت كلمة الله هي العليا ، وكلمة الشرك والباطل هي السفلى .

وعن هذا الفتح يقول الله : **﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً . وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾** (الفتح : ١ - ٣) .

أين نحن من شهر رمضان ؟

هذا هو رمضان وهذه هي إيحاءاته وذكرياته ، ولنسأل أنفسنا مخلصين : كم من رمضان أتى علينا ؟ فهل انتفعنا به ؟ وهل له آثار نحسها في واقعنا ؟ وهل يترك بصماته الطيبة في حياتنا

الفكرية والعقيدية والاجتماعية ؟

الحق أن واقعنا يكاد يخلو من وجود صلة بيننا وبين شهر رمضان ، ذلك أن كثيراً من المسلمين في هذا الزمن اعتادوا صوم رمضان على أنه : جوع وعطش ، ولا أكثر من ذلك ، فهم لا يمنعون أنفسهم عما نهاهم عنه الإسلام ... فقد تعودت ألسنتهم السباب والكذب ، كما تعودوا الغش والعدوان على الناس ، وما عرفوا أن هذه الأعمال كلها تبطل الصيام وتهدر ثواب الصائم وتحرمه أجره ، وتجعله يخرج من شهر رمضان بلا أجر ، وفي هذا المعنى ورد حديث الرسول ﷺ إذ يقول : **« كم من صائم ليس له من صومه إلَّا الجوع والعطش »** [النسائي وابن ماجه] ويقول : **« من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »** [البخاري والترمذي وابن ماجه] .

وليس هذا حسب فهمهم للجانب الروحي من فريضة الصيام ، بل هم يعيشون هكذا مع كل فريضة شرعها الله لإصلاح النفس ، وتقويم الأخلاق ، والتحلي بالفضائل .

أما صلتهم بالقرآن فإنها تكاد تكون مقطوعة ، ذلك لأنهم يقرؤون القرآن ولا يتدارسونه كما كان الرسول ﷺ يفعل في هذا الشهر ـ شهر القرآن ـ بل إن حظ القرآن من اهتمامهم في هذا الشهر لا يصل إلى حد الحصول على العبرة والعظة والخير ، فهم يهتمون بوضعه في حجرات المنزل ليحفظهم مما يتوجسونه من شر ، ومن عساه يصغي منهم إلى قارىء القرآن في ليالي رمضان ، فإنما يريد التلذذ بسماع صوت القارىء الحسن ، أما قلوبهم فهي بعيدة عن تدبر آيات القرآن ، وفهم معانيه ..

كيف عرف السلف رمضان ؟

أما سلفنا الصالح ، فقد كان لهم مع فريضة الصوم شأن آخر ، فهم حين كان يأتي شهر رمضان يضعون أمامهم مناهج الإسلام ، ليعيشوا معها بقلوبهم ومشاعرهم ، وهذه المناهج موضحة في سنة الرسول ، نذكر منها قوله : **« إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ، وإن جهل عليه أحد فليقل إني امرؤ صائم »** **[البخاري والترمذي وابن ماجه]** وقوله : **« يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه »** **[مالك وابن ماجه]** وقوله : **« من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه »** **[النسائي وأحمد]** ، وقوله : **« ... الصيام جُنَّة من النار كجنة أحدكم من القتال ما لم يخرقها بكذب أو غيبة »** .

على ضوء هذه المناهج الإسلامية الهادية ، كان المسلمون الأوائل يعيشون شهر رمضان ، فكان الواحد منهم يقضي نهاره صابراً على الشدائد ، متسلحاً بمراقبة الله وخشيته ، بعيداً عن كل ما يلوث يومه ويشوه صومه ، لا يتلفظ بسوء ، ولا يقول إلَّا خيراً وإلَّا صمت(٢) ، أما ليله فكان يقضيه في صلاة وتلاوةٍ للقرآن وذكرٍ لله ، تأسياً برسول الله ﷺ **في شهر رمضان ، فقد روى ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنه قال** : **(كان رسول الله ﷺ** أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة فيدارسه القرآن ، **فلرسول الله ﷺ** أجود بالخير من الريح المرسلة) .

هكذا كان الرعيل الأول من المسلمين يحيون في رمضان ، وبهذا كانت تتحقق لهم حكمة الله تعالى في الصوم ، فكانوا يخرجون من صومهم بزاد كثير من التقوى والهدى .

وهكذا كانوا يعيشون مع باقي فرائض الله تعالى .. وبهذا كانوا أسعد الناس في عصرهم فملكوا الدنيا وكانوا سادتها .

إن رمضان حين يأتي بإيحاءاته وذكرياته يفيض على الناس بالهدى والخير والمعاني الجميلة ، وجدير بالمسلمين ـ حين يستقبلون شهر رمضان ـ أن يضعوا أمام أعينهم المناهج الإسلامية الرشيدة اتباعاً للرعيل الأول من المسلمين فتستجيب لها قلوبهم ، وتصغي لها آذانهم ، وتتفتح لها أعينهم ، ليسدوا على أنفسهم منافذ الشيطان الذي أفسد عليهم حياتهم ، وفرَّق كلمتهم ، وأمات شخصيتهم ... وجدير بهم أيضاً أن ينبذوا حياة التقاليد والعادات التي ورثوها من آبائهم واتخذوها مناهج يصومون ... ويصلون ... ويحجون ... ويزكون على أساسها ..

نعم .. جدير بالمسلمين .. وهم في ظل رمضان اليوم ، أن يستظلوا بمناهج الله تعالى في هذا الشهر ، فعسى أن يكون ذلك سبباً في أن ترجع إليهم الكلمة ، ويعود إليهم السلطان ، ويستقيم لهم الحال .. والله المستعان .

---

(١) يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « العلم ثلاثة : آية محكمة ـ وهي كتاب الله ، وسنة قائمة ـ وهي كل ما صح عن رسول الله ، وفريضة عادلة ـ وهي تحتمل وجهين من التأويل ، الأول : العدل في القسمة في السهام والأنصبة ـ والثاني : أن تكون مستنبطة من الكتاب والسنة ومن معناها ، وما سوى ذلك فهو فضل » راجع : الجزء الأول من شرح السنة للبغوي .

(٢) فعل الصحابة رضوان الله عليهم ذلك إذعاناً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ

■■ لقد شرع المولى تبارك وتعالى لعباده أنواعاً من العبادات ، ليبلو بها مقدار استجابتهم لدعوته ، وجعل في ممارستها منافع دنيويَّة ، وفوزاً وفلاحاً في الدار الآخرة ، وفي مقدمة ما شرعه المولى سبحانه : فريضة « الصوم » ، كركن بارز ، وقاعدة أساسية من قواعد الإسلام الخمس التي بُني عليها صرحه العظيم .

ففي السنة الثانية من هجرة خاتم المرسلين ﷺ ، وفي « المدينة المنوَّرة » ، ولليلتين خلتا من شهر شعبان فرض صوم شهر رمضان المبارك ، ذلك الشهر الذي اختصه الله عزَّ وجلّ بنزول القرآن الكريم ، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، وما كان فيه من انتصارات باهرة ، ارتفع بها شأن الإسلام ، وقوي جانبه . ■■

بقلم : محمد رجاء حنفي عبد المتجلي

ولقد جاءت فرضية الصوم متأخرة عن فرضية الصلاة والزكاة ، وهذا من التدرج في تشريع العبادات ، فقد بدأ الحقّ جلَّ شأنه بفرض الصلاة ، وهي في ظاهرها أعمال بدنية يسهل أداؤها جسدياً ، ثم ثنَّى بالزكاة ، وهي توجب تنازل الغني عن جزء يسير من ماله لأخيه الفقير ، وأخَّر الصوم ، لأنه حرمان للنفس من أخصّ رغباتها ، وحرمان للجسم من أهم ضروراته ، وذلك يحتاج إلى عزم ، وإرادة ، ويقين ، وصبر ، وتسليم .

والتدرج في التشريع فيه رفق بالناس ، ورحمة بهم ، لأن صوم ثلاثين يوماً متتابعة ، فيه تكليف شاق ، قد لا تقبله النفس التي لا تقبل القيود بسهولة ، فكان لا بدّ من تمهيد وتأديب ، ومِرانٍ وتهذيب ، وهذا لم يغب عن الشارع الحكيم ، فبدأ بتوجيهات وعبادات ، أعقبها صيام يوم واحد ، هو يوم « عاشوراء » ، ليكون مِراناً وتدريباً ، حتى إذا فُرض شهر الصيام بتمامه لم يكن ذلك مفاجأة ، أو أمراً لم يسبق له نظير .

والصوم بين العبادات ذو طابع منفرد ومزايا خاصة ، خليقة بأن تجعله وقاية لصاحبه ، يحفظه من غوائل الانفعالات ، والتسرع في الزلل ، ويصل به إلى مراتب الرضوان ، ويكون بمأمن من عذاب الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة .

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾

يقول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٤) ، فالصيام عبادة وثيقة الصلة بما يرمي إليه الإسلام من النواحي الاجتماعية البعيدة المدى ، وعظم تدبيره للحياة ، وإن وجدنا صلة الصيام بتلك الأهداف تأتي من ناحية لم يألفها الناس ، فلا غرابة في هذا ما دمنا لا نهدف إلاّ إلى تعاليم القرآن الكريم ، نقتدي بهديها ، ونتَّخذها رائداً لنا في هذا الصدد .

فمن حكمة الصيام : قمع النفس وتهذيبها بالجوع والظمأ ، كي تكون أبعد عن الخضوع لهواها ، والانقياد لشهواتها ، وفي ذلك يقول المصطفى ﷺ : « إنَّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق ، فضيّقوا مجاريه بالجوع والعطش » .

وفي الصيام ترفّع وتسامٍ عن مشتهيات النفس ، وتنزه عن الأهواء والغرائز والنزوات ، وهذا من شأن الملائكة المقربين الذين لا شهوة عندهم ولا غريزة ، فالصائم حينئذ شبيه بالملائكة .

والصيام خير معين للإنسان على تقوى المولى تبارك وتعالى والخشية منه ، لأن النفس البشرية حين تكفّ عن الأشياء المباحة خوفاً من الله عزَّ وجل ، ورجاءً في رحمته ، وطمعاً في ثوابه ، فإن ذلك سيقودها حتماً إلى تجنب الحرام .

والصيام يحثّنا على شكر نعم الله عزَّ وجل علينا ، لأنه امتناع عن أشياء تعتبر من أكبر النعم وأعظمها ، فحين نكفّ عنها بعضاً من الوقت ندرك حقيقة قيمتها وعظم شأنها ، وهذا هو شأن الإنسان حين يفقد إحدى هذه النعم ،

قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ

إذا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ

وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ

الغزي

رَوَاهُ ٱلْبُخَارِيُّ

مطابع الدوحة الحديثة

هَدِيَّة مَجَلَّة الأُمَّة

فمتى عرف قدرها أدّى حق شكرها لمن أسداها إليه وتكرّم بها عليه .

في الصوم رأفة ورحمة

ومن مزايا الصيام أنّه يغرس في قلوبنا الرأفة بالفقراء ، والرحمة بالمحتاجين ، فمن تقرّب إلى الله عزّ وجل ساعات معدودة رقّ قلبه للذين قُدّر عليهم أن يجوعوا معظم ساعاتهم وأيّامهم فتعود به ذاكرته إلى قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ . لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج : ٢٤ ـ ٢٥) ، وإلى حديث المصطفى ﷺ ، الذي رواه عنه الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه :

(خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان ، قال : « يا أيها الناس : قد أظلّكم شهر عظيم مبارك ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى سبعين فريضة ، فيما سواه ، ومن أدّى فيه فريضة كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطّر فيه صائماً كان مغفرة له من ذنوبه ، وعتقاً لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) [الترمذي وقال : حسن صحيح] .

قالوا : يا رسول الله ، ليس كلّنا يجد ما يفطر الصائم عليه .. فقال ﷺ : « يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائماً على تمرة ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن .. وهو شهر أوّله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من خفّف عن مملوكه فيه غفر الله له وأعتقه من النار ، واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربّكم ، وخصلتين لا غناء بكم عنهما .

فأمّا الخصلتان اللتان ترضون بهما ربّكم : فشهادة أن لا إلـه إلاّ الله ، وتستغفرونه .. وأمّا الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار .

ومن سقى صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

الصيام تدريب على مراقبة الله عزّ وجل

إن في الصيام تدريباً على مراقبة المولى تبارك وتعالى في السر والعلانية ، وهذا التدريب يكون أكثر وضوحاً في الصيام أكثر من أي عبادة من العبادات ، فهو يغرس في نفس الصائم الصبر على طاعة الله عزّ وجل ، فيصبر على أداء هذه العبادة السرية ، التي جعلها الله جلّ شأنه أمانة في عنقه ، ويتعلم قوة الإرادة ، وضبط النفس التي تسرف طوال العام في مشتهياتها ، ففي كثير من الأحيان يكون الطعام والشراب في متناول يد الصائم وهو بعيد عن أنظار الناس ، ومع ذلك يكفّ عن تناولهما ،

وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ

وما ذلك إلَّا خشية من الله عزَّ وجل وعلمه بأنه يراه ويسمعه، ومطَّلع على أفعاله، وعلى سره وجهره، فيزداد إيمانه وخوفه، فلا يخاف غير الله عزَّ وجل، فينال رحمته ورضاه بفضل تأثير هذه العبادة في نفسه، وهذا يفسر قول المولى تبارك وتعالى في الحديث القدسي: [كل عمل ابن آدم له إلَّا الصوم فإنَّه لي، وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي]، [متفق عليه].

وقد ذكر الإمام الغزالي في حكمة الصوم ونسبته إلى الله عزَّ وجل معنيين:

أحدهما: أن الصوم كفٌّ وترك، وهو في نفسه سرٌ ليس فيه عمل يشاهد، وجميع أفعال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى من أعينهم، والصوم لا يراه إلَّا الله عزَّ وجل، فإنه في الباطن بالصبر المجرد.

والآخر: أنَّه قهر لعدو الله عزَّ وجل، فإن وسيلة الشيطان - لعنه الله - الشهوات، وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، ولذلك قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيّقوا مجاريه بالجوع»، وقال ﷺ للسيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: «داومي على قرع باب الجنة»، قالت: بماذا؟ قال: «بالجوع»، فإذا كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان، وسدّاً لمسالكه، وتضييقاً لمجاريه، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عزَّ وجل.

فمن هذه الجوانب وغيرها من مزايا الصيام كانت صلته بأهداف الإسلام العليا في تدبير الحياة، وإن المتأمل في هذه المزايا يلمح ناحيتين متضادّتين:

● الأولى: تتَّخذ طابعاً مادياً، فمشتهيات النفس التي يمتنع الصائم عنها هي من أهم ما تفضل به الله عزَّ وجل علينا من الآلاء والنعم، وما أجدر الإنسان أن يدرك قيمتها، ويقوم بحقّ شكرها للمنعم عزَّ وجل، لأن النعم لا تدرك قيمتها إلَّا بفقدها، فالمريض هو الذي يدرك عظمة الصحة، والأعمى هو الذي يحسّ بجلال نعمة البصر، والإنسان لا يشعر بلذَّة الرخاء والرفاهية إلَّا إذا ذاق مرارة الحرمان والشدَّة، ولا يتذوق حلاوة النصر إلَّا من صدم بقسوة الهزيمة.

وهذه هي طبيعة الأشياء وسنتها، فالأشياء لا تتميز إلَّا بأضدادها، والصائم لا يعرف قيمة الطعام والشراب إلَّا عندما يذوق مرارة الجوع، وحرارة العطش، فيدرك نعم الله عزَّ وجل عليه، فيجيء شكره على هذه النعم صادقاً خالصاً من القلب، ولعلَّ ذلك هو الذي جعل المصطفى ﷺ يرفض أن تصير بطحاء «مكة» له ذهباً، ويقول: «لا يا ربّ، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك».

● الثانية: تتخذ طابعاً روحياً معنوياً، ويتجلى ذلك في تشبيه الصائم بملائكة الرحمن المقربين، لأن الإنسان مكوّن من روح وجسد، فإذا استجاب الإنسان لغرائزه، وانغمس في شهواته مهملاً الجانب الروحي، كان إلى الحيوان الأعجم أقرب، أمَّا إذا ارتقت نفسه وعلت روحه، وسما بتصرفاته إلى كل ما يحقق غذاء روحه، بتحكمه في عواطفه، وقهر غرائزه أمام سلطان عقله وروحه، كان إلى الملائكة أقرب.

الصوم يربي العقول والأرواح

إنَّ الصيام عبادة تلتقي في هدفها مع أهداف القرآن الكريم، في تربية العقول والأرواح، وتنظيم الحياة، ويوحّد بين المسلمين في أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، ويصبغهم جميعاً بصبغة الإنابة والرجوع إلى الله عزَّ وجل، ويرطِّب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويعفّها عن الإيذاء وعن التجريح، ويسدّ على الناس باب التفكير فيه، ويملأ قلوبهم بمحبة الله عزَّ وجل، ومحبَّة الخير والبر، وينشىء قلوبهم على خلق الصبر الذي هو عدَّة الحياة، وهكذا يريد الله عزَّ وجل للإنسان أن يكون.

إننا في أمس الحاجة إلى أن نستمد من هذا الضوء الذي نسير على هديه، ونسبح في أجواء النور الإلهي، ونتصفح كتاب الله عزَّ وجل لنرى حكمته في فريضة الصيام، وهذا الضوء الذي نسير على هديه في فهم حكمة الصوم، هو: نظرة القرآن الكريم للإنسان على أنَّه بشر يعيش على ظهر هذه الأرض.

إن هذا النور المضيء من رأي القرآن الكريم في بشرية الإنسان، وتعريفه بقدره حتى لا يتعداه إلَّا بالعمل والجدّ، هذا النور يزخر بالمعاني أمام الناس ليتدبروا القرآن الكريم، ويدركوا تدبيره لشؤون الدنيا، وتهذيبه للنفس البشرية، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

■ « أيّما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيّما مؤمن سقىٰ مؤمناً على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم . » ■ [حديث شريف]

أَقْفَالُهَا ﴾ (محمد : ٢٤) .

على ضوء هذا الهدي يجب علينا فهم القرآن الكريم وإدراك ما فيه ، وأن ما عرف من سنن الحياة النفسية وقوانينها هو من توجيه القرآن الكريم ، لأنه الأداة التي لا يمكن أن نصل بغيرها إلى حقائق مطمئنة عن معاني الحياة التي نعيشها ، فهو الهادي إلى سواء السبيل ، وإلى الصراط المستقيم .

الصوم مدرسة أخلاقية

لقد جعل المولى تبارك وتعالى من الصوم مدرسة أخلاقية ، يتلقى فيها المسلمون المبادىء الهادية ، ويتعلمون الدروس النافعة .

وقد نجحت هذه المدرسة النجاح كله ، وآتت ثمارها ، وذلك عندما طبّق المتعلمون ما تعلّموه كله ، وتعاونوا على البر والتقوىٰ ، ولم يتعاونوا على الإثم والعدوان ، فكانوا في الأمة الإسلامية هداة مرشدين ، يعلّمون الناس مبادىء الإسلام نظرياً وعملياً ، فيشع الإيمان من قلوبهم ، وتنطق به حواسهم ومشاعرهم ، إخلاصاً نادراً ، وخلقاً نقياً ، واستقامة فائقة المثال ، والحياة عندهم ليست غاية حتى تنفق في المتاع القليل الفاني ، والعرض الهزيل الضئيل ، فهم يزهدون في الدنيا ويحتقرون لذّاتها ، ولا يجرون وراء شهواتها ، وغالباً ما كان بعضهم يفطر الأيام المتتابعة على التمر والماء ، فإن ظفر في يوم من الأيام باللبن إلى جانب التمر اعتبر ذلك فضلاً عظيماً ، وأشفق على نفسه أن يسأله المولى تبارك وتعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم عن هذا البرّ وهذا النعيم .

أثر الصوم في المجتمع

للصوم أثر جليل وعظيم في المجتمع ، بيد أنّ هذا الأثر لا يتم ولا يكتمل إلّا إذا فهم المسلمون حقيقة الصوم وأدركوها كما فعل أسلافهم ، فإذا فعلوا ذلك صار للصوم أثره الفعّال في إصلاح المجتمع الإسلامي ، وضمان نجاح تقدمه نحو الازدهار .

إننا لمحتاجون أشدّ الاحتياج إلى فهم واعٍ لحكمة الصيام ، بل وللعبادات كلها ، وفي أشد الاحتياج - أيضاً - إلى تربية نفسية لتطبيق تشريعات الإسلام ، حتى تؤتي ثمرتها المرجوة في تهذيب النفس ، وسمو السلوك الإنساني ، ورقي المجتمع الإسلامي ، ولمّا كانت النفس البشرية توّاقة إلى معرفة ثمرة عملها ، متلهفة إلى إدراك جزاء كفاحها وجهدها ، فقد أوضح المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ما أعدّ الله عزّ وجل للصائمين الذين جاهدوا أنفسهم ، وحاربوا نزواتهم ، فألجموا أطماعهم ، وخاضوا أشرس معركة أمام أهوائهم ونزعاتهم ، فقال ﷺ : « إن في الجنة باباً يقال له : الريّان .. يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟.. فيقومون ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق ، فلم يدخل منه أحد » [متفق عليه] .

ويبيّن لنا المصطفى ﷺ في حديث آخر ما اختص به المولى تبارك وتعالى أمّة الإسلام في شهر رمضان دون غيرها من الأمم ، فيقول ﷺ : « أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً لم يعطهن نبي قبلي :

أما الأولى : فإنه إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان ينظر الله إليهم ، ومن ينظر الله إليه لا يعذبه أبداً .

وأمّا الثانية : فإنّ الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة .

وأمّا الثالثة : فإنّ الله يأمر جنته ، يقول لها : « تزيّني لعبادي الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي » .

وأمّا الرابعة : فإنّ رائحة أفواههم حين يُمْسون تكون أطيب من ريح المسك .

وأمّا الخامسة : فإنّه إذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعاً ، فإن العمّال يعملون ، فإذا فرغوا من أعمالهم وُفّوا أجورهم » .

ولقد كان المصطفي ﷺ يستقبل هذا الشهر الكريم بالفرح والسرور ، ويهنىء أصحابه - رضوان الله تعالى عنهم أجمعين - بمقدمه ، ويحثهم على الطاعة والإنابة ، وكان ﷺ يقول : « لو يعلم العباد ما في رمضان لتمنّت أمتي أن تكون السنة كلها رمضان » .

فلنكن كرماء أخياراً حتى يكرمنا الله عزّ وجل ، ويضاعف لنا في الأجر والمثوبة ، ولنتذكر على الدوام قول المصطفى ﷺ : « أيّما مؤمن أطعم مؤمناً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيّما مؤمن سقى مؤمناً على عطش سقاه الله من الرحيق المختوم ، وأيّما مؤمن كسا مؤمناً على عري كساه الله من حلل الجنة » .

اللهم وفقنا إلى ما تحبه وترضاه ، وطهّر قلوبنا ، وأرشدنا إلى طريق الخير ، واهدنا سواء السبيل ، وحقّق لنا كل ما نصبوا إليه ونرجوه ، وانصرنا فأنت خير الناصرين ، وأنت نعم المولى ونعم النصير .

كلمة

مضمون الرسائل

□□ اثارت قضية (الفتاة المسلمة والمجتمع الجامعي) - التي طرحناها تحت هذا الباب - اهتمام كثير من الإخوة القراء ، من الجنسين ، وعلى المستويات كافة ، حيث تدفقت رسائلهم - التي لمّا تنقطع حتى الآن - للإسهام في المناقشة ، وإثرائها بالرأي ، ولعرض تصوراتهم - من خلالها - حول القضية ..

ولعلّ ابرز ما يميز هذه الرسائل ، الطابع الإيجابي الموضوعي الذي يطبع الآراء والأفكار بنبرة صادقة ، لا تخلو من الحماس ، الأمر الذي يكشف عن أن الدوافع القوية للاهتمام بامر المسلمين لا تزال كامنة في القلوب ، على الرغم مما نلاحظه أحياناً من بعض المواقف السلبية في مجتمع المسلمين ، وقد يحتاج الأمر - فقط - لإثارة هذه الدوافع إلى أن يشعر المسلم بجدية الطرح وصدق النية في محاولة البحث عن الحلول .. والأمر المؤكد - تاريخياً ومن خلال التجربة - أن حاسة المسلم في هذا الخصوص لا يمكن خداعها على الإطلاق ..

اما من ناحية التناول - الذي عالجت به الرسائل جوانب القضية - فقد اتسع نطاقه ، ليغطي عناصر كثيرة - مثل : طلب العلم ، وحق العمل ، وواقع المجتمع خارج الجامعة ، والاختلاط بالنسبة للرجل وبالنسبة للمراة ، والظروف المختلفة التي تخضع لها المجتمعات الإسلامية ، والدور المناسب للفتاة المسلمة تحت مختلف الظروف و ... إلى غير ذلك من العناوين ... هذا .. ولا يسعنا إلا أن نعبر عن تقديرنا للجهود التي يساهم بها الإخوة والأخوات في المناقشة .. وسوف نتابع نشر مضمون الرسائل في أعداد قادمة .. بإذن الله .. □□

سلاماً أمّاه

●● .. « سلاماً امّاه ابثه من عالمي المتفرد في كوكب خاص قُدر لي الإقامة فيه لبضعة اشهر افارقه بعدها لاتوسد ذراعيك واقنع بحضنك عالماً دافئاً نابضاً بكل معاني الحياة .

قد يهمك - امي الغالية - السؤال عن صحتي ؛ ولكن اطمئني بالاً حيث يرزقني الله غذائي كاملاً .. وإني لأحمده سبحانه إليك انك تهتمين بصحتك ونوعية غذائك مبتعدة عن المنبهات والمُسكرات - وما شابهها - وبالتالي جنبتني ما لا حصر له من المتاعب والأمراض ..

اماه .. اناجيك بخواطري هذه بعد ان وهبني المولى الكريم روحاً تنبض في كياني الصغير ، وبات من حقي ممارسة حرية السياحة في الفلك الذي تسمونه (الرحم) ..

قد اتعبك يا أمّي بصخبي وتجوالي ، ولكن اعرف انك ستنسين ذلك يوم استقبالك لي .. فما ابدع ما اسكنه الله في قلبك من حنان ورحمة وحب !

اعلم انك تتخيليني في رؤاك في اجمل التقاطيع واحسن الصور ؛ بل والطف ما خلق الله من الأولاد .. والمحك تضمين إلى صدرك ملابسي - المنتقاة - تلثمين اطرافها وقد زغردت جوانحك في نشوة عارمة ؛ واحياناً اتسمع إلى عزف اناملك الرقيقة - وهي تدندن باغنية الامومة العذبة - على جدران عالمي المتكور فارقص طرباً ، ويتجاوب معي نبض قلبك الجيّاش باعذب الأماني والأحلام .

نعم يا أمّاه .. هكذا تتخيلينني ..

اما صورتك التي حددتُ ابعادها من الآن فلا تقلّ - برايي - حجماً عن مدى تصوراتك عني ولن اكتمها عنك آملاً الترفق بها ، فمهما بلغت من شان فلن تزيد عن كونها احلام كائن جنيني يفترش شط الرحم - السويعات - في جلسة تاملية هادئة قبل مواصلة رحلته الفريدة .

اغمض عيني - امي الغالية - واسبح في رؤاي إلى اليوم الذي احلّ فيه ضيفاً مكرماً عندكم ، وتتفتح خلايا السمع لدي على الحقيقة العميقة الخالدة (الله اكبر .. الله اكبر) في الأذان وإقامة الصلاة .. ثم تحنكين فمي الصغير بشق تمرة اتشوق إلى طعمها وهضمها كما تهضمون طعامكم ..

اتخيل نفسي في دفء المهد انصت - عفواً - إلى حديثك مع والدي عن الاسم الذي سأعرف به دائماً داعياً الله لكما بالتوفيق في حسن الاختيار ..

حتماً يا أمي ستحتويني ذراعاك الحانيتان في ضَمٍّ جسمي الصغير إلى صدرك حيث الغذاء الرباني الجاهز ، والعطف الإنساني الدافق ؛ ساخرة بالمستحضرات الغريبة البيضاء والمسماة (الألبان المجففة) .. وهازئة بتخرصات ادعياء العصرية والتمدن الذين يريدون سلبنا اللقمة النظيفة والمحضن الشرعي بحجة الحفاظ على رشاقة (!!) الأم ولو على حسابنا - نحن المستضعفين - ولا ذنب لنا إلّا انّا جئنا إلى الدنيا بالرغم من مساعيهم

بقلم : أمـــة اللـه الـو د و د

الحثيثة لاستئصالنا ووادنا بشتى الطرق والأساليب والدعايات .. واحمد الله يا أمي انك لم تُزهقي روحي البريئة او تؤجلي زيارتي الدائمة - إلى ما شاء الله - إليكم لأكون فرداً صالحاً نافعاً لأهلي ومجتمعي وبني جنسي كما يريد الله .

أمّـــاه .. اتخيلك يقظة في سكون الفجر تتسللين من مخدعك وراء ابي تتهجدان وترتلان القرآن الكريم في الغرفة المجاورة لانعم بنوم هادىء ؛ ولكن انّى لي السكوت عن مشاركتكما التعبد ؟! ومعذرة يا أمي إن جعلتك تهرولين بشوق لحملي ، وتذرعين الغرفة ذهاباً وإياباً مهدهدة إيّاي حتى يستحيل صراخي غناء اصمت بعده قريراً لمتابعتك وانت تعاودين تسبيحك واستغفارك او ترتيلك آيات القرآن .. التي ارتاح لسماعها وإن كنت لا اعي معانيها ..

ويشتَطُ بي الخيـال لأتصورك - أمي العزيزة - جالسة على مقربة مني بعد فراغك من مشاغل منزلنا وبيدك كتاب قيم تتابعينه دراسة وتفهماً ؛ وتودين إكماله لمناقشته مع ابي او صديقاتك او جاراتك .. وتاتيك اصواتي الصارخة المتباكية وكاني استبق الزمن مطالباً بحقي الهام في التغذية الفكرية السليمة والمناسبة تماماً كاهتمامكم بطعامي وشرابي والعـابي .. ولا يهدا بالي حتى استوطن حضنك متابعاً معك الكتاب رغم جهلي بعدُ بالقراءة .. وكم يحلو لي - عندها - أن اعلق بورقة منه ، او اصر على تغطية اسطر بيدي لأرى مقدار شغفك بالذي تقرئين .. وعندما اكرر لعبتي - المكدرة - تلجئين إلى إغرائي بالغناء حيث تراقصينني في حجرك على انغام اناشيد مسجلة اشتم منها عطر الفن الالتزامي الهادف الممتع .

أمّـــاه .. اجري في تصوراتي لأتابع نفسي وقد ترعرعت قليلاً وبدات اتعامل مع الوسط الاجتماعي وانت تتابعينني في كل حركة وسلوك إرشاداً وتقويماً ولم تسلميني إلى نساء ذوات وجوه غريبة يحملن اسم (المربيات !!) وكـل همهن العمل على تاصيل طقوسهن الدينية الغربية ومعتقداتهن المريبة في نفوس النشء المسلم ، وتفريخ الإلحاد والتغريب في محيط الأسرة المسلمة وذلك في غفلة من اولياء الأمور او تجاهلهم وتقليدهم الأعمى للشكليات المستوردة ..

قد لا تتصورين مدى سعادتي وحيويتي وتطلّقي وانت بحضورك الواعي والدائم في هذه المرحلة الخطيرة في حياتي .. ولعل هذا مرده إلى حسن تفهمك - أمي -

سلاماً أُمَّــاه

لأهمية دورك الفاعل كام ومربية على خلاف ما تقترفه نسوة كُثُر ـ للأسف ـ راين ان دورهن ـ كامهات ـ يقف عند الإنجاب ثم تحمل الواحدة منهن اللقب الاجتماعي : ام فلان ، بعدها تاخذ اولادها ـ الأمانة ـ وتزج بهم في معتقلات مزخرفة تسمى (الحضانات) تُغتال فيها براءة الطفولة بابشع الصور ، ناهيك عن المخططات المشبوهة التي يجري تنفيذها في (الحضانات الأجنبية) بهدف تفتيت عقلية الصغار وإعادة صياغتها بما يكفل تبعيتها المطلقة لقوى الشيطان الأحمر او الأبيض او الأصفر .. وتكتمل المأساة عندما يقضي الطفل بقية يومه بين بيوت الجارات ـ وما امرّها من مناخات ـ او الأقارب ، او يُترك في البيت وحده لانشغال امه بترهاتها وملذاتها ، وإن انصفنا لقلنا انانيتها العمياء ...

أُمَّــاه .. حبيبتاه .. اتخيلك في برنامجك التربوي الدقيق والشامل قد حفظت طريقة (تربية الأولاد في الإسلام) واحلت بيتنا روضة غنّاء تعبق منها تراتيل الطهارة والنقاء دون ان يدنسها ذاك الشوك الدامي اللعين (التلفاز) واخيراً (الفيديو) اللذان يتعاونان على الإجهاز على البقية المتفضلة من النخوة في عقول مسلمي اليوم ؛ كبيرهم وصغيرهم ، ولا ادري لماذا الصغار بالذات هم اكثر ضحاياهما ؟ ولعلَّ ذلك يرجع ـ يا أمي ـ إلى الجهالة والغباء الفكري اللذين رانا على قلوب من بيدهم ازمَّة التوجيه الأسري ممن يدعون ـ زوراً ـ بالمربين !! والأقسى من ذلك انهم يتطاولون علينا ـ معشر الصغار ـ بالاتهام الباطل باننا لا نفهم ولا ندرك ما نسمع ونرى .. وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يشير إلى جهلهم المفزع بحقيقة تكويننا العقلي الذي لديه استعداد مفتوح لاستيعاب كل ما يُعرض عليه ، وقابليته للاحتفاظ بتلك النقوشات قد تكون عجيبة إذا قلت بانها تبقى مدى الحياة ؛ بل وتتدخل لتحديد مسار صاحبها حسب قوتها وعمق تاثيرها ..

وهناك ـ أُمَّــاه ـ مصيبة اخطر وحماقة اكبر يرتكبها هؤلاء الآباء والأمهات في ادعائهم التمدن والانفتاح !! ويطالبون بضرورة تثقيفنا ـ هكذا ـ بالمعلومات والأفكار ـ وخاصة في مجال الغرائز ـ حتى تتكون لدينا الخلفية الواضحة إذا ما كبرنا !! ولا يعلم هؤلاء انهم يذبحون حقنا الطبيعي بالاستمتاع في حياة بريئة ننعم فيها بالتدرج البدهي في سلم نموّنا دون أن تُضغط مراحلُ نحن في غنىً عن نتائجها الوخيمة التي تصيبنا بعدم الاتساق او التوازن ؛ وهذا ما نلمسه في انفلات الضوابط الأخلاقية وضحالة المستويات الثقافية ، التي يعاني منها شباب اليوم ، وليد هذه التربية المنحرفة ورضيع علقمها وجدب مقوماتها ..

أُمَّــاه .. اتخيلك في رداء الصلاة الأبيض وقد جلست على سريري جاعلة من ليلي سلسلة مشوقة من القصص الهادفة التي تجعلني اعايش الأنبياء والمجاهدين ، والعلماء والحكماء وحتى عوالم النبات والحيوان ؛ فاحس خدراً لذيذاً يغمر روحي وهي تحلّق في هذه الأجواء الشفافة ولا استفيق منها إلَّا على مسحة حانية من يدك المتوضئة في البكور وقبل تسابيح العصافير لأصاحب والدي مغتبطاً إلى المسجد حيث ارى فيه القدوة العملية للسلوك الملتزم المسؤول .

اجل يا أمي .. إن خيالاتي المجنحة عن معاشي في ظلال دوحك لا يحدها خيال ، واعلم ان الطريق طويل وشاق لتجعلي مني خليفة لله في ارضه ، وأدرك كم تكلفك رعايتي وتعهدي لأكون (قرآناً) يمشي بين الناس اجمع بين جوانحي خاصية العلم والتقوى والأدب والجهاد ، وافخر باني ابنك .. وهذه مهمتك ـ أمَّاه ـ فانت تعلمين قبلي ان صناعة الرجال الشرفاء وظيفة المراة الصالحة التي تزرع في قلوبنا القرآن فنحيل الكون عطاء مقدساً اصله ثابت وفرعه في السماء ..

إن عظمة النبت وخير عطائه إنما يدل على حصافة المتعهد الساقي الذي لم يُتلف امانة الله ووديعته .. بل إن تربيتي وتقويمي وتنشئتي وفق النهج الإسلامي العظيم سيعفيكما ـ والديَّ ـ من الوقفة الرهيبة امام الحق سبحانه وتعالى لمناقشة الحساب وسؤالكما عما فعلتما بي حتى سن الرشد . لذا اناشدكما ـ ابويَّ ـ ان تكونا على مستوى المسؤولية المنوطة بكما كمربيين ، ولعل ندائي من هذا المكان يصلكما وتتعاهدان معاً في اتفاق مبرمج سليم لتربية ولد لكما قد يتحرج مستقبلاً من مصارحتكما بمثل هذا الحديث الشجي في لحظات واقعية كهذه ..

امــاه .. إن جنينك المقيم في قراره المكين يودّ ـ هامساً راجياً ـ ان تكون امه اختاً لأسماء والرميصاء ، وشقيقة لسمية والخنساء ، ووريثة لمريم والزهراء ..

أُمَّــاه .. يا من ساكون تسبيحة من صلاتها ، وترنيمة من دعواتها ؛ اعاهدك ان اكون مسلماً يعرف كيف يحيا ربيعاً مؤمناً ، وإذا قضى فورعاً تقياً ثابتاً يحبو إلى الفردوس ويلزم جنةً تحت قدميك منّة وتفضلاً من الله سبحانه ..

أحييك ـ أمي ـ داعياً الله لك حسن الإيمان وخير العمل .. واستاذنك الآن للإبحار في محيطي الدافيء الفريد .. ومرة ثانية .. سلاماً .. أُمَّاه . ●●

يارمضان

لَمَّا دَنَوْتَ انهالَتِ الأشْواقُ   وَهَفَا إليْكَ الوالِهُ المُشْتاقُ
لَكَ غُرَّةٌ كالشَّمْسِ في رَيْعانِها   في كُلِّ ناحِيَةٍ لها إشْراقُ
لَكَ طَلْعَةٌ فيها الحياةُ بَهِيَّةٌ   تَرْنُو إلى قَسَماتِها الأحْداقُ
لَكَ في حياةِ المُسلِمينَ مآثِرٌ   طابَتْ وطابَ لَهُمْ بِهِنَّ مَذاقُ
أرْوَيْتَهم من وحيِ ربّكَ كوثراً   لِلَّهِ هٰذا الكَوْثَرُ الدَّفَّاقُ
وَمَنَحْتَهُمْ نوراً يُضيءُ قلوبَهُمْ   وقلوبُهُمْ مِنْ قَبْلِ ذاكَ مَحاقُ
وَوَهَبْتَهُمْ عِظَةً تُبَدِّلُ غيَّهُمْ   رُشْداً وَيَسْطَعُ نَجْمُها الألّاقُ
والدِّينُ لِلأدْواءِ طِبٌّ بارِعٌ   والدِّينُ إنْ غَلَبَ الهوىٰ تِرْياقُ
فَأَعِدْ « لِتُسْعِدَنا » زيارَتَكَ التي   تَرْبو بها الحَسَناتُ وَالأخْلاقُ
رَمَضانُ أرْشِدْنا .. وَعِظْنا نَتَّعِظْ   إنَّ القُلوبَ بِما وَعَظْتَ رِقاقُ
فالآيُ تُتْلىٰ والمُرَتِّلُ خاشِعٌ   والزَّوْرُ يَدْفَعُهُمْ إلَيْكَ لحاقُ
واللَّيْلُ تَمْلَؤُهُ العِبادَةُ والتُّقىٰ   وَتَزينُهُ الدَّعواتُ والإشْفاقُ
والصَّوْمُ طُهْرٌ لِلنُّفوسِ وَعِفَّةٌ   والصَّائمونَ إلى الهُدىٰ سُبَّاقُ
والرَّوْحُ وَالرَّيْحانُ مَوْعِدُ أهْلِهِ   وَجَزاؤُهُمْ يَوْمَ اللِّقاءِ وِفاقُ
والسَّاهِرونَ الذَّاكِرونَ الرَّاكِعو   نَ السَّاجِدونَ ... لِرَبِّهِمْ عُشَّاقُ
وَبُيوتُ رَبِّكَ بالتُّقىٰ مَعْمورَةٌ   وَلِصَفْوَةِ المُتَهَجِّدينَ رِواقُ
وَلَقَدْ يُنادي القُدْسُ بَعْضَ رِجالِهِ   فَهَلِ اسْتَجابَ رِجالُهُ وَأفاقوا ؟
يا قُدْسُ .. هَلْ لكَ مِنْ نَصيرٍ مُنْقِذٍ   يَرْعى الحِمىٰ إلَّا الفَتىٰ العِمْلاقُ
جُنْدِيُّكَ المَجْهولُ يَطْلُبُ ثأرَهُ   والثَّأرُ عِرْقٌ نابِضٌ خَفَّاقُ
سَتَعودُ « إنْ شاءَ المُهَيْمِنُ » ظافِراً   وَسَتَرْتَوي بِأذانِكَ الآفاقُ
وَسَيَكْتَوي بالغَيْظِ كُلُّ مُكابِرٍ   لَمْ يُؤْوِهِ عَهْدٌ وَلا ميثاقُ
وَرِثَ الغِوايَةَ خالِفاً عَنْ سالِفٍ   فَنَمَتْ علىٰ آثارِها الأعْراقُ
رَبَّاهُ أمْطِرْنا سَحائِبَ رَحْمَةٍ   فَلَنا مِنَ العَمَلِ الضَّعيفِ وَثاقُ
قَصُرَتْ خُطانا وَاسْتَبَدَّ بِنا الهوىٰ   وَاغْرَوْرَقَتْ بِدُموعِنا الآفاقُ
وَلَنا إلَيْكَ « علىٰ يَقينٍ » رَجْعَةٌ   وَلَنا إلى يَوْمِ الجَزاءِ مَساقُ
أمَّا مِنَ العَمَلِ الكَريمِ فإنَّني   خِلْوٌ وَكُلُّ صَحيفَتي إمْلاقُ
لي في المَعاصي خِطَّةٌ مَيْسورَةٌ   وَيَحُوطُني مِن فِعْلِهِنَّ نِطاقُ
يا أيُّها الضَّيْفُ المُلِمُّ بِساحِنا   لَكَ في مَجالِ المُصْلِحينَ سِباقُ
يُهْديكَ شاعِرُكَ الوَفِيُّ قَصيدَةً   تَزْهو بِضَوْءِ سُطورِها الأوْراقُ

شعر : محمد السيد الداودي

في بريطانيا:
مؤسسات متقدمة

استطلاع

■■ منذ ان بدأ الضعف يدب في جسد الإمبراطوريتين الإسبانية والبرتغالية ، كانت بريطانيا تمد أطرافها لترثهما ... وفي فترة وجيزة تمكنت من فرض سيطرتها الاستعمارية على كثير من البلاد الإسلامية في آسيا وأفريقيا ، فعمدت لاستغلال سكان المستعمرات واستخدامهم لتحقيق نهضتها الصناعية والعمرانية .. وكَوَّنت ما يعرف باسم « رابطة الشعوب البريطانية ـ الكومنولث » وسنت من القوانين ما يشجع أبناء المستعمرات على الهجرة إلى بريطانيا ، لا لتلقي العلم وتوسيع المدارك ولكن لممارسة الأعمال التي يعتبرها المستعمرون « مهينة وحقيرة وشاقة » .. وتدفق مئات الألوف من المسلمين المستعمَرين على بريطانيا وكانت النسبة الكبرى من بلاد الهند وباكستان وبنغلاديش .. ولم يكن همُّ المسلمين بادىء ذي بدء سوى رغيف الخبز .. ومع مرور الوقت وحصول بعض البلاد الإسلامية على استقلالها عن بريطانيا ، بدأت تتدفق نوعيات من المهاجرين تختلف عن الأولى .. وجاءت أعداد كبيرة من المبتعثين وطلبة التخصص العلمي الدقيق .. وأدرك بعضهم خطورة ما تتعرض له الهوية الإسلامية للمهاجرين الأول من إفساد وتشويه .. فعمَّروا المساجد وكوَّنوا التجمعات والمنظمات التي لم يكن همها في أول الأمر غير المحافظة على الهوية الإسلامية ودعوة المسلمين للعودة إلى الإسلام والتمسك به والإصرار عليه .. ثم تطورت الظروف وظهرت أجيال جديدة ، وُلدت ونشأت في المجتمع والمدرسة البريطانية ، ودخل الإسلام أفواج من ابناء البلد الأصليين ، وكثرت أعداد المتعلمين والمتخصصين والمثقفين المسلمين ، وأصبح المسلمون ثاني طائفة دينية من حيث العدد .. فتطور تبعاً لذلك دور ومهام كثير من المنظمات الإسلامية .. فمن المحافظة على الهوية الإسلامية وتأكيدها إلى تأصيل الوجود الإسلامي في بلد يزيد عدد المسلمين فيه على مليوني نسمة ..

من هنا نستطيع القول : إن الانبعاث الحضاري الذي تشهده الساحة الإسلامية في ديار الغربة منذ سنوات يرتبط بجو التحدي الذي كاد أن يشوه معالم هويتهم الإسلامية ، ويهدد أصالتهم ، ويقضي على ذاتيتهم ، مما اضطر بعضهم من المهتمين بالقضية الإسلامية إلى تدارك هذا الأمر ، فبرزت مؤسسات كان هدفها في البداية : المحافظة على الذات وتأكيد الهوية ، ثم أضحى بعد ذلك : تأصيل الوجود الإسلامي لا المحافظة والتأكيد فحسب ... ■■

وفي بريطانيا كثير من هذه المؤسسات .. منها : المؤسسة الإسلامية (ليستر) ، والبعثة الإسلامية في المملكة المتحدة (لندن)...

المؤسسة الإسلامية (ليستر)
[ISLAMIC FOUNDATION]

●● لا نغالي أو نجافي الحقيقة إذا قلنا : إن من ابرز المؤسسات الإسلامية المتقدمة ، ليس على مستوى بريطانيا فحسب ، وإنما على مستوى العالم الإسلامي إلى حدٍ كبير « **المؤسسة الإسلامية** » التي اتخذت من مدينة « **ليستر** » التي تقع على بعد (١٥٠) كيلو متراً تقريباً شمال غربي لندن مقراً لها .. وهي وإن تأسست من أجل الدعوة إلى الله عامة ، إلَّا أنَّ اهتمامها بالبحث العلمي والقضية التعليمية جعل لها كياناً متميزاً وفريداً في محيط هذه الدعوة **واصبحت بذلك قبلة لكثير من الجامعات والمعاهد والهيئات الإسلامية وغير الإسلامية** ، ولكل من يريد من الأفراد التعرف على الفكر والمعرفة الإسلاميين ..

تعود نشأة المؤسسة عام ١٩٧٣م ، إلى جهود فئة من المثقفين المسلمين الوافدين إلى بريطانيا طلباً للتخصص العلمي .. اتفقوا على أن يكون الهدف الأساسي من تأسيسها : دعوة المسلمين خاصة وغير المسلمين عامة إلى توحيد الله ، واتخاذ الإسلام شريعة ومنهج حياة .. كما تضمنت وثيقة التأسيس عدة أهداف أخرى إلَّا أنها في حقيقة الأمر لا تعدو أن تكون مجموعة من الوسائل لتحقيق الهدف الأساسي : الدعوة إلى الله .. غير أن محدودية الإمكانات وضيق ذات اليد أدّيا إلى أن تصبح الوسائل أهدافاً .. فإعداد البحوث والكتب ونشرها ، وإقامة المدارس والمساجد وما إلى ذلك هي من صميم قائمة الأهداف التي وضعها المؤسسون ..

صفة مميزة

■■ **وحول اهم ما يميز هذه المؤسسة عن غيرها من المؤسسات الإسلامية قال مديرها العام المهندس السيد : خرم مراد جاه :**

ـ إنَّ أهم ما يميز المؤسسة الإسلامية أنها [تهتم بمتابعة النشاط التنصيري في مختلف انحاء العالم ، وتحرص على المساهمة في المؤتمرات واللقاءات العالمية والإسلامية ، وتركز على الاتصال بالجامعات البريطانية وإلقاء المحاضرات التعريفية بالإسلام ، كما تقوم بإعداد الكتب باللغات الأوروبية المختلفة وتوزيعها على أوسع نطاق وهو ما تكاد تنفرد به عن كثير من المؤسسات الإسلامية] .

مجال عملها

وحتى يمكن إدراك الجهد الذي تبذله المؤسسة فقد يكون من الضروري تصنيف النشاط الذي تقوم به تحت ثلاثة عناوين رئيسة وهي :

١ ـ الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .
٢ ـ التعليم .
٣ ـ الإعلام والنشر .

الدعوة إلى الله

تبذل المؤسسة جهوداً كبيرة لتأسيس المساجد ودعمها في مختلف المدن البريطانية ، وتزويدها بكل ما من شأنه أن يساعد على تأصيل الوجود الإسلامي في البلاد .. وهي تشرف حالياً على خمسة مساجد ، وتقدم مساعداتها إلى سبعة أخرى ، كما **تساهم حالياً في تحقيق مشروع جامع « لندن الشرقية » الذي تقدر تكاليفه بمليوني جنيه إسترليني ..**

لتأصيل الوجود الإسلامي

من ناحية أخرى تهتم المؤسسة بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام ، وتستخدم لذلك الوسائل الممكنة التي تتناسب مع العقلية والنفسية الغربية .

القضيــة التعليميـة

تهتم المؤسسة بالقضية التعليمية وتعطيها الأولوية في برامجها .. وتتخذ من المساجد قاعات لتعليم أبناء المسلمين تلاوة القرآن ومبادىء الإسلام .. ويتلقى الآن ستمائة طالب وطالبة دروساً إسلامية في المساجد الخمسة التي تشرف عليها .. كما أنَّ هناك مائة آخرين يحفظون القرآن .

وقد استطاعت المؤسسة أن تعد عشرين كتاباً للأطفال تدور موضوعاتها حول سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ، والحضارة الإسلامية .

وتنظم المؤسسة دورات تعليمية يمكن تصنيفها إلى ثلاث :

١ ـ دورات تعليمية طويلة حيث تقدم المؤسسة منحاً سنوية للدراسات فوق الجامعية لخريجي كليات الشريعة والتربية في العالم الإسلامي .. مدتها سنة ، يقوم خلالها الطالب بإعداد بحوث ودراسات حول قضايا إسلامية ..

٢ ـ دورات متوسطة الأمد ـ لفترة أربعة أشهر ـ يلقي خلالها الطلاب مجموعة من المحاضرات وفق برنامج معدٍ كما يقومون بإعداد بحوث ودراسات في مجال الإسلام والفكر المعاصر ..

٣ ـ دورات قصيرة في التدريب على الدعوة .. مدتها ثلاثة أيام ، وهدفها : إخضاع المشاركين لتمارين عملية في الدعوة إلى الله ، ولتوسيع آفاق الدعاة وتمتين فقههم للإسلام ..

تجربــة معهــد الـ « بولي تكنيـك »

للمؤسسة تجارب في تدريس المواد الإسلامية في المدارس والجامعات والمعاهد البريطانية ، يقول عنها السيد : خرم جاه :

[... عندما تزايدت أعداد الطلاب المسلمين في المدارس البريطانية ، اضطرت مديريات التربية والتعليم في بعض المدن إلى إدراج الإسلام كجزء من مقرر التعليم الديني الذي يعطى لكل الطلاب .. وقد نشأت علاقات وثيقة بيننا وبين مديريات التعليم ، خاصة وأن « المؤسسة » **هي الجهة الوحيدة التي تستطيع أن تقدم العون في مجال التعليم الإسلامي عن طريق تدريب المعلمين ، وإعداد وسائل الإيضاح من أفلام وخرائط وشرائح ملونة**] ..

ويضـيـف :

[... من المعروف أن أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات والمعاهد البريطانية يشرف عليها أساتذة ليسوا مسلمين .. وإدراكاً من المؤسسة لخطورة الأمر فقد اتفقت مع معهد الـ « **بولي تكنيك** » بمدينة « **ليستر** » على أن يقوم بعض أفراد المؤسسة بالإشراف على تدريس المواد الإسلامية في المعهد وذلك على نفقة المؤسسة .. وإلى جانب ذلك تقوم المؤسسة بتدريس اللغة العربية لمن يرغبون فيها من المسلمين وغيرهم من طلاب وأساتذة المعهد] ..

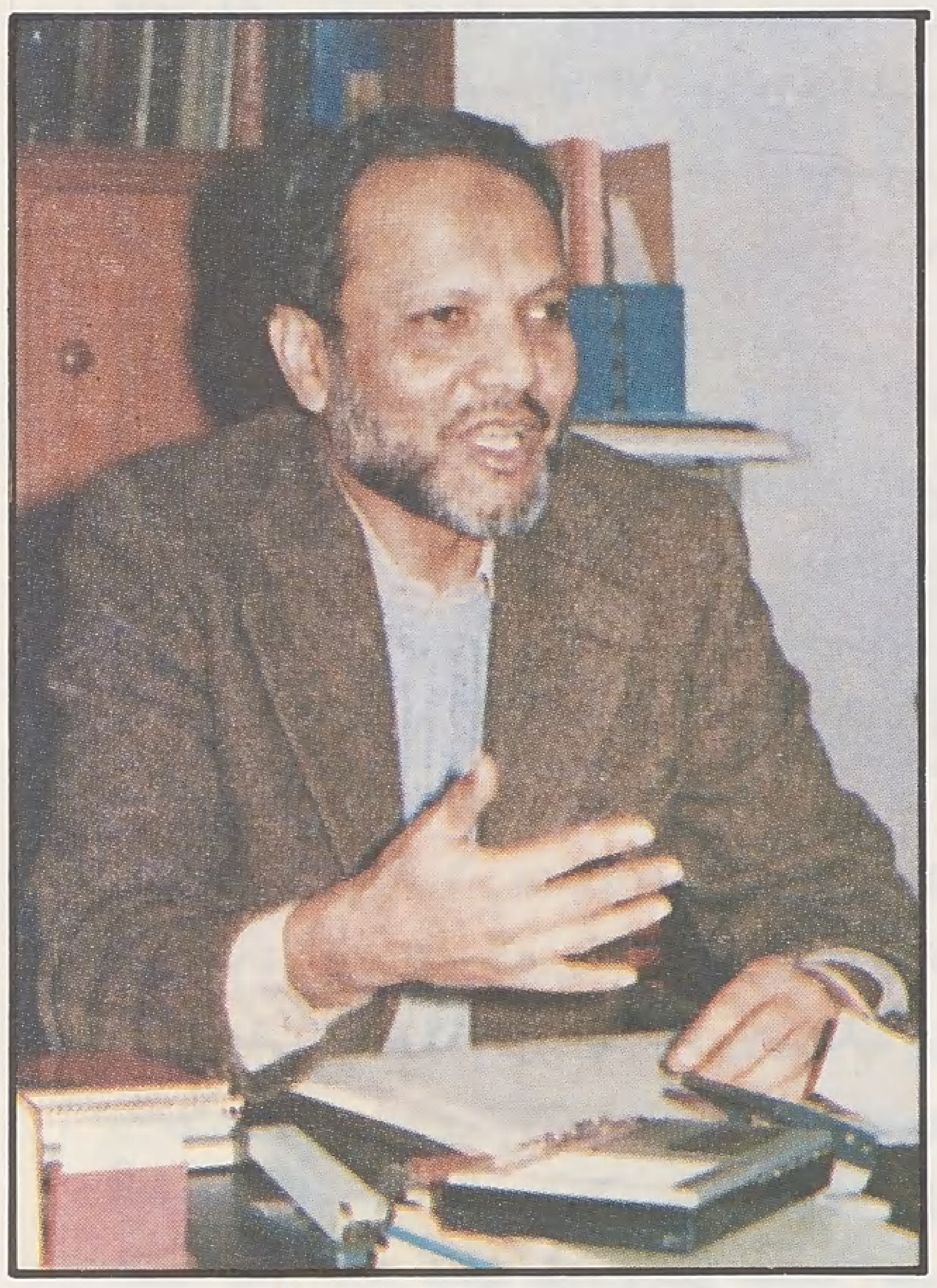

■ خرم جاه : الاهتمام بمتابعة النشاط التنصيري ■

■ رشيد صديقي : علينا أن نتميز بالإسلام ■

قسم السمعيات والبصريات

أسست المؤسسة وحدة خاصة لإنتاج المواد والبرامج السمعية والبصرية ، ليس للصغار فقط ، بل للكبار وطلاب العلم أيضاً .. وهي تعمل في ثلاثة اتجاهات :

١ ـ إنتاج برامج « فيديو » لمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين دقيقة في موضوعات السيرة النبوية .

٢ ـ إعداد أشرطة « كاسيت » تحتوي على قصص إسلامية للأطفال .

٣ ـ إعداد ملصقات تحمل بعض المعاني والأفكار الإسلامية وذلك إلى جانب الشرائح المرئية .

الإعــلام والنشر

إنَّ ما تقوم به المؤسسة في مجال الإعلام والنشر يُعد من أهم الأعمال التي تضطلع بها مؤسسة إسلامية أخرى .. وهو ما يميز « المؤسسة الإسلامية » عن غيرها .

فالمؤسسة تصدر مجلة شهرية باسم

في بريطانيا:

استطلاع

(فوكاس FOCUS) وهي مجلة متخصصة تهدف إلى توفير أهم المعلومات عن النشاط التنصيري والمؤامرات التي تحاك ضد الإسلام ..

وتصدر أيضاً منذ أربع سنوات مجلة « مسلم ورلد بوك ريفيو » ـ ربع سنوية » تهتم بنقد الكتب الصادرة عن الإسلام والمسلمين في مختلف أنحاء العالم ..

وإلى جانب هذا تقوم المؤسسة بدراسة ومتابعة نشاط الهيئات التنصيرية وذلك من مصادرها الأصلية .. وقد طبعت ونشرت أكثر من عشرين تقريراً تلقي الضوء على الوضع التنصيري في كثير من أهم مناطق العالم الإسلامي والأفريقي ..

يضاف إلى ذلك ما تقوم به في مجال تحقيق وطبع ونشر الكتاب الإسلامي في مجالات الحديث والسيرة والفكر والاقتصاد والإعلام والأدب وغيرها ، وذلك بأكثر من لغة .. وقد وزعت أكثر من مليون نسخة من مطبوعاتها في كثير من بلدان العالم .

أقليات إسلامية

تهتم « المؤسسة الإسلامية » بالأقليات المسلمة في البلاد الأوروبية التي يعتبر الإسلام في كثير منها الدين الثاني بعد النصرانية من حيث عدد معتنقيه ... وهناك خطة طموحة لإقامة مراكز في كل من فرنسا وألمانيا وبريطانيا تتولى مهمة جمع المعلومات عن المسلمين فيها ودراسة أحوالهم واحتياجاتهم ... وخطة أخرى لإقامة مركز للدراسات الإعلامية لمتابعة وكشف مخططات الإعلام الغربي ضد الإسلام ، ومركز آخر للوثائق العامة ، وقد بذرت نواة هذا المركز بنشاط متواضع يقوم به الأخ « داود » ـ وهو من أصل بريطاني هداه الله إلى الإسلام ـ ويتلخص في جمع ما ينشر من مقالات عن الإسلام في الصحف والمجلات التي تصل إلى المؤسسة عن طريق الاشتراك أو التبادل أو الإهداء ..

المسلمون في الاتحاد السوفييتي

وفي إطار اهتمامها بالأقليات المسلمة ، تولي المؤسسة اهتماماً خاصاً لمسلمي الاتحاد السوفييتي البالغ عددهم خمسين مليوناً ، ويتوقع أن يزداد هذا العدد ليبلغ عام ٢٠٠٠م ثلث مجموع سكان الاتحاد السوفييتي ..

ويقاسي هؤلاء المسلمون من مختلف صنوف الاضطهاد والكبت والقمع الشيوعي .. وإن كانوا فيما مضى كماً مهملاً ـ كما يقول السيد خرم جاه ـ إلا أنهم في السنوات الأخيرة ومع انتشار ظاهرة الصحوة الإسلامية والاتصال بمسلمي أفغانستان خلال الغزو السوفييتي لها ، بدأوا يتحركون نحو بعث جديد ..

ويضيف السيد خرم : [ونحن من خلال المؤسسة نريد أن ندرس ونتابع تطورات البعث الإسلامي في الاتحاد السوفييتي حتى نهتدي إلى الكيفية المثلى التي يمكن للمسلمين في مختلف أنحاء العالم بواسطتها أن يساعدوا إخوانهم هناك لإحياء الإسلام من جديد] .

وفي هذا الإطار شرعت المؤسسة بإقامة مركز للدراسات عن الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفييتي .. يتولى الأخ عبد الكريم ـ شاب من بنغلاديش ، أمضى ست سنوات من عمره للدراسة بالاتحاد السوفييتي ـ الإشراف على إقامة هذا المركز حيث يقوم حالياً بعملية رصد لجميع ما ينشر في الصحف والمجلات عن المسلمين في الاتحاد السوفييتي ..

نشاط في كينيا ونيجيريا

ولا يقتصر نشاط المؤسسة على مسلمي بريطانيا أو أوروبا دون غيرهم ، وإنما يمتد ليشمل بعض البلاد الأفريقية خاصة كينيا ونيجيريا .. ففي كينيا مثلاً أسست المؤسسة مكتبتين لتوفير الكتاب الإسلامي وبيعه بأسعار تقل في كثير من الأحيان عن سعر التكلفة ... كما تبث من إذاعة كينيا برامج إسلامية باللغات الأوردية والصومالية والإنجليزية وبعض اللهجات المحلية .

وفي مدينة « **اسيولو** » التي كانت تكتظ بالكنائس تمكنت المؤسسة ـ بفضل الله ـ من إقامة مجمع أطلق عليه اسم : « **مركز الفلاح الإسلامي** » بواسطة مساعدات المحسنين ...

ويضم هذا المركز مسجداً ـ وهو أول مسجد في المدينة وما حولها ـ ومعهداً لتحفيظ القرآن الكريم ، وداراً للأيتام ، ومدرسة إسلامية ـ تضم حالياً ستمائة طالب وطالبة تقريباً ، وفصولاً مسائية لمحو الأمية وتعليم الكبار من الجنسين مبادىء الإسلام والقراءة والكتابة .. كما يضم المركز أيضاً معهداً لتعليم المسلمات الحياكة والتطريز .

وبالنسبة إلى نيجيريا ، فيكفي الإشارة إلى أن المؤسسة توفر ـ حالياً ـ التسهيلات والإمكانات اللازمة لإنجاز دراسة عن حياة المجاهد « عثمان دان فوديو » ومنهج دعوته ، ونظم الدولة الإسلامية التي أسسها في نيجيريا في القرن التاسع عشر .. وهي الدراسة التي يعكف عليها في مبنى المؤسسة بـ (ليستر) الأستاذ إبراهيم سليمان من جامعة أحمدو بيلو في « زاريا » بنيجيريا .

١٥ رجلاً فقط

بقي أن نقول : إن هذه الأعمال ، على كثرتها وأهميتها ، يقوم بها العاملون في المؤسسة الذين لا يتجاوز عددهم خمسة عشر رجلاً فقط موزعين بين باحث وإداري وطالب علم .

التمويل

تحصل المؤسسة على المال المطلوب لتسيير أعمالها من الهبات وتبرعات الأفراد ، فالمبنى الذي تقيم فيه حالياً ، قام بشرائه وإهدائه لها تاجر أريتري مسلم .. وهناك منح ومساعدات تأتيها من بعض المؤسسات التعليمية في بعض الجامعات الإسلامية .. **إلا أن المصدر الأساسي** : عائد بيع الكتب التي تقوم بطبعها وتوزيعها ، ويقدر بحوالي مائة وخمسين ألف جنيه استرليني .. وفي هذا يقول السيد « **خرم جاه** » :

[... **نأمل أن يتسع نطاق توزيع وبيع كتبنا لأننا بذلك نحقق هدفين : نشر الفكر الإسلامي والحصول على المال المطلوب لتسيير أعمالنا**] .

البعثة الإسلامية في المملكة المتحدة
U.K. ISLAMIC MISSION

في يوم من أيام ديسمبر ١٩٦٢م ، التقى نفر من المسلمين في مسجد بالجزء الشرقي من العاصمة البريطانية (لندن) لمناقشة المتطلبات اللازمة لإيجاد منظمة في بريطانيا تتكفل بأعباء تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم الغربي ..

وتم الاتفاق على الإعلان عن تأسيس

مؤسّسات متقدّمة لتأصيل الوجود الإسلامي

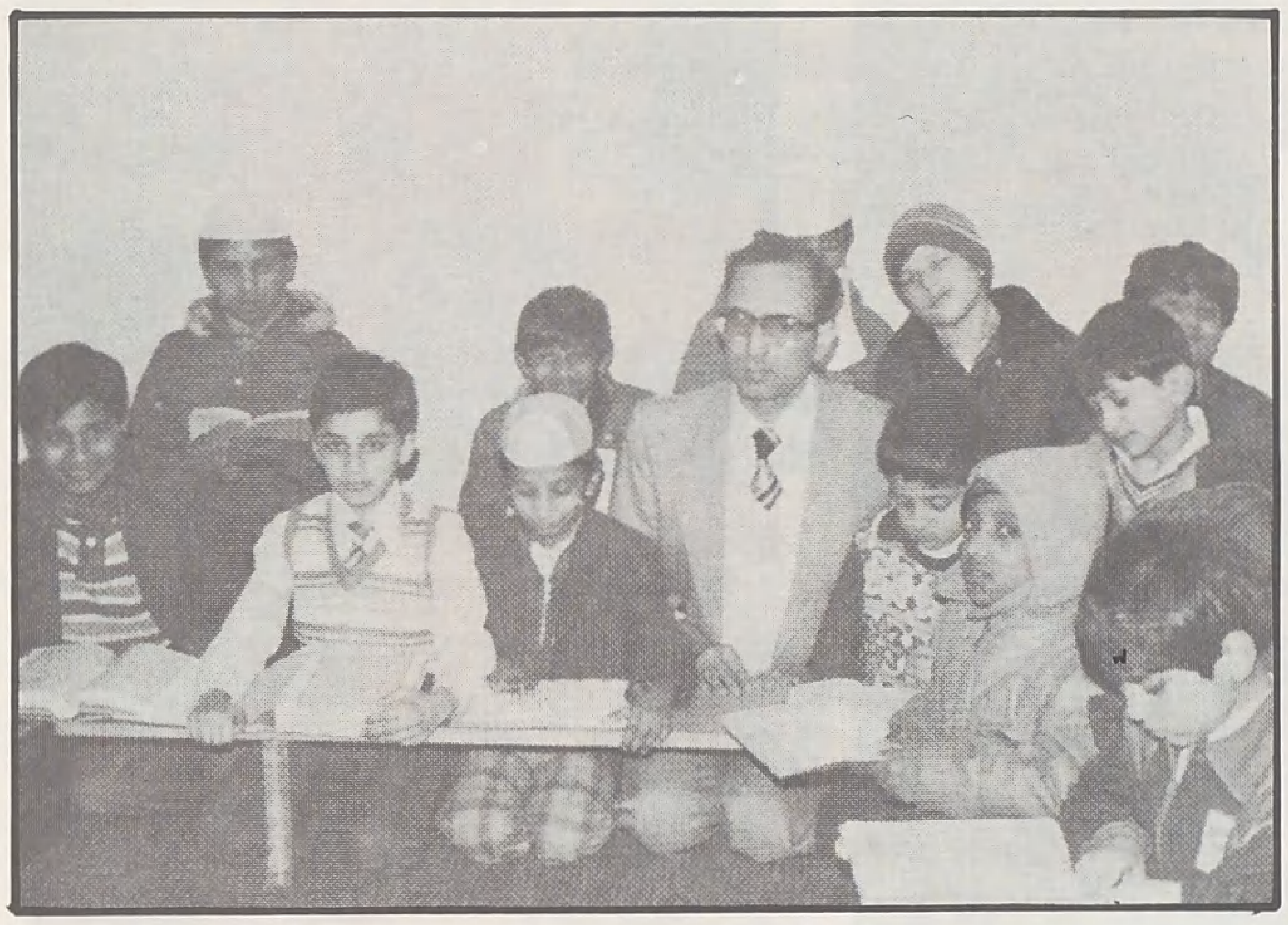

■ في مركز البعثة الإسلامية ناشئة الإسلام يتعلمون تلاوة القرآن ■

« **البعثة الإسلامية في المملكة المتحدة** » (U.K. ISLAMIC MISSION)، كمنظمة خيرية أساسها الاعتقاد الجازم بأنّ الإسلام هو الذي ينظم جوانب الحياة كلها (منهج حياة).

وتنبثق الفكرة الأساسية « **للبعثة** » من اعتقاد مؤسسيها بأنّ الفساد الذي استشرىٰ في كثير من بقاع الأرض سببه : الانحراف عن الدين الذي جاء به الرسل من عند الله سبحانه وتعالى .. وأنّ أيّة محاولة لإحداث تغيير إيجابي وثورة فكرية وإصلاح شامل لن تؤتي أُكُلها ما لم تقم على الأسس التي نادىٰ بها الإسلام ..

أهداف البعثة

■■ **من هنا ـ يقول السيد رشيد أحمد صديقي رئيس البعثة ـ :**

ـ [فإن الغاية الأساسية للبعثة الإسلامية تحقيق نظام الإسلام الاجتماعي في بريطانيا ، وإبراز المعاني التي يتضمنها قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ (الشورى : ١٣) .. أي الاستسلام الكامل لله تعالى والخضوع التام لشريعته السماوية ، بإقامة دينه .. وبذلك فإنّا نفهم الإسلام بصورة شمولية بحيث يشمل جوانب الحياة كلها من خواطر الإنسان النفسية إلى صلاته الاجتماعية ، ومن محراب المسجد إلى ضجيج الأسواق ، ومن شؤون البيت إلى أمور الدولة] ..

وبتحديد أكثر ، تتلخص أهداف « **البعثة الإسلامية** » في :

١ ـ تقديم المنهج الذي رسمه الإسلام للحياة على أساس من القرآن والسنَّة المطهرة .

٢ ـ تقوية رباط الأخوّة في المجتمع الإسلامي .

٣ ـ إيجاد علاقات وديّة بين المسلمين وغير المسلمين عن طريق العناية والاهتمام بالأمور التي تخصهم .

٤ ـ الاهتمام بأن يسود الفكر الإسلامي في بريطانيا كلها .

٥ ـ التنسيق بين جهود البعثة الإسلامية وفروعها في بريطانيا بحيث يكون لها اتصال وثيق بالعالم الإسلامي كله .

إدارة البعثة

وطبقاً لنظام البعثة الأساسي الصادر في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤م ، يتكون هيكل البعثة من المراكز والفروع والحلقات التي يجمعها نظام شوريّ ، وتتكون هيئتها الإدارية من الرئيس والأمين العام ومساعده وأمين المال ، إضافة إلى وجود لجنة تنفيذية .. مكونة من عشرة أعضاء .

ويتم اختيار الرئيس بالانتخاب المباشر ، ويقوم هو باختيار معاونيه بالتشاور مع اللجنة التنفيذية ..

وتعتبر المنطقة التي يوجد فيها أكثر من عضو واحد ، فرعاً من فروعها . أما إذا وجد منها عدة أعضاء مشاركين ولم يوجد عضو ملتزم ، أو وجد واحد فقط فتعتبر حلقة من حلقاتها ..

ويوجد في كل فرع رئيس وسكرتير يتم انتخابهما من قبل أعضاء الفرع ، ويعتبر الفرع واللجنة التنفيذية المحلية مسؤولين عن أعمال تلك المنطقة بما في ذلك الإعداد الروحي والثقافي ..

وسـائل

أدركت « **البعثة الإسلامية** » أن أهم خطوة يجب اتخاذها لتحقيق الأهداف المنشودة : إنشاء مراكز إسلامية شاملة يكون فيها مكان لإقامة الصلاة وتقديم دروس تعليمية ، ومكان للأنشطة الثقافية والاجتماعية والنسوية ، بحيث تعمل هذه المراكز على مساعدة الجالية المسلمة على تأكيد هويتها وإثبات وجودها المتميز .

وقد استطاعت البعثة أن تقيم أكثر من عشرين مركزاً في المدن البريطانية التي يكثر فيها المسلمون .. وأن تجذب إليها أكثر من أربعة آلاف ممن هم في سن الدراسة الابتدائية (٦ ـ ١٨ سنة) من أبناء المسلمين ، تعلمهم مبادىء الإسلام وقراءة القرآن ، بل حفظه أيضاً .. وقد وفق أكثر من عشرة من البنين والبنات في مركز « بيرمنجهام » لحفظ القرآن كله .. والشيء الذي يثير الإعجاب أنّ هؤلاء الحفظة الصغار ، ليسوا متفرغين للحفظ وإنما يذهبون نهاراً ـ كغيرهم من الطلاب ـ إلى المدارس ولا يأتون المركز إلَّا مساءً حيث يقضون وقتاً لا يتجاوز ساعتين .. إنهم يأتون برغبتهم طائعين ، ولذلك كان تحصيلهم عظيماً وعطاؤهم أعظم ..

ومما يزيد الإعجاب بهؤلاء الذين يواظبون على حضور دروس مراكز « البعثة الإسلامية » ، ما يقوله عنهم الأستاذ صديقي من أنهم **[يحصلون على أعلى الدرجات في مدارسهم ، ويتفوقون أكاديمياً على زملائهم في الصفوف ، كما يتمتعون بحسن الخلق والسلوك .. وقد عبر لي كثير ممن التقيت بهم من أساتذة ومديري المدارس التي يدرس فيها هؤلاء الطلاب عن إعجابهم بهم .. وقال لي أحدهم : إنّ أبناء المسلمين هم أفضل الطلاب سلوكاً وأحسنهم مستوىً] .**

ويضيف الأستاذ صديقي :

[إنّ هؤلاء الأبناء الذين يواظبون على دروس المراكز هم أكثر الطلاب احتراماً لأساتذتهم ومعلميهم .. فنحن لا نعلمهم قراءة القرآن فحسب ، ولكن السلوك الذي ينبع من القرآن والسنة .. إننا نؤكد عليهم ضرورة احترام آبائهم ومعلميهم ، وحيثما كانوا ، عليهم أن يتعاملوا مع

الآخرين ، كمسلمين .. إننا إذا أردنا أن نبقى في هذه البلاد مسلمين ، علينا أن نتميز بالإسلام ، ليس بالقول ، ولكن بالفعل والسلوك أيضاً] .

ناشئة الإسلام

■■ هل نفهم من هذا أن « البعثة » تركز نشاطها أو معظمه في صفوف الناشئة المسلمة في بريطانيا فقط ، أم أن الأمر يتعداها إلى سواها من غير المسلمين ؟

– يتركز نشاط « **البعثة الإسلامية** » بشكل رئيس وسط فئتين : ناشئة الإسلام من الأطفال والشباب .. وغير المسلمين ..

أما غير المسلمين فاعتقاداً منَّا بأننا إن لم ندخل أبناء البلد الأصليين في دين الله فليس من السهل أن نقوم بمهمة البلاغ المبين في هذا البلد ..

وأما الاهتمام بالناشئة المسلمة ، فلأن هؤلاء الصغار هم رجال الغد ، وهم الأمل الحقيقي لمستقبل سيكون للإسلام بإذن الله .. لقد ترعرعوا وشبُّوا وتلقوا تعليمهم في هذا البلد ـ بريطانيا ـ إنهم يتحدثون اللغة الإنجليزية بطلاقة كما يتحدثها أهلها .. ويفهمون أخلاقيات الإنجليز وقيمهم .. إنهم سيكونون ـ إن شاء الله ـ أقدر على أداء مسؤولية البلاغ بأفضل ممَّا نقوم به نحن الآن .

ويضيف :

من هنا جاء اهتمامنا بهم وبإعدادهم إعداداً إسلامياً .. لدينا الآن اثنان وعشرون فرعاً للشباب في بريطانيا حيث نعمل على تهيئة أماكن يمارسون فيها هواياتهم الرياضية حتى تكون بديلاً يغنيهم عن الذهاب إلى الأندية الإنجليزية لممارسة هذه الهوايات .. وهم الآن منتظمون في أندية وفرق رياضية تقوم على الخلق الإسلامي ..

وفي هذا الإطار ، يأتي ما سبق الإشارة إليه من أنَّ البعثة وضعت في قائمة اهتماماتها : توفير دروس إسلامية لأبناء المسلمين عن طريق تنظيم فصول مسائية أو عند نهاية الأسبوع داخل مراكزها المختلفة .. وبإيعاز من البعثة تمَّ عام ١٩٦٦م ، إنشاء « **الوقف التعليمي الإسلامي** » ، وهو يعمل الآن كمنظمة خيرية مستقلة في نطاق توفير التعليم الإسلامي الأساسي لأبناء المسلمين داخل المدارس التابعة للحكومة البريطانية ..

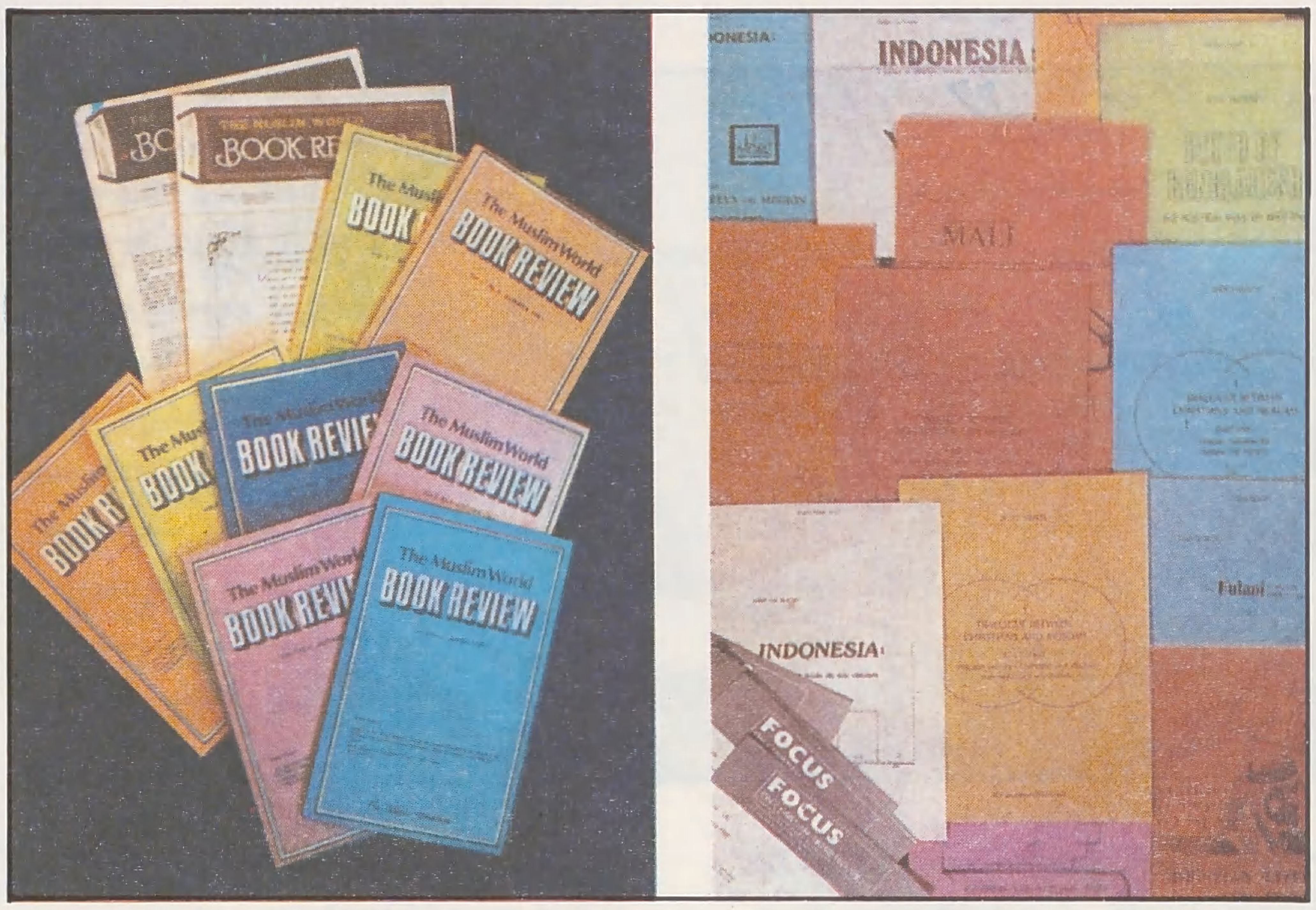

■ رصد النشاط التنصيري : تقارير ومجلات ■

أنشطة الكبار

ولا تهمل « **البعثة** » الكبار ، بل تهتم بهم أيضاً ، وتضع لهم البرامج التي تتناسب مع استعداداتهم وأوقاتهم .. وعن ذلك يقول الأخ **رئيس البعثة** :

[... لا بد لجميع الحركات الإسلامية الجهادية أن يكون أفرادها على صلة قوية بالإسلام ، صلة تقوم على إيمان راسخ وفكر ناضج .. لذلك حرصت البعثة على أن تضع في خططها برامج لتثقيف أعضائها فكرياً وعملياً بحيث أصبح واجباً عليهم دراسة القرآن الكريم والسيرة النبوية ، والاطلاع على كتابات المفكرين الإسلاميين وذلك حتى يكون لديهم رصيد فكري يعينهم على استيعاب وفهم الإسلام ومجابهة مشكلات الحياة .

وتعقد جميع فروع البعثة ندوات أسبوعية أو نصف شهرية يتم فيها تدارس القرآن والحديث ، كما يدعى كبار المفكرين المسلمين من وقت إلى آخر لإلقاء محاضرات ..

وهناك « **اجتماعات ومعسكرات** » تربوية ، تُعقد بين فترة وأخرى ليعيش المشاركون فيها الإسلام ويتعرفوا على تعاليمه بصورة قد لا تتوفر لهم في غير هذه المجالات .. هذا غير المؤتمرات السنوية التي يُدعى إليها كبار مفكري العالم الإسلامي ، ويحضرها أعداد كبيرة من المسلمين وغيرهم .

يضاف إلى ذلك أن البعثة تقوم بتوزيع الكتب الإسلامية ، وقد حرصت على أن تنشىء في فروعها مكتبات تحتوي على الكتب التي قد يحتاج إليها المسلم بصورة ملحة .. وفي هذا الإطار ، ثم إنشاء مطبعة حديثة في مدينة « بيرمنجهام » حيث يوجد أقدم وأكبر فروع البعثة ، وذلك لطباعة الكتب الإسلامية والنشرات الدورية بلغات مختلفة خاصة الإنجليزية والعربية والأوردية ..

ولغير المسلمين ـ بشكل خاص ـ أُنشئت ـ في لندن ـ دار للكتب الإسلامية ، لتوفير الكتاب الإسلامي لأهل الغرب عامة وسكان بريطانيا خاصة] ..

أنواع من الإنشطة

■■ هل يقتصر نشاط « البعثة » بين المسلمين وسواهم على الأنشطة التربوية التثقيفية ، أم يتعداها إلى الحياة الاجتماعية مثلاً ؟

– من الأنشطة التي تقوم بها « **البعثة** » أيضاً :

١ ـ **إجراء عقود الزواج ، وإصدار الوثائق الخاصة بذلك .**

٢ ـ **إقامة حفلات استقبال لمن يعتنق**

مؤسسات متقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي

■ كتب إسلامية للأطفال (المؤسسة الإسلامية) ■

الإسلام من البريطانيين .

٣ ـ الرد على الاستفسارات التي ترد كتابة عن مسائل دينية من مسلمين وغير مسلمين .

٤ ـ مواساة المسلمين في البلاد الأخرى ، إذ ترى « البعثة » أن من واجبها تقديم أي مساعدة لمن يحتاج إليها من المسلمين سواء أكانوا في بريطانيا أو خارجها .. وقد سبق أن قدمت إعانات متواضعة لمنكوبي الزلازل والفيضانات في كل من باكستان وتركيا وإيران ، وغيرها من البلدان الإسلامية .. وهي تسعى بين فترة وأخرى لجمع التبرعات والزكوات والصدقات من المسلمين ..

٥ ـ زيارة المستشفيات والسجون وتقديم بعض الاحتياجات لنزلائها ودعوتهم إلى الإسلام ...

العضوية

ولشد ما يندهش المرء حين يكتشف قلة أعداد الرجال الذين وهبوا أنفسهم لرعاية شؤون **« البعثة الإسلامية »** وتحقيق أهدافها .. فالأعضاء نوعان :

١ ـ أعضاء ملتزمون يخضعون كلياً لأنظمة البعثة .. وهؤلاء سبعة وثمانون عضواً فقط ، منهم اثنا عشر في لندن يشرفون على أربعة فروع ومركزين ، وهم الذين وصفهم الأخ « صديقي » بقوله : [إنهم يراعون الالتزام بأحكام الإسلام في حياتهم كلها .. لا يتعاملون بالربا ولا يشتركون في أيّ أعمال تنافي الإسلام .. وهبوا أنفسهم وأوقاتهم وأموالهم للبعثة خدمةً للإسلام] .

٢ ـ أعضاء مشاركون يتفقون مع « البعثة » في آرائها ونظرياتها ويعينونها على أداء مهماتها في مختلف المجالات ، كما يحضرون اجتماعاتها ولقاءاتها ولكن ـ كما يقول الأخ صديقي ـ لا يستطيعون أن يهبوا أنفسهم كلياً للعمل الإسلامي .. ويزيد عددهم في بريطانيا على عشرة آلاف ، منهم ثلاثمائة وخمسون في لندن .

المشكلة اللغوية

■■ لاحظنا أن الجمهرة العظمى من الأعضاء يعودون إلى أصل باكستاني ، مع قلة قليلة من الهند وبنغلاديش ، فكيف يمكننا تفسير هذا الأمر وفهمه ؟

ــ المنظمات الإسلامية كلها التي كوِّنت في السنوات الماضية كانت تضع في اعتبارها المشكلة اللغوية ، إذ ليس كل من يعيش في بريطانيا يجيد التحدث باللغة الإنجليزية .. وإذا كانت المنظمة تريد لبرامجها أن تكون أكثر فاعلية فلا بد أن تكون باللغة الأم للأعضاء المنضوين تحت لوائها .. وقد أدركنا نحن ذلك ، وجعلنا الأوردو اللغة الرئيسة للبعثة ، وهي اللغة التي يتحدثها الباكستانيون وكثير من سكان الهند وبنغلاديش] ..

اشتراكات الأعضاء

●● وعن مصادر التمويل ، قال الأخ رئيس البعثة :

[... ما نؤمن به أن ما ننفقه من عند أنفسنا ومن حرِّ مالنا هو أفضل مصدر لتمويل أنشطة البعثة .. وبقدر ما نبذل في سبيل الله من أموالنا ، يكون توفيق الله لنا .. ولذلك فإن كل عضو يساهم باشتراك شهري لا يقل عن عشرة جنيهات استرلينية ، وهناك من يدفع أكثر من ذلك بكثير .. كما أن آباء الأبناء الذين يحضرون دروس المراكز لهم مساهماتهم أيضاً .. يضاف إلى ذلك بعض الإعانات التي تأتينا من إخواننا في بعض البلاد الإسلامية وخاصة بلاد الخليج العربية] ..

ويضيف :

[... ورغم محدودية مصادر التمويل وتواضع حجم الميزانية السنوية (**١٥٠ ألف جنيه استرليني**) ، لم تغفل البعثة أن تقدم إعانات متواضعة إلى بعض الفقراء والمحتاجين المسلمين في هذه البلاد ويبلغ ما نوزعه سنوياً في هذا المجال حوالي عشرين ألف جنيه استرليني] ..

مشروع استثماري

■■ أمام تزايد الاحتياجات المادية ، وقلة اشتراكات الأعضاء مهما بذلوا ، واحتمال أن تقل أو تنضب المساعدات الخارجية ، أمام هذا كله ماذا فعلت « البعثة » أو تنوي أن تفعله للتغلب على هذه الأمور ، وبقائها قائمة تؤدي دورها ؟

ــ إننا نسعى دائماً من أجل أن يكون لـ « **البعثة** » مصادرها المالية الخاصة بها التي تدر عليها عائداً ثابتاً يغطي ما تحتاجه ، لذا قمنا بتأسيس شركة خاصة محدودة .. تقوم فكرتها على أن كل من يقتنع بأنشطة « **البعثة** » ، عليه أن يشتري أسهماً وأن يلتزم بدفع ٥٪ من صافي أرباحه لأنشطة « **البعثة** » ، ونسأل الله التوفيق] .

أثر الإسلام في انتشار اللغة العربيّة

■■ مما لا شك فيه أنه لا إسلام بلا قرآن ، ولا قرآن بغير اللغة العربية ، من هذه المقولة نستطيع أن نتصور هذا الارتباط الوثيق بين انتشار الإسلام عقيدةً خالدة جذبت إليها العقول والقلوب ، وانتشار اللغة العربية ، فهي الوسيلة التي تكشف حقيقة هذا النور ، والمظهر الذي يجليه للعقول والقلوب والأبصار ■■

ولك ان تتصور هذه النقلة الهائلة التي احدثها ظهور الإسلام وما اعقبه من فتوحات ، حيث كانت اللغة العربية لا تتجاوز مجالها المحدود في شمالي الجزيرة العربية ، لكنها بفضل الإسلام اصبحت اهم لغات الحضارة في القرون الوسطى ، فقد استوعبت مجالات التعبير كلها في فروع المعرفة المختلفة .. واصبحت لغة الدين والحضارة ، بالرغم من أن لهجة قريش قد حققت قدراً كبيراً من الصقل والتوحد نتيجة اللقاءات في الأسواق والأندية ، ولكن الإسلام الذي وحّد القبائل العربية وجمعها تحت راية **« لا إلـه إلّا الله محمد رسول الله »** هو الذي صقل إلى حد كبير الخصائص اللهجية لهذه القبائل ، حيث وحدتهم العقيدة ، كما وحدت الفتوحات القادرين على حمل السلاح في سبيل الجهاد ، وتوحد تبعاً لذلك لسانهم ، ولقد كان القرآن الكريم هو أهم العوامل التي صقلت وهذبت ونمّت ونشرت هذه اللغة العربية .

وزاد من هذا التوحد أن خلفاء المسلمين الأوائل ـ رضوان الله عليهم ـ لم يسمحوا لجندهم باستمرار حياتهم في المدن المفتوحة ، حتى لا تذوب طبيعتهم في غيرهم ، ممّن يفوقونهم عدداً ، فلم يسمح لهم بامتلاك الضياع في الأقاليم الجديدة ، أو اتخاذها وطناً لهم ، كانت تقام لهم المعسكرات من الخيام ، التي أصبحت نواة للمدن الكبرى في العالم الإسلامي ، وهي مدن تتميز بطابعها الإسلامي العربي في الحرب والعلم والمعرفة ، **وهكذا نشأت البصرة والكوفة والفسطاط** ، وقد أكسب ذلك الموقف اللغة العربية قوة وفتوة في هذه المناطق والأمصار التي يسكنها الجند ، كما أكسب العربية سيادة وذيوعاً في غير هذه المناطق ، باعتبارها لغة الدين الذي جذبتهم إليه مبادئه وسماحته .

وهكذا كان للإسلام الفضل الأول والأعظم في انتشار اللغة العربية ، كما تدعّم هذا الانتشار **بالفتوحات الإسلامية** وانتقال القبائل العربية المسلمة إلى هذه الأرجاء المفتوحة ، **فاخذت العربية لغة القرآن الكريم تنتشر شمالاً في فلسطين وسورية وبلاد الرافدين حتى جبال طوروس وجبال ارمينية ، ونحو الشرق من العراق إلى إيران وما وراءها ، ونحو الغرب عبر شبه جزيرة سيناء إلى مصر وشمالي افريقية ، وفي اقل من مائة عام بعد وفاة المصطفى ﷺ كان الإسلام مقترناً بالعربية قد امتد إلى سفوح جبال البرانس في المغرب ، وإلى اواسط آسيا على شواطىء نهر السند في المشرق**[1] .

ومع هذه الفتوحات شرقاً وغرباً ، وشمالاً وجنوباً دخل الناس في دين الله أفواجاً ، لكن ليس معنى ذلك أن كل من دخل في الإسلام كان عليه إجادة اللغة العربية ، وإنما كل من أراد ان يتعمق في فهم القرآن ، ويبحث في أحكامه ، وكل من اشتغل بالحديث الشريف كان عليه أن يجيد العربية ويتقنها ، وهذا الذي يفسر كثرة المؤلفات في العلوم التي دارت حول القرآن والحديث لمسلمين من أصول غير عربية .

ومن هنا فقد ارتبطت درجة تعلم اللغة العربية بعاملين رئيسين هما : الإقبال على الدين وفهمه ، والاهتمام العلمي بنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف[2] .

وفي الوقت الذي انتشر فيه الإسلام شرقاً وغرباً في فارس ومصر مثلاً ، وكانت الدواوين في هذه البلاد بغير اللغة العربية فقد تم تعريبها لتتلاءم مع المتغيرات الجديدة والتي في مقدمتها الإسلام ، وكان ذلك دعماً للغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية في هذه البلاد ، وفي جعل كثير من ابناء البلاد المفتوحة يجيدونها حتى أصبح بعضهم من كبار كتاب الدولة الإسلامية ، **وقد تم هذا التحول في اواخر القرن الثالث الهجري ـ السابع الميلادي**[3] ـ .

يضاف إلى ذلك اهتمام فريق من أبناء البلاد المفتوحة بإجادة اللغة العربية لتوظيفها في

بقلم : الدكتور سعد أبو الرضا

■ ارتبط انتشار اللغة العربية بانتشار الإسلام ، وبدافع الإقبال على الدين الجديد وفهمه ، والاهتمام العلمي بنصوص القرآن والحديث ، تعلمها وأجادها بسرعة وشغف مسلمون من أصول غير عربية ، وتركوا وراءهم تراثاً ضخماً من كتب الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك من علوم الإسلام المختلفة .. ■

مجالات فنون الأدب لأغراض شخصية لرفع مكانتهم الاجتماعية ..

وهكذا يتضح مما سبق أن الإسلام هو الذي جعل اللغة العربية موضع اهتمام الجماعات المختلفة في الدول الإسلامية ، وعلى سبيل المثال عندما أشرق الإسلام على شرقي الجزيرة العربية ، واطلعت شعوب الأعاجم على الإسلام ، وأدرك كثير منهم أن الإسلام هو الدين الحق ، كان الفرس من أسرع الناس استجابة لدعوة الحق ، يقول « توماس ارنولد » في كتابه الدعوة إلى الإسلام » بالنسبة للفرس : « على ان سكان المدن وخاصة الصناع واصحاب الحرف ، واهل الطبقة العاملة ، قد رحبوا بالدين الإسلامي واعتنقه عدد عظيم منهم في حماسة كبيرة ، وذلك لما تتطلبه اعمالهم من تركهم ديانة « زرادشت » وتقبيح عبادة النار والأرض والماء ، وهم الذين ينظر إليهم امام القانون باحتقار وازدراء ، ولما في اعتناقهم الإسلام ايضاً من تركهم في الحال احراراً ومساواتهم في المذهب الديني » .

وبالرغم من انه كانت هناك حركات مضادة ، لكنها اقل من ان تعوق المد الإسلامي عن ان يغمر بقاع المشرق في ذلك الحين ، كما ان الأتقياء لم يكونوا يؤمنون بعصبية ولا شعوبية ، وفي هذا الجو الإسلامي الخالص احب كثيرون اللغة العربية واقبلوا عليها ، فهي لغة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وهي لغة الثقافة والعلم في العالم في ذلك الوقت ، وهي لغة الامراء ورجال الحكم واصحاب الدواوين ، وهي لغة الفاتحين من قبل ، ومن بعد لغة القبائل العربية التي استوطنت المشرق وامتزجت باهله[٤] .

بل لقد مضى القرنان الهجريان الأول والثاني ، ولا يكاد يكتب في شرقي الدولة الإسلامية بغير العربية ، وكذلك كان القرن الثالث ، إلا انه شهد لغات ولهجات اخرى ، ولكن كان للعربية ملامح واضحة كثيرة فيها .

وكذلك في مصر كان الارتباط الوثيق بين تقدم الإسلام وانتشاره وتقدم اللغة العربية وانتشارها ظاهرة عامة في كل الأرجاء التي دخلها الإسلام ، ولقد كانت الوظائف القيادية يتمتع بها المسلمون ، بالإضافة إلى عامل الهيبة الذي يتمتعون به باعتبارهم الحكام ، مما اغرى مجموعة من الاقباط باعتناق الإسلام لينعموا بالمساواة في ظله ، وبما يشملهم من حقوق ورعاية ترد للإنسان كرامته ، وفي الوقت نفسه وجدنا طائفة اخرى من الأقباط يعتنقون الإسلام وقد جذبتهم إليه تعاليمه الصادقة وروحه الجديدة ، وقد عاش هؤلاء وأولئك عيشة إسلامية كاملة قوامها اللغة العربية في الصلاة والحياة الرسمية ، وهكذا كان انتشار الإسلام من أهم عوامل إحلال اللغة العربية محل القبطية في مصر[٥] .

ومن التجني على الإسلام ان يقال إنه انتشر في مصر بالقوة ، حيث إنه لا يقرر ذلك إلا المصادر القبطية المتعصبة من امثال كتاب سَوِيرُس بن المقنع[٦] « سير الآباء البطاركة » مع أن الثابت تاريخياً ان الاقباط في مصر قد تمتعوا في ظل الحكم الإسلامي بحريات دينية وغيرها لم يتمتعوا بها من قبل ، وما حدث بفارس ومصر هو ما حدث نفسه في بقية أرجاء الدنيا التي دخلها الإسلام كشمالي أفريقيا والأندلس واواسط أفريقيا وآسيا ، حيث انتشرت اللغة العربية ،لأنه كما قلنا في بداية حديثنا لا إسلام بلا قرآن ، ولا قرآن بغير العربية ، فالعربية مدينة للإسلام بحياتها إلى ان يرث الله الارض ومن عليها .

ومن هنا فإن الحفاظ على هذه اللغة واجب مقدس صيانة لهذا الدين ورعاية لقرآننا العظيم ، الذي ضمن المولى جل وعلا حفظه ورعايته ، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر : ٩) .

---

(١) انظر : العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب تأليف يوهان فك ـ ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ـ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ص ١٨ .

(٢) انظر : الدكتور محمود فهمي حجازي ـ اللغة العربية عبر القرون ، ط دار الثقافة ـ القاهرة سنة ١٩٧٨م ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق نفسه ص ٤٩ .

(٤) الدكتور حسن ناعسة ـ الكتابة الفنية في مشرق الدولة الإسلامية في القرن الثالث الهجري ط ١ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت . ص ٢١ .

(٥) الدكتور أحمد مختار عمر ـ تاريخ اللغة العربية في مصر ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة سنة ١٣٩٠هـ ـ سنة ١٩٧٠م ص ٢١ .

(٦) نصراني يعقوبي شغل منصب أسقف كنيسة أشمونين عام ٩٨٥م ، وقد حشد في كتابه هذا كثيراً من الأكاذيب التي طعن في صحتها كثير من علماء الشرق والغرب .

تصريحات وأقـوال

● الدكتور عمر فرّوخ ●

● الشيخ حسن خالد ●

● عبد الله النفيسي ●

● إسحاق رابين ●

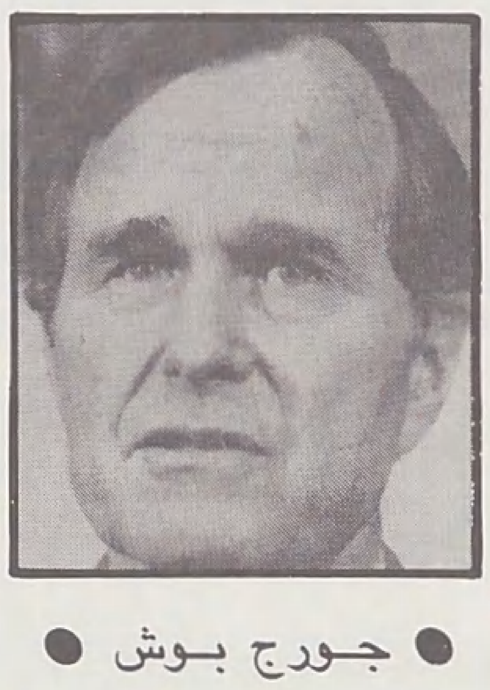

● جـورج بـوش ●

■■ [إنَّ التاريخ للأمة التي تقود موكب الأحداث لا التي تجرفها الأحداث .. إن الذين يعتقدون أن التاريخ في العالم يبدأ يوم يقيمون هم شكلاً من أشكال الحكم في بقعة ينزلون فيها ، لا يبدلون شيئاً في مجرى التاريخ ..] ■■.

(الدكتور عمر فـروخ)

■■ [عندما صدرت عن الفاتيكان وثيقة براءة اليهود من مسؤولية « صلب » السيد المسيح (١٩٦٣م) ، بدأت الاستعدادات الإسرائيلية لاحتلال مدينة القدس .] ■■

(من كتاب : « الأجراس الصامتة » « تاريخ العلاقة اليهودية البابوية » إصدار الجامعة العبرية ومؤسسة أمريكية لدراسة العلاقات الدولية)

■■ [من الصعب مكافحة ظاهرة الانتحاريين .. وظاهرة الشخص الذي يحوِّل نفسه إلى متفجرة تكاد تكون غير مألوفة لدىٰ جميع المنظمات الإرهابية الموجودة في العالم .. ولن يكون هناك مفرّ من تكييف طريقة عملنا وإيجاد أشكال مختلفة من الحرب لمجابهتها ..] ■■

(إسحاق رابين ـ وزير الدفاع الإسرائيلي « الملف : مجلد ١ ـ عدد ١٢ »)

■■ [... إنَّ الإدارة الأمريكية قد أوضحت أنها لن تبيع لأي بلد عربي أي أسلحة أمريكية من شأنها أن تهدد أمن إسرائيل ..] ■■

(جورج بوش ـ نائب الرئيس الأمريكي).

■■ [الإسلام هو الإسلام .. ليس هناك إسلام متطرف وليس هناك إسلام معتدل وليس هناك إسلام رجعي .] ■■

(الشيخ حسن خالد ـ مفتي لبنــان)

■■ [للإسلام مضامين سياسية واجتماعية واقتصادية ، وللأسف لا يتم التركيز عليها حالياً في حقل العمل الإسلامي ، بل نجد التركيز منصباً على البعد الروحي .. العبادي الشعائري ، وهو بعد ـ على أهميته ـ لا يمكن أن يكون قاعدة كافية لبناء مجتمع إسلامي .]■■

(الدكتور عبد الله النفيسي)

■■ [هناك في الولايات المتحدة الأمريكية أربع هيئات إسلامية فقط مقابل (٥٠٠) هيئة نصرانية ، وحوالي (٢٥٠) هيئة يهودية .] ■■

(داود احمد أسعد ـ أمين مجلس المساجد في الولايات المتحدة ، وعضو المجلس الأعلى العالمي للمساجد)

حول تعريب الطب

□□ كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن ضرورة تعريب العلوم ، وعن التخطيط لإنشاء جامعة عربية تدرس جميع موادها باللغة العربية ...

وقد كان لمجلة الامة دورها في هذا النقاش ، ومما كُتب فيها ، مقال قيم للأستاذ هيثم محمد الهادي عطية بعنوان : « مشكلة تعريب الطب في البلدان الإسلامية »(1) .

ولكن المقال تجاهل ـ مع الأسف ـ التجربة المتكاملة ، والوضع الذي لا يزال قائماً في الجمهورية العربية السورية ، حيث تدرس جامعاتها الثلاث المواد جميعها ، بما فيها الطب والهندسة ، باللغة العربية ...

وإنه لأمر في غاية الإمتاع تعلم الطب باللغة العربية ...

وكما ورد في المقال المذكور ، فإنَّ الأمر ـ ولأسباب علمية ـ أكثر سهولة من جهة ، كما انه اكثر جدوىً من جهة أخرىً ، حيث تتم عملية هضم المادة العلمية وتمثلها بصورة افضل ، ومن ثم تزداد إمكانات التفكير والابتكار والإبداع .

وإن الدعوة إلى التريث والتدرج والتمهل بشان تعميم تلك التجربة ، خشية الإساءة إليها وإفشالها ، ليست دعوة مشجعة ، وإن تجارب الشعوب في هذا المجال قد تنقضها ، ولقد ذكر الأستاذ عطية تجربة الأمة الفرنسية في فَرْنَسة الطب ، والتي تمت بصورة عشوائية ـ ولدوافع سياسية ـ ونجحت ؛ ونضيف لها تجربة الأمة الفيتنامية ، والتي تمت بظروف عجيبة ، حيث اتخذ قرار سياسي « بفتنمة » الطب في بداية العام الدراسي ، على أن يتم اداء الفحص باللغة الفيتنامية في نهايته .. وذلك رغم اعتراض الأساتذة والطلبة لجهلهم بلغتهم ، والتي كانت قبل الاستقلال لغة بدائية تقريباً ... وبقيت مهملة مدة ثمانين عاماً حلت الفرنسية خلالها محلها(2) .

والفيتناميون شيوعيون ملحدون .. ليس لهم قرآننا ولا إسلامنا .. ومع ذلك فهم يقدسون لغتهم تلك ... وفوق ذلك ، استطاعوا « فتنمة » الطب خلال عام واحد .. ثم تخطوا مرحلة النقل عن غيرهم إلى مرحلة إيجاد طب فيتنامي .. واستحدثوا قسماً خاصاً للطب الشرقي في كلية الطب ... فماذا فعلنا نحن ؟!.

ونعود لتجربة جامعة دمشق ، والتي استمرت دون انقطاع منذ تاسيس « المعهد الطبي العربي » عام ١٩١٩م ؛ وقد تخطى الرواد الأوائل الصعوبات جميعها التي واجهتهم بالعزيمة والمثابرة والإيمان بقيمة ما اخذوه على عاتقهم ، وإن من هؤلاء من لا يزال على قيد الحياة مثل الأستاذ الدكتور حسني سبح ؛ وإن منهم من ترك مكانه لآخرين ساروا على المنهج نفسه كالأستاذ الدكتور محمد هيثم الخياط ابن الأستاذ حمدي الخياط رحمه الله احد أُولئك الرواد(3) ...

وتمت أعمال الاشتقاق ، والنحت(4) ، والترجمة والتعريب ، مع الاهتمام بربط الطب العربي القديم بالطب الحديث . وتم وضع المؤلفات الطبية للفروع جميعها ... كما استفيد من جهود الرواد الأوائل في « قصر العيني » بمصر والجامعة الأمريكية في بيروت ، حيث درس الطب فيهما باللغة العربية لفترة محدودة .

كما وضع أولئك الروّاد معجم المصطلحات الطبية المترجم ، والذي صدر عام ١٩٥٦م في الف صفحة تقريباً(5) .

إن أي انسان يحب اللغة العربية ، ويعيش تجربة تعلم الطب بها ، لا يستطيع إلّا ان يعجب من هذا التمهل في تعميم تلك التجربة ، وإلّا أن ياسف لحال الزملاء في ثلاثٍ واربعين كلية طب في العالم العربي تدرس الطب بغير لغتها ... وإن خمسة وستين عاماً .. كانت كافية جداً ونحن ـ وقد عشناها ـ نجد للكلمات العربية الطبية رنيناً خاصاً في آذاننا ، ويدهشنا استعمال الزملاء للغات أجنبية ، حيث تتوفر مرادفات عربية خالصة لها .

وتلاحقنا التبعية .. ونتظاهر باننا لا نبالي .. ونظن هذا التفرنج تقدماً وتطوراً ، بينما الناس من حولنا قد تخلصوا من تلك العقدة ، فالفرس يدرسون الطب بلغتهم .. والأتراك .. والبلغار .. والرومان ....!!

اما حديث الصعوبات التي تواجه الطبيب الدارس بالعربية ، فهي عقبات سهلة التذليل ، رأينا تخطيها في إطار التجربة نفسها ، وحيث يتم تعلم اللغات الأجنبية ومتابعة المجلات العلمية والمؤتمرات بقدر ضئيل من العناء ؛ كذلك تتم متابعة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) خارج الوطن ، أو داخله(6) .

إنما لا تزال العقبة الشائكة تتمثل في نظرات عدم الرضا ، والابتسامات الصفراء التي يواجهها احد أُولئك الخريجين إذا خرج للعمل في إحدى الدول « العربية » ـ حتى قبل تجربته وسبر مقدرته ... ـ كما لو انه ارتكب خطأ بتعلم الطب باللغة العربية .. فكيف سيتفاهم مع طاقم التمريض والزملاء الأجانب ؟ اما المرضى ، فتاتي اهمية التفاهم معهم فيما بعد .

وإن كان هذا الوضع السلبي لن يستمر ، فهو يزيد من أهمية التجربة الطبية العربية ، والتي تبعث على الفخر والاعتزاز ، وتشعرنا بالتميز ، والالتصاق أكثر بقرآننا وتاريخنا الإسلامي(7) ، وبالناس من حولنا ، وبمرضانا . والله من وراء القصد . □□

---

(١) العدد [٤٠] ص ٣٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل ، انظر مجلة العربي ، العدد [٣٠٧] رمضان ١٤٠٤هـ .

(٣) من أولئك الرواد أيضاً كل من الأساتذة : مرشد خاطر وجميل الخاني وحكمت المرادي ... وغيرهم .

(٤) النحت هو صوغ لكلمة من لفظين أو أكثر مع تصريفها ؛ مثل الحلمأة أي الحل بالماء .

(٥) صدر بعد ذلك المعجم العربي الموحد عام ١٩٧٣م ، وتلاه معجم آخر ، قام بالعبء الأكبر فيه أستاذنا الدكتور محمد هيثم الخياط ، وهو يشتمل على (٢٣) ألف مادة في (٧٦٠) صفحة .

(٦) توجد أقسام للدراسات العليا يدرس فيها باللغة العربية في فروع الطب جميعها ، وهناك مشروع قيد التنفيذ لشهادة تعادل البورد (Board) على نطاق الوطن العربي .

(٧) نحن نستعمل كلمة « خديج » للدلالة على الوليد قبل تمام الحمل (Premature) بكافة اشتقاقاتها (خداج .. إخداج ..) ، ولقد كانت سعادتي غامرة وأنا أقرأ الحديث الشريف الذي ورد في الصحاح ، وكأنني وجدت كنزاً ، إذ وجدت فيه تلك الكلمة : وهو قوله ﷺ : « من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن ، فهي خداج ، فهي خداج ، فهي خداج غير تمام » .

بقلم : الدكتورة نحلاوي

تأمّلات حول
مأساة الدول النامية

الجوع والفقر

■■ الجوع والفقر وجهان لعملة واحدة .. يتم تداولها بصورة كبيرة في غالبية الدول النامية .. أيهما ينتج عن الآخر ؟.. أو أيهما يولّد الآخر ؟..

الحقيقة انهما نتاج واحد لعديد من العلاقات المتشابكة ـ سياسية واقتصادية واجتماعية ـ فبعض هذه الدول ضل الطريق الصحيح للتنمية .. وبعضها الآخر تخلف بفعل عوامل خارجية منها ما هو خارج عن الإرادة .. ومنها ما يدين القائمين على البلاد .

الفقر يولد الجوع .. والفقر في التغذية يولد فقراً في نواحي الحياة كلها مادية كانت أم فكرية .. والجوع ينشأ عن قلة الطعام .. أو عن ندرة القدرة الشرائية لسلع ضرورية .. والإحصاءات تشير إلى أن عدد الذين ماتوا من الجوع في الهند وحدها يقترب من مليون نسمة عام ١٩٧٢م .. كما تذكر الإحصاءات أيضاً أن عدد سكان الهند قد بلغ عام ١٩٨٣م حوالي (٧٠٠) مليون نسمة منهم حوالي (٣٣٩) مليوناً يعيشون تحت حزام الفقر ، أي لا يجدون الحد الأدنى من الغذاء والمسكن والدواء . ■■

ويدفع الفقر ببعض البشر إلى ممارسة بعض الأفعال التي تتنافى مع ابسط القيم الإنسانية .. وتدق وكالات الأنباء رؤوسنا يوماً بعد يوم بالعديد من اخبار تلك المآسي .. تفيد الأنباء ان اماً في تايلاند دفعها الفقر إلى بيع طفلتها ـ عمرها ثماني سنوات ـ إلى مصنع للغزل للعمل فيه طوال اليوم بمبلغ (١٠٠) دولار في العام .. أيضاً يرتفع عدد الأطفال الذين يباعون في سوق الرقيق في « سري لانكا » لصالح بلدان شمالي أوروبا وخاصة السويد ..

ويدل هذا أكثر ما يدل على المدىٰ الذي وصلت إليه الإنسانية في سبيل الحصول على المال لشراء الطعام .. ومواجهة شبح الجوع .

الإنفـــاق العسكري

وفي الوقت الذي نتاثر فيه جميعاً بما تحمله الأنباء عن خطر الموت جوعاً في كثير من البلدان النامية .. تحمل إلينا الأنباء أيضاً ازدياد حجم الإنفاق العسكري في كثير من دول العالم .. إلى حد يصعب معه الجمع بين الضدّين ـ الجوع وحجم الإنفاق العسكري ـ وهذه الأنباء لا تفيد اقتصار ازدياد حجم الإنفاق العسكري على الدول المتقدمة فقط ولكن ايضاً في الدول نفسها التي تعاني من شبح الجوع والاقتراب من حد المجاعة .. وذلك لحماية نظمها الحاكمة ـ إثيوبيا مثلاً ـ دون النظر إلى إمكانية تدعيم وجود وشرعية هذا الحكم عن طريق التنمية والعمل على زيادة معدلات الإنتاج .

والإنفاق العسكري بهذه الصورة ، في عالم غير متوازن وغير متكافىء ، ياتي في الوقت الذي تعاني فيه غالبية السكان في الدول المتقدمة من التخمة .. في حين يموت الملايين جوعاً في الدول النامية .. ويهدد شبح الجوع ملايين اخرىٰ .

وطبقاً لإحصاءات الأمم المتحدة فإن حجم الإنفاق العسكري العالمي على التسليح تجاوز (٤٠٠) مليار دولار عام ١٩٧٧م .. ثم قفز إلى (٥٠٠) مليار دولار عام ١٩٨٣م .

وهذا الرقم ـ (٥٠٠) مليار دولار ـ يعني ان العالم ينفق على التسليح ما يعادل (١٠) مليارات دولار في الاسبوع او ملياراً ونصف المليار يومياً !!

أي أن العالم ينفق على التسليح في الدقيقة ما يزيد على المليون دولار .. وهذه الأرقام تعكس مدى الخلل في وضع الأولويات في العالم .

وتشير الإحصاءات أيضاً إلى أن الدول الكبرىٰ تنفق على التسليح مبالغ خيالية في حين أن معوناتها الرسمية للدول النامية لا تمثل شيئاً بالمقارنة بنفقات التسليح .. على سبيل المثال فإن حجم الإنفاق العسكري في الولايات المتحدة الأمريكية وصل عام ١٩٨١م إلى ما يقرب من (١٦٠) مليار دولار اي بنسبة ٥,٤٪ من إجمالي الإنتاج القومي الأمريكي ، بينما نجد أن

ما تقدمه الولايات المتحدة معونة للدول النامية وفقاً للبيانات الرسمية لمعونات التنمية **يبلغ ٢ ,٠٪ من إجمالي الإنتاج القومي ..**

أيضاً نجد أن نسبة الإنفاق العسكري في الاتحاد السوفييتي تبلغ ١٥٪ من إجمالي الإنتاج القومي في حين أن ما يقدمه معونات للتنمية رسمية للدول النامية يبلغ حوالي ٠,٢٥٪ فقط من إجمالي هذا الإنتاج .

إن نظرة على هذه الأرقام تؤكد ان جزءاً بسيطاً منها يمكن به مواجهة مشكلة الجوع في العالم .. حيث تشير إحصاءات الأمم المتحدة ان تكاليف صاروخ عابر للقارات تكفي للإنفاق على مليون و (٥٠٠) الف طفل لمدة عام .

نظرية مالتس بين الواقع والخيال

منذ حوالي قرن من الزمان .. خرج علينا « مالتس » بنظرية مؤداها أن العالم على وشك مواجهة أزمة غذائية لا مفر منها .. إذ أن سكان العالم يتزايدون حسب متوالية هندسية في حين أن الموارد الغذائية في العالم تزيد حسب متوالية عددية .. وسوف يأتي اليوم الذي يزيد فيه عدد السكان على كمية الموارد المتاحة .. وبذلك تقع الكارثة ويموت البشر من الجوع ..

ويرى « مالتس » أنه لن ينقذ البشرية من هذه الكارثة إلا الحروب والأوبئة أو هما معاً .. حيث تكون نتيجتهما حصد الملايين من البشر .. ليعيش من يبقى منهم على قيد الحياة بلا جوع ..

لقد أوشكت ملاحظات « مالتس » أن تصبح أمراً واقعاً .. تهدد بكارثة حقيقية .. وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل :

هل يعاني العالم حقيقة من ازمة غذاء ؟

يجمع الخبراء على أن العالم لا يعاني من ازمة غذاء حقيقية .. حيث إن العالم المعاصر في مجموعه يمتلك من الوفرة الغذائية ما يسمح لكل إنسان بالحصول على الحد الأدنى اللازم للبقاء .. إن المشكلة الحقيقية تأتي من اختلال التوازن وعدم وصول الغذاء إلى الدول والطبقات التي تحتاجه وبالسعر الذي تسمح به قدرات تلك الجماعات وأولئك الأفراد ..

والإحصاءات تشير إلى ان سكان الشمال المتقدم يمثلون ٢٨,٦٪ من سكان العالم .. لكنهم يستحوذون على ٦٤٪ من الغذاء في العالم .. في حين يتقاسم ٧١,٤٪ ـ سكان الجنوب ـ ٣٦٪ وهي الحصة الباقية من الغذاء .

ويقودنا هذا إلى جوهر المشكلة حيث تداخلت العوامل السياسية وتفاعلت مع المتغيرات الاقتصادية والإنسانية لتتحكم في توزيع الغذاء ولتتخذ منه وسيلة للضغط والتبعية في غالبية الأحوال .. **ولو عدنا إلى الصادرات الأمريكية خلال السنوات الخمس السابقة على حرب اكتوبر ١٩٧٣م لوجدنا ان حوالي ٨٠٪ من هذه الصادرات وبصفة خاصة القمح اتجهت إلى خمس دول تربطها بالولايات المتحدة**

بقلم : د . محمد محمود المرسي

في عالم غير متوازن

تـأمّلات حـول

مأساة الدول النامية في عالم غير متوازن

روابط التبعية التي تجعل تلك الدول بمثابة ادوات لنشر نفوذها والدفاع عن مصالحها في العالم الثالث وفي مقدمتها إسرائيل وفيتنام الجنوبية ، وكوريا الجنوبية ..

وتدعو هذه الحقيقة إلى ضرورة التنسيق والتعاون بين الدول من منطلق إنساني بعيداً عن الأغراض والدوافع السياسية ، ويدعو أيضاً إلى ضرورة التدخل ـ من قبل هيئة دولية ـ لضمان وصول الغذاء إلى من يحتاجه ، بالإضافة إلى ضرورة الالتزام بخطط المساعدات التنموية الرسمية من قبل الدول الكبرى القادرة .

كل ذلك في محاولة لأن تعود للعالم إنسانيته .. بعيداً عن ضجيج السياسة .

واقـع أزمـة الغذاء في الدول الناميـة

تشير التوقعات حول الحاجة إلى الغذاء في الأعوام القادمة إلى أن الدول المتخلفة سوف تكون في عام ١٩٩٠م في حاجة إلى (١٢٦) مليون طن من الحبوب ، قد ترتفع طبقاً لبعض التوقعات إلى (١٤٨) مليون طن ، هذا في الوقت الذي لم تحتج فيه عام ١٩٨٠م إلا إلى (٢٨) مليون طن .

تأتي هذه الأرقام في الوقت الذي تشير فيه الإحصاءات إلى أن إمكانات الدول النامية وحدها لا تستطيع مواجهة أزمة الغذاء .. نظراً لتخلف السياسات الزراعية والاقتصادية فيها .. ولامتداد موجات الجفاف في بعضها .. وندرة الموارد الغذائية في بعضها الآخر ..

فقد جاء في تقرير معهد دراسات العالم ـ عن حالة العالم سنة ١٩٨٤م ـ أن آسيا التي تضم نصف سكان العالم لا تمتلك اكثر من ١٧٪ من موارد الأرض الغذائية .. كذلك تؤكد صور الأقمار الصناعية أن الحزام الأخضر خلف الصحراء الأفريقية **قد تراجع من (١٥٠) إلى (٢٠٠) كيلو متر للجنوب .. وبدات الصحراء تتسع** ، وهذا الجفاف يسبب المآسي في بعض الدول الأفريقية إلى درجة ان الملايين تواجه المجاعة .

وفي تقرير البنك الدولي لعام ١٩٨١م ، تشير إحدى الفقرات إلى انه مع تحقيق مستوى النمو المرتفع فسوف يظل هناك (٦٣٠) مليون نسمة يعيشون في حالة فقر حتى عام (٢٠٠٠م) ، اما في حالة التنمية المنخفضة فسوف يرتفع الرقم إلى (٨٥٠) مليون نسمة من الفقراء في العالم .

وإذا كان الانفجار السكاني وعوامل الطبيعة من الأسباب الرئيسة لمظاهر الجوع والتخلف في الدول النامية فإن هذه الأسباب ليست هي كل شيء .. حيث إن الانفجار السكاني يمكن أن يضبط .. ومن خلال التقنية المتقدمة أيضاً يمكن موازنة ما تحجبه الطبيعة لفترة زمنية محددة ..

وينبغي التأكيد على أن العالم لا يعاني ازمة غذاء حقيقية بل تتركز الأزمة في اختلال التوازن .. وتدخل عوامل أخرى ، بعيداً عن الجانب الإنساني في إنتاج الغذاء في العالم .. حيث يجب توفير نظام غذائي عالمي في ظل سياسات جديدة يعمل على إعادة مثل هذا التوازن المفقود في التوزيع والإنتاج .. خاصة وأن مخزون الإنتاج الغذائي يتركز في بعض الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وكندا واستراليا ، كما أن خريطة إنتاج وتوزيع الحبوب تشير إلى أن العالم يزداد اعتماداً على « سلة الخبز » في الولايات المتحدة الأمريكية .

واقـع الأزمـة في العـالم العربي

والسؤال الذي يجب أن نطرحه هو :

هل هناك ازمة غذاء في العالم العربي ؟

تشير الإحصاءات إلى ازدياد درجة الاعتماد على الخارج في مجال الغذاء ، وتتراوح نسبة اعتماد الدول العربية في سد احتياجاتها الغذائية على الخارج ما بين ٥٥٪ ، ٩٠٪ من إجمالي حاجاتها الغذائية .

والوطن العربي كله يستورد القمح ، فقد بلغت واردات البلاد العربية من القمح عام ١٩٦٠م حوالي **(٢,٨) مليوني طن تضاعفت إلى (١١,٢) مليون طن عام**

١٩٧٦م ، ثم قفز الرقم إلى (١٣,٧) مليون طن عام ١٩٧٩م أي ما يعادل (١٧٪) من القمح المتوفر للتصدير في العالم اجمع .. بينما لا تتجاوز نسبة العرب إلى سكان العالم (٥٪) .. هذا وسوف يصبح العجز في احتياجات البلاد العربية من القمح حوالي (١٩) مليون طن عام (٢٠٠٠م) ، وتشير أيضاً تقارير منظمة الأغذية والزراعة إلى أن الدول العربية سوف تستورد عام ١٩٨٥م ما قيمته **خمسة بلايين دولار من الحبوب واللحوم .**

وتؤكد هذه الأرقام حقيقة هامة .. وهي أن الدول العربية تزداد حاجتها إلى الغذاء يوماً بعد يوم لدرجة **أن بعض مناطق الوطن العربي مثل موريتانيا لم تفلت من دائرة الجفاف ونقص الغذاء في السنوات الأخيرة خلال موجة الجفاف في غربي افريقيا** .. كما أن الأرقام السابقة تؤكد أيضاً ضرورة وجود سياسة عربية زراعية تهدف إلى الحد من التبعية الغذائية ..

ولا بديل أمام الدول العربية من العمل بأقصى قدر ممكن على رفع معدل نمو الإنتاج وتنويعه من الحاصلات الزراعية في ظل إطار عربي موحَّد ، لسد العجز الغذائي المتزايد في العالم العربي .. خاصة وأن عناصر الإنتاج الزراعي متوافرة فعلاً .. والمطلوب استغلالها الاستغلال الأمثل الرشيد في إطار من التنسيق والتعاون والتكامل بين الدول العربية .

وتشير الإحصاءات إلى أن الإمكانات الزراعية متوافرة في العالم العربي .. فهناك مساحات شاسعة صالحة للزراعة (٢٢٪) من المساحة الإجمالية من الأرض العربية ، بينما لا تتعدى الأرض المزروعة فعلاً في العالم العربي (٤٪) فقط .

أيضاً هناك الأنهار العملاقة مثل النيل ودجلة والفرات بجانب كميات هائلة من المياه الجوفية ..

وإلى جانب الأرض والمياه فهناك العنصر البشري حيث نجد أن (٥٣٪) من ابناء الوطن العربي يعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، وفي بعض البلدان كالسودان يستوعب قطاع الزراعة حوالي (٩٠٪) من إجمالي القوى العاملة ..

وهكذا نجد أن العناصر الأساسية للزراعة متوافرة .. واستخدام هذه العناصر الاستخدام الأمثل كفيل بأن يصل بالعالم العربي - ليس فقط إلى الاكتفاء الذاتي - بل أيضاً إلى إنتاج فائض كبير من الإنتاج الغذائي يسمح بالتصدير للعالم الخارجي .

وهكذا نجد - مما سبق - أن مواجهة أزمة الغذاء في العالم العربي تأتي عن طريق :

- **تحقيق وتنسيق وتكامل في مجال الزراعة بين الدول العربية .**
- **الاستغلال الأمثل والرشيد للإمكانات الزراعية المتوافرة .**
- **العمل على زيادة إنتاجية المساحة الزراعية (باستخدام الفنون المتطورة في الزراعة) .**
- **الاهتمام بعمليات التخزين والحفظ للسلع الغذائية وخاصة القمح وذلك حتى لا يُفقد شيء نحن في حاجة إليه .**
- **توزيع السلع الغذائية بصورة عادلة ورشيدة والبعد عن الاستهلاك الترفي .**

إن التخطيط الجيد والسليم والمبني على أسس علمية ، في إطار سياسة زراعية عربية موحدة ومتكاملة ، من الممكن أن يجنب الدول العربية أزمة الغذاء ويحد من التبعية الغذائية بشكل كبير .

مكتبة الأمة

الكتاب : أحاديث رمضان

المؤلف : الشيخ حسن خالد مفتي لبنان

الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت

□□ الكتاب في أصله أربعون حديثاً من مذاعات دار الإفتاء اللبنانية بمناسبة شهر رمضان المبارك ، كتبها وألقاها الأستاذ الجليل الشيخ حسن خالد مفتي لبنان ... عرض فيها إلى كثير من المعاني التي أحسَّ أن الحاجة إليها أكثر من سواها ، مما يجعل نفعها أعم وأشمل إن شاء الله ، يتميز أسلوبها باليسر والبساطة إلى جانب فوائد علمية جليلة ... وقد تحدث المفتي حول : الصيام عند الأمم السابقة ، وعن منافع الصوم ، ومنهج الصالحين في الصوم إضافة إلى أحاديث تتعلق بالزكاة والصدقات وزكاة الفطر ، ولم يترك الشيخ الحديث عن الجهاد في الإسلام خاصة وأن رمضان المبارك شهر المعارك الفاصلة ، فجاء الحديث عن غزوة بدر الكبرى ، وفتح مكة ، والغلطة التي ارتكبها حاطب بن أبي بلتعة ، وكيفية علاج الرسول ﷺ لها ؛ كذلك وبما أن رمضان شهر القرآن ، فكان مما تطرق إليه المؤلف :

القرآن معجزة الرسول ﷺ الدائمة ، وهو وحي الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وعرض لنماذج من آياته حول العقيدة والطاعة والعبادة والخلق ، ولِمَ جاء نزوله منجماً على حياة الرسول ﷺ الدعوية (على مدى ثلاث وعشرين سنة) ثم عقد فصلاً حول فضل القرآن الكريم ، أنهاه بالدعاء التالي : « اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور نفوسنا ، وجلاء أبصارنا ، ومنهج سلوكنا ... اللهم أدبنا بأدبه ، وعلمنا من ينابيعه ، وارزقنا العمل به والعمل له ، واهدنا إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والصالحين ... » . □□

الكتاب : الشورى لا الديمقراطية

المؤلف : عدنان رضا علي النحوي

الناشر : مطابع الفرزدق التجارية - الرياض

□□ تسربت إلى عالم المسلمين شعارات كثيرة ساقت الملايين في حمى زخارفها ، وبريق خداعها ، ومن هذه الشعارات ما طوته الأيام على جراح خلَّفتها ، وامراض اورثتها ..ومنها شعارات لا يزال بريقها يخطف الأبصار ، وزخارفها تحمل الوهج والبريق ، مثل «الديمقراطية» التي انتشرت حتى عمت كثيراً من الأجواء وتكاد تختلط مع معالم الإسلام ، وجرفت في تيارها كتَّاباً ومفكرين ، وتحكمت باقلامهم والسنتهم وادارت رؤوسهم ، حتى اعتبرها بعضهم انها افضل صيغة للحكم عرفتها البشرية في تاريخها الطويل !!

وياتي هذا الكتاب الذي نقدمه للقارىء - على صغره - ليضع علامات مضيئة على طريق مسلمي اليوم ، يبين زيف دعاوى القوم ، وان الشورى الإسلامية غير الديمقراطية الغربية ، منشأ ومآلاً ... ويتالف الكتاب من مقدمة وبابين ...

تحدَّث في المقدمة عمَّا عاناه المسلمون قديماً ويعانونه حديثاً ، وبين ان الذي لم يعرفه تاريخنا مع تلك المآسي القديمة هو ان يكشف الكفر الصريح عن حقيقته ، وان ينزع القناع عن وجهه ، كما يحدث في هذه الأيام ، إضافة إلى اختلاط الأمور حتى لا يكاد العاقل يميز بين حقيقة وخيال ، وصدق وباطل ، مما اوقع الكثيرين بين انياب المراوغة وعلى اظفار المكر ...

وفي الباب الأول « بين الشورى والديمقراطية » عقد المؤلف في الفصل الأول منه مقارنة عامة بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية ، وبيَّن ان الديمقراطية مبنىً ومعنىً نشات في تربية الكفر والإلحاد ، وترعرعت في منابت الشرك والفساد ... فهي من صنع البشر ، بينما كانت الشورى الإسلامية ربانية نمت في احضان الإيمان وتربة الطهر ومنابع الخير ، وهي نظام متماسك القواعد ، متكامل الأسس ، لا يحتاج إلَّا إلى صدق الممارسة والالتزام ...

وفي الفصل الثاني منه « في ميدان المسؤولية » ، بيَّن ان المسؤوليات والصلاحيات امر يقدره من يدعي تمثيل الشعب في الديمقراطية ، وهي لا تنبع إلَّا من جهد بشري وتجربة بشرية ... اما في الإسلام فإن اساس الصلاحيات والمسؤوليات تنبع كلها من الإيمان بالله واليوم الآخر ، وانها مسؤولية امام الله عزَّ وجل اولاً ثم امام المسلمين ...

وان المسؤولية تكليف لا تشريف ... ولذلك لمَّا طلب ابو ذر من الرسول ﷺ ان يستعمله ، يقول ابو ذرّ رضي الله عنه : فضرب رسول الله ﷺ بيده على منكبي ، ثم قال : « يا ابا ذرّ إنَّك ضعيف ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلَّا من اخذها بحقها وادَّى الذي عليه فيها » .

وفي الباب الثاني « الأكثرية والأقلية » ، تحدث في الفصل الأول منه عن « الشورى في غزوة احد » ، واورد روايات « إمتاع الأسماع » ، و « البداية والنهاية » ، و « سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » ، و « زاد المعاد » ، حول الموضوع نفسه .

وفي الفصل الثاني نفسه يناقش مبدأ الأكثرية والأقلية ، ويؤكد على ان دور الأكثرية المؤمنة يختلف اختلافاً بيِّناً عنه في الحياة الديمقراطية ، ويبيِّن ان لفظ « الجماعة » لا علاقة له بالأكثرية ولا الأقلية ، إنما الجماعة هي التي تلتزم الحق وتتمسك به ؛ وقد تكون اكثرية في حال واقلية في حال آخر ؛ وقد يدعي الحق كثيرون ويرفعونه شعاراً دون أن يتبعوه ، وقد يتبعه قليل من الناس ويصدقون معه ، فهؤلاء هم الجماعة ... وإن

الاختلاف في الراي لا يعد خروجاً على الجماعة ، ولا مخالفة للدين إلّا إذا استغل الخلاف ليتحول إلى فرقة وفتنة .. □□

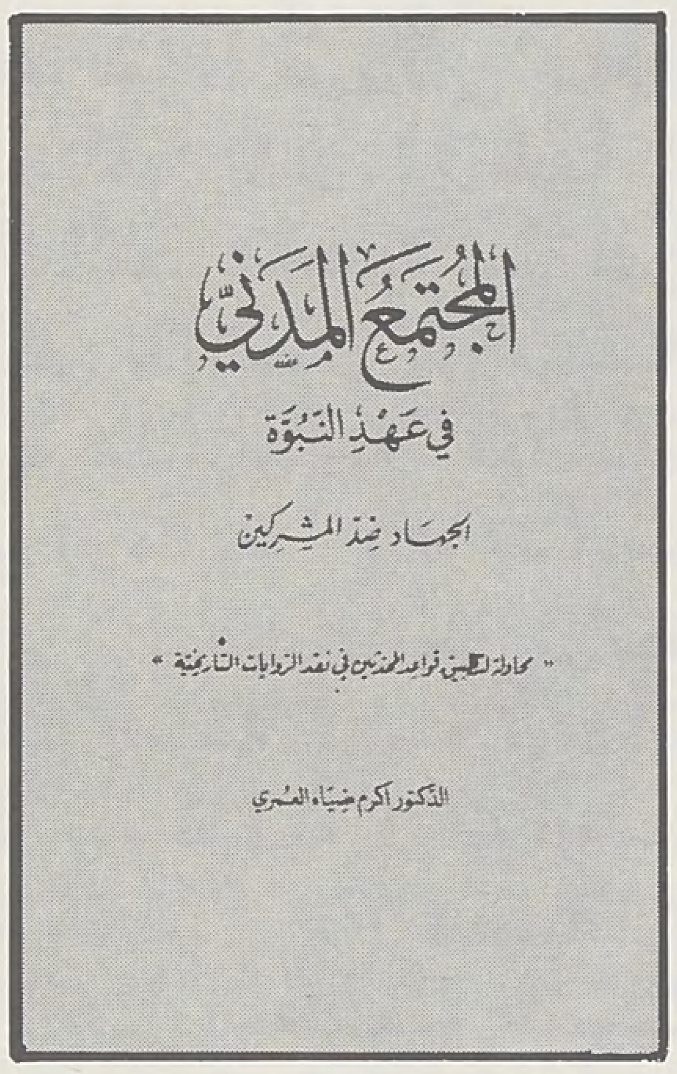

الكتاب : المجتمع المدني في عهد النبوة

المؤلف : الدكتور أكرم ضياء العمري

□□ ظهر الاهتمام بكتابة السيرة النبوية مبكراً في تاريخ الإسلام ، وقد تناولها بالتصنيف المؤرخون والمحدثون ، وتمتاز كتابات المؤرخين بمراعاة ترتيب الأحداث زمنياً وموضوعياً ، في حين تظهر التجزئة لها في كتابات المحدِّثين الذين التزموا بقواعد الرواية وتمييز الأسانيد عن بعضها ... في حين ظهر بعض المؤلفين في السيرة جمعوا بين صفتي المحدِّث والمؤرخ ، إلّا أن الجميع لم يشترطوا إيراد الصحيح فيما يكتبونه واحالوا القارىء على الأسانيد التي اوردوها ليعرف بنفسه صحيح الأخبار من سقيمها ... ولم يشذ عن ذلك إلّا الشيخان [البخاري ومسلم] حيث شرطا الصحة فيما روياه من روايات السيرة في صحيحهما .

وفي هذا العصر ، ترسَّم كبار المؤرخين مناهج « النقد التاريخي » الذي ظهر ونما في الغرب خلال القرنين الماضيين ، وتعاملوا مع السيرة النبوية من خلاله دون تكييف للتعامل مع الروايات التاريخية الإسلامية ذات السمات الخاصة ، الأمر الذي اوقع في حيرة أمام الروايات الكثيرة ... وهنا تظهر الحاجة إلى ضرورة الجمع بين معطيات منهج المحدِّثين ومنهج النقد التاريخي الحديث المحكوم بمعايير التصور الإسلامي ، للوصول إلى امثل النتائج ...

وتأتي هذه الدراسة محاولة طموحة للإفادة من منهج المحدثين في نقد الرواية التاريخية ، يظهر فيها التركيز على نقد الأسانيد والرواة إلى جانب نقد المتن ، بقصد رسم معالم السيرة النبوية بصورة صحيحة ، وقد اعتمدت على صحيح الروايات وحَسَنها ، ولم تفد من الروايات الضعيفة من الناحية الحديثية إلّا في الموضوعات غير المتعلقة بالعقيدة أو الشريعة ... ومن الموضوعات التي بحثها المؤلف في هذه الدراسة : تشريع الجهاد وطلائع حركة الجهاد ، تحويل القبلة ، غزوة بدر الكبرى ، في أعقاب بدر ، غزوة أحد ، في أعقاب غزوة احد ، غزوة بني المصطلق ، غزوة الأحزاب ، في أعقاب غزوة الأحزاب ، غزوة الحديبية ، إرسال الكتب لدعوة الملوك والأمراء إلى الإسلام ، تأديب الأعراب ، عمرة القضاء ، غزوة مؤتة ، غزوة ذات السلاسل ، فتح مكة ، غزوة حنين ، غزوة الطائف ، غزوة تبوك ، الأحداث الأخيرة ، عام الوفود ، حج ابي بكر بالناس سنة ٩هـ ، حجة الوداع ، تجهيز جيش اسامة بن زيد ، وفاة الرسول ﷺ ... وقد الحق بالدراسة قائمة بأهم مصادر البحث ، وفهرساً تفصيلياً للموضوعات . □□

الكتاب : دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية

المؤلف : الدكتور عرفان عبد الحميد

الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت

□□ محاولة لعرض وجهات النظر المختلفة للمدارس الكلامية التي ظهرت ونمت داخل إطار الفكر الديني في الإسلام ، تحمل في طياتها بعض الجديد المتمثل في اسلوب العرض ومنهج البحث اللذين يعتمدان المقارنة والموازنة والتحليل التاريخي وردّ الفكرة المعينة إلى المسائل المختلفة على اعتبار انها وجهات نظر اجتهادية تحتمل القبول والرد ، والرغبة عن اصطناع المحاباة ، والابتعاد عن اسباب العصبية ...

يتالف الكتاب من مقدمة في نشأة المذاهب الإسلامية ، وقسمين ، الأول منهما : دراسات في الفرق ، ويتكون من ثلاثة فصول ، الأول : الشيعة ، تحدث فيه عن التشيع لغةً واصطلاحاً ، متى ظهر التشيع ؟ ، ملاحظات عامة عن دراسة العقائد الشيعية ، نظريات أصل التشيع ، الفرق الشيعية الكبرى . والثاني : الخوارج ، تحدث فيه عن أسماء الخوارج والقابهم ، التاريخ السياسي لهم ، معركة صفين ونشأة الخوارج ، آراء الخوارج الدينية .

والثالث : المعتزلة ، تحدث فيه عن الاعتزال لغةً واصطلاحاً ، نظريات أصلهم ، الأصول المشتركة لهم ، مشكلة الصلة بينهم وبين الشيعة ، اهمية المعتزلة في الفكر الإسلامي .

والقسم الثاني : دراسات في العقائد الإسلامية ، وجاء في خمسة فصول ، الأول : علم الكلام الإسلامي ، تحدث فيه عن تعريف علم الكلام ، وسبب التسمية ، العقائد الإسلامية على عهد محمد ﷺ ، بداية النظر العقلي في العقائد ، نشأة علم الكلام السني ، الطور الأول من علم الكلام ، الطور الثاني منه ، نظرية الجوهر الفرد .

والثاني : قضية الألوهية ، تحدث فيه عن المعالجة القرآنية للموضوع ، ادلة وجود الله تعالى في علم الكلام الإسلامي ، وفي الفكر الغربي . والثالث : التشبيه والتأويل ، تحدث فيه عن بعض الملاحظات العامة عن الموضوع ، ومذهب السلف في المتشابهات ، واختلاف المتأخرين في تحديد مذهب السلف ؛ فكرة التشبيه وتطورها وفرق المشبهة ؛ التأويل ، تاريخه في اليهودية والنصرانية ، قواعده واصوله . الرابع : مشكلة الصفات الإلهية ، ذكر فيه مقدمة عامة عن هذه المشكلة ، وسبب ظهورها ، والتطور التاريخي للمشكلة ، وتطور الفكرة على ايدي المعتزلة ، التفسير السلبي للصفات ، نظرية الأحوال ، المذاهب المختلفة في تفسير الصفات . الخامس : مشكلة القضاء والقدر ، تحدث فيه عن القدر لغةً واصطلاحاً ، مقدمة تاريخية ، تاريخ تطور المشكلة في الإسلام ، فريق الجبرية الخالصة ، فريق القدرية الخالصة ، مذهب المعتزلة ، مذهب الأشاعرة ، رأيه في الموضوع ...

وقد الحق المؤلف بكتابه فهارس تفصيلية للمراجع والأعلام والفرق والمصطلحات والموضوعات . □□

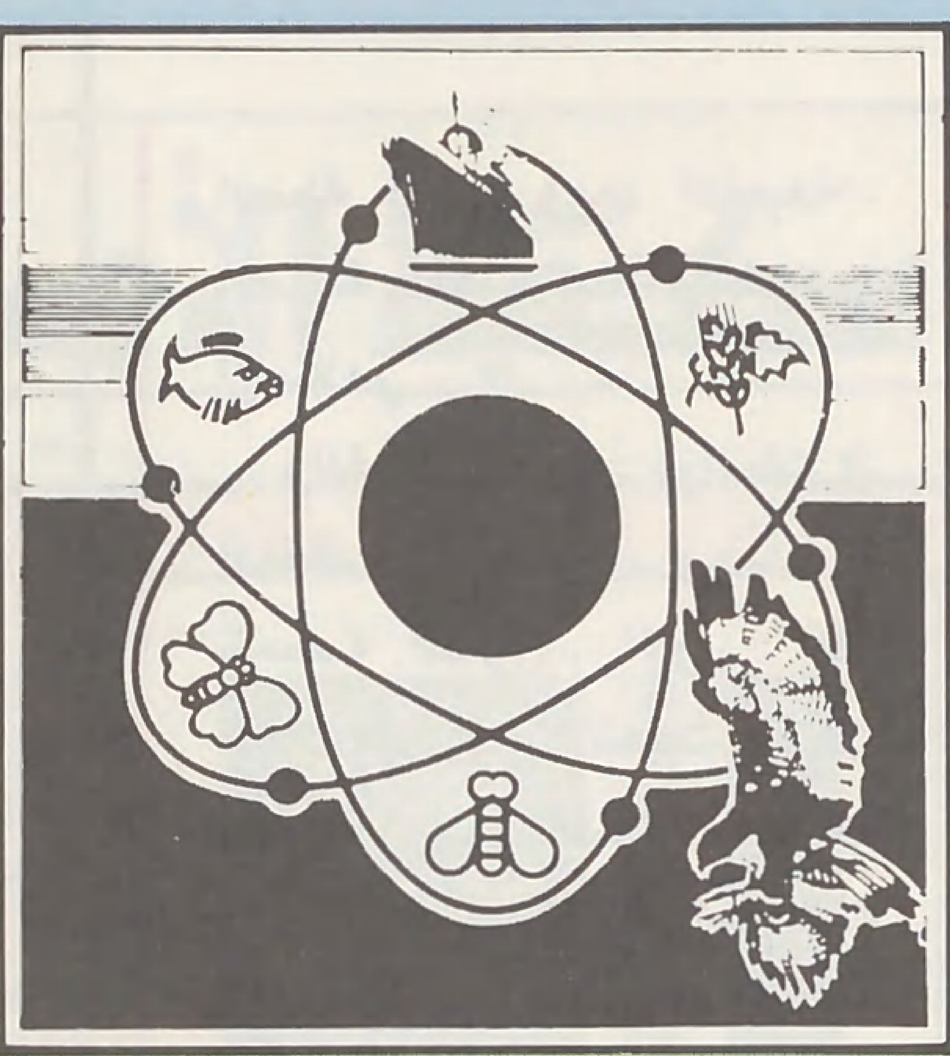

العلم والحياة

ما بعد إطلاق القمر الصناعي العربي

■■ واخيراً وبعد أكثر من عملية تأجيل، تم إطلاق القمر الصناعي العربي «عربسات» إلى الفضاء ليستقر على ارتفاع (٣٦) ألف كيلو متر فوق خط الاستواء، على خط طول (١٩) درجة شرقاً.

وقد اثارت عملية الإطلاق - والمشروع نفسه - كثيراً من التساؤلات وردود الفعل والتعليقات في الأوساط العربية، تراوحت بين تمجيد المشروع لأنه ينقل العرب إلى عصر الفضاء في الوقت المناسب، وبين التشكيك في المشروع وجدواه وتكاليفه وإمكانية تشويش إسرائيل عليه...

واشار المشككون إلى كون المشروع لا يحمل من العروبة إلّا الاسم، فهو تكنولوجيا غربية بالكامل، والعرب دفعوا التكاليف فقط، وهذا صحيح، ولكن هل من المعقول تأجيل استخدام كل أنواع التكنولوجيا المتطورة إلى ان يصبح بالإمكان تصنيعها عربياً؟ وإذا كنّا لا نصنّع حتى الآن التكنولوجيا الأبسط، فهل تصنيع وإطلاق قمر صناعي متصوَّر في المدى المنظور؟ إن الدول العربية والدول النامية عموماً تعاني من مشكلة استيراد واستهلاك التكنولوجيا دون أن تصنعها، ولكن حل المشكلة لا يكون بالتوقف عن استيراد جميع انواع التكنولوجيا، فالمشكلة لا تحل بهذه البساطة.

لقد اجمع المختصون من العلماء العرب على ان القمر مشروع سياسي حضاري ثقافي إنمائي صناعي عسكري في آن واحد. وهذا يقتضي الحديث عن الجوانب الإيجابية للمشروع وعن سلبياته.

ولعل في مقدمة الإيجابيات هو كون المشروع جماعياً على مستوى العالم العربي وليس فردياً على مستوى كل دولة على حدة.

ولعل هذا المشروع يكون خطوة على طريق التخطيط الجماعي لنقل التكنولوجيا والإفادة منها، بل وخطوة على طريق مكافحة التفكير والتخطيط المحلي الضيق.

من مزايا القمر الصناعي العربي أن له نظامين: الأول هو نظام الانتلسات، وهو النظام المعروف بالقناة القمرية. وهذا النظام لا يُمكّن المشاهد من التقاط الإشارة المرسلة عبر القمر إلّا من خلال المحطة الأرضية، والنظام الثاني هو القناة غزيرة الإشعاع، أو القناة (٢٦) التي تستطيع أن تبث بثاً مباشراً يغطي كل مساحات العالم العربي إضافة إلى المناطق المجاورة في آسيا وافريقيا. وتستطيع اي مجموعة من الناس استقبال هذه الخدمة مباشرة دون مرورها في المحطة الأرضية.

تتوفر لدى القمر ايضاً إمكانات تسهل طباعة الصحف عن بعد، أو ما يعرف بالـ «فاكسميلي». كما ان لديه إمكانات الاستشعار عن بعد، ويمكن من خلاله عقد المؤتمرات التلفزيونية، ولديه أكثر من ثمانية آلاف قناة تلكسية وتليفونية. ويستطيع توفير كل وسائل الاتصال لوكالات الأنباء، كما يمكنه توفير المحطات الأرضية المتنقلة التي يمكن استغلالها في المهام البعيدة والطوارىء، وتوفير الخدمات التي تساعد الباحثين إذا ارادوا التجول في الصحراء والأماكن البعيدة.

كما يستطيع الربط بين قواعد المعلومات والحاسبات الآلية للوطن العربي كله.

ولكن هناك معوقات قد لا تتيح استغلال هذا القمر الاستغلال الأمثل، وفي مقدمة هذه المعوقات الخلافات السياسية بين الدول العربية والتي قد تنعكس على استغلال القمر. هناك ايضاً التعرفة، فإذا كانت مرتفعة فهي غير مشجعة. هناك ايضاً نقص كبير حتى الآن في المحطات الأرضية التي يجب إقامتها في الدول العربية حتى يمكن الإفادة من القمر، لدى بدء تشغيله في ايار (مايو) القادم. كما يفترض في الدول العربية التي تستخدم الأقمار الصناعية الدولية (الإنتلسات)، سواء للاتصال المحلي او الخارجي ان تتحول إلى استخدام القمر العربي.

ولكن ربما كان أكبر معوق هو عدم توفر البرامج التلفزيونية الكافية والهادفة للإفادة من القمر. وبدون هذه البرامج فسوف يبقى الجانب التلفزيوني منه مقتصراً على الأخبار ومباريات كرة القدم. وسوف تزيد هذه المشكلة إلحاحاً بعد إطلاق القمر الصناعي الإسرائيلي، خلال سنتين، الذي لا تتمثل خطورته في قدرته على التشويش على القمر العربي، فهذا أمر مستبعد من ناحية فنية وقانونية دولية، ولا في التجسس، فهذه ممكنة بطرق اخرى، ولكن الأهم من ذلك هو غزو بيوتنا من خلال البرامج الثقافية والترفيهية. فإذا لم يكن هناك برامج عربية ملائمة، فسوف نتعرض لغزو ثقافي إسرائيلي خطير. ■■

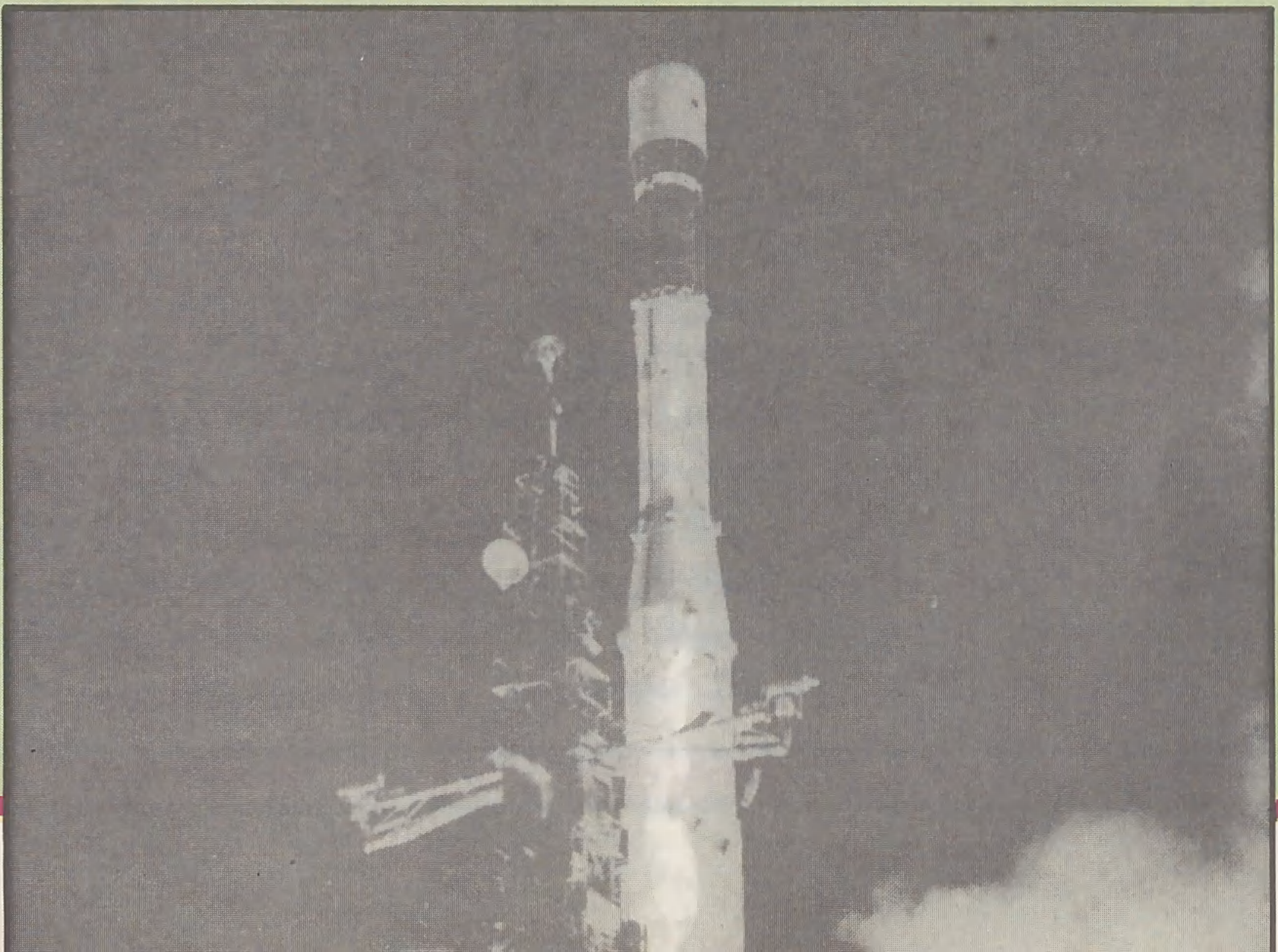

البديل الحيوي للمبيدات الكيماوية

منذ حظر استخدام مبيد الـ(د . د . ت) في الولايات المتحدة عام ١٩٧١م ، لما سببه من اضرار بالحياة الإنسانية ، والمزارعون يبحثون عن بديل لقتل الحشرات والأعشاب الضارة . ويقول الباحثون إنهم ربما كانوا على وشك اكتشاف حل طبيعي للمشكلة . الباحثون في ميدان التكنولوجيا الحيوية (البيوتكنولوجي) يعملون على تطوير نوع من البكتيريا والفطر لتدمير الأعشاب والحشرات بوسائل طبيعية ، هذه الوسائل ستكون فعّالة مثل المبيدات الكيماوية ولكن دون أن تؤذي البيئة . يأمل الباحثون بزراعة محاصيل تدمر بنفسها الحشرات والأعشاب الضارة دون مساعدة من الإنسان .

سوف يقوم الباحثون هذا الربيع بزرع قطعة من الأرض ببذور قمح فريدة من نوعها ، هذه البذور مغلّفة بالبكتيريا ، وعندما تكبر تنمو البكتيريا على جذورها ، وعندما تاتي الديدان لأكل جذور القمح فإنها ستاكل البكتيريا معها . إذا نجحت التجربة فإن الديدان سوف تموت من جراء ذلك .

اما كيفية تغليف البذور بالبكتيريا فقد تمت بانتزاع مُورِّث (GENE) من نوع معروف من البكتيريا يدعى BT ، معروف بخطره على الديدان التي تهاجم القمح . ثم تمت زراعة المورّث في نوع آخر من البكتيريا التي تنمو بشكل طبيعي قرب جذور القمح . فنتج عن ذلك كائن عضوي جديد يقتل الحشرات دون إيذاء القمح .

هذه التجربة بطبيعة الحال ، تحتاج إلى سنوات من البحث والتطوير حتى يحكم على مدى فعاليتها .

في تجربة أخرى تم إدخال المورّث المشار إليه مباشرة إلى نبات التبغ بواسطة الحقن ، وبذلك اختصرت مرحلة من مراحل البحث .

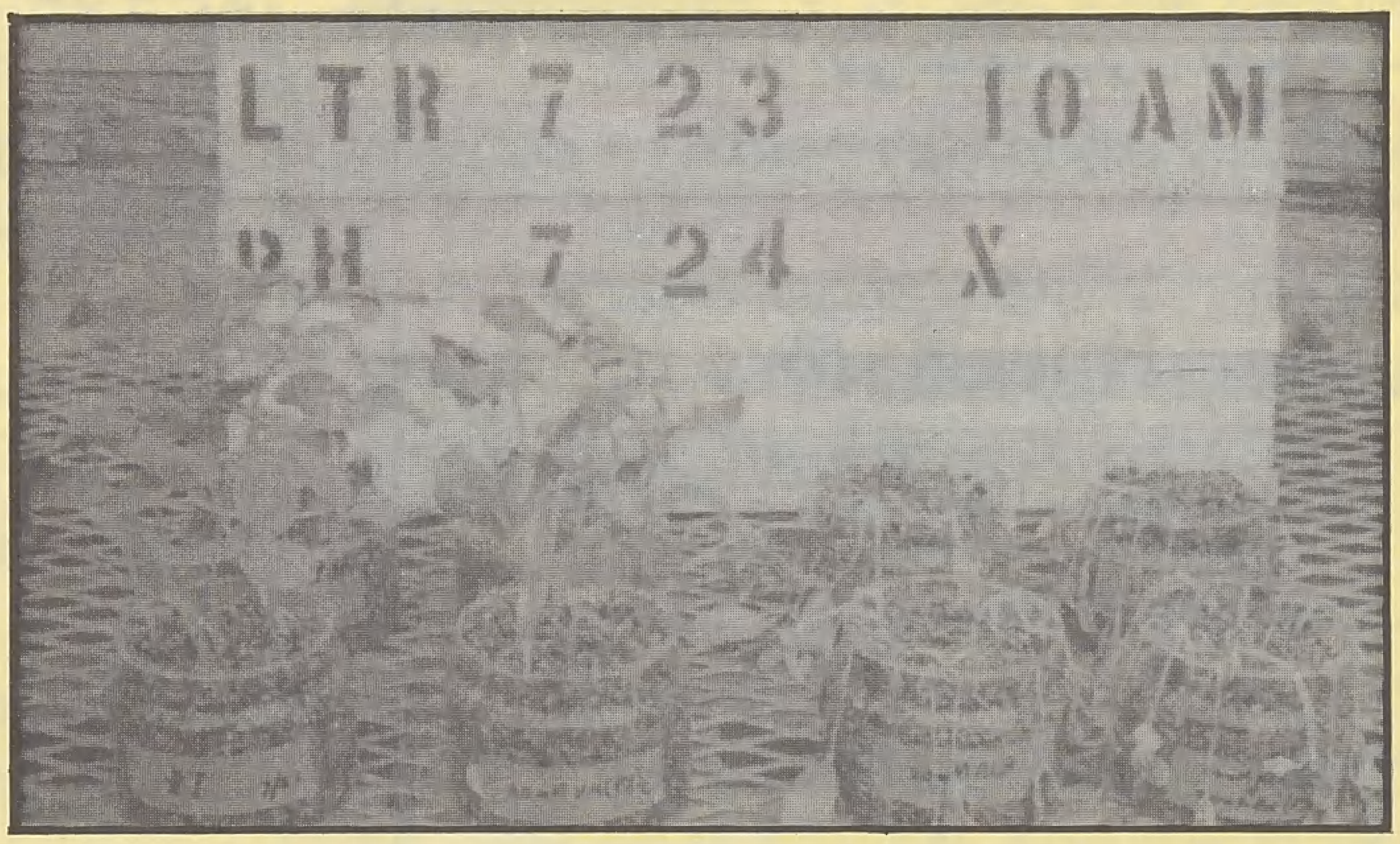

في تجربة اخرى يعمل الباحثون من جامعة « إلينوي » على جعل الأعشاب الضارة تدمر نفسها وذلك بزيادة معدل التمثيل الضوئي ، تتضمن العملية رش الأعشاب ليلاً بمحلول يحتوي على «AIA» وهو حامض اميني يستخدمه النبات لصناعة « الكلوروفيل » . وعندما تشرق الشمس تكون كمية الكلوروفيل قد زادت بشكل يدمر الأعشاب نفسها خلال اربع ساعات ، بعد أن تفقد سوائلها الداخلية ، دون أن يؤدي ذلك إلى اي تاثير ضار على المحاصيل .

اما مجلس الغذاء والزراعة البريطاني فإنه يجري تجارب على أنواع من الفطر لاستخدامها في قتل الذباب المضر بالمزروعات ؛ المنّ (Aphid) ، وقد اطلق الباحثون العاملون في محطة الأبحاث التابعة للمجلس ذباباً مصاباً بالفطر في المحاصيل . وقد وجد ان الفطر انتشر بعد ذلك في الذباب غير المصاب وقتل الجميع خلال خمسة ايام . وقد وجد ان الفطر Erynia Neoaphidis ينخر جسد الذبابة حتى يقضي عليها .

كما يجري العلماء في جامعة « كورنيل » تجارب على فطر ياباني للقضاء على نوع من الخنافس التي تدمر الغابات . وقد طوّر العلماء وسيطاً حيوياً من الخمائر والجلوكوز لإنتاج كميات كبيرة من الفطر ، لاستخدامها كمبيد ، ولكنهم يحاولون التاكد من أن الفطر لا يضر بالنباتات أو الحشرات النافعة كالفراش .

البكتيريا تضاعف المحاصيل

توصل علماء مركز الأبحاث الزراعية في الهند إلى طريقة لمضاعفة المحاصيل الزراعية بمعدل ٥٠٪ ، وذلك باستخدام نوعين من البكتيريا يساعدان النباتات على امتصاص مزيد من الفوسفور من التربة ، وذلك بتحويل الفوسفات غير العضوي إلى آخر قابل للامتصاص . ومن شان هذه الطريقة أيضاً زيادة فعالية سماد الفوسفات .

قلق العلماء من اختفاء بعض النباتات

يقول عدد من علماء النباتات إن بعض أنواع النباتات تختفي من الأرض بأسرع مما يستطيع العلماء دراستها وتحديد قيمتها الغذائية او الدوائية . ويقول أحد هؤلاء العلماء إن هناك احتمالاً باختفاء ٢٠ ـ ٢٥٠ ألف نوع من النبات قبل حلول منتصف القرن القادم .

النباتات تغيّر ألوانها لجذب الطيور

يقول باحثان من جامعة اريزونا إن لديهم دلائل على أن النباتات تغير الوان أزهارها لجذب الطيور والحشرات التي تنقل غبار الطلع . واشار الباحثان إلى أن بعض النباتات تنتج زهوراً حمراء عندما تكثر في المنطقة الطيور الطنانة Tlummingbirds ، بينما تنتج زهوراً بيضاء أو قرنفلية عندما تهاجر الطيور الطنانة وتاتي طيور أو حشرات أخرى .

العلم والحياة

مكافحة الجراد بيولوجيًّا

تمكن باحث كيميائي من جامعة « اكستر » في بريطانيا من عزل « الهرمون » الذي يمكِّن الجراد من الطيران مسافات طويلة . ويقول الباحث واسمه الدكتور « بول هاردي » إن تحليل الهرمون سيمكِّن في المدى الطويل من الحد من قدرة الجراد على قطع المسافات الطويلة ، وذلك بتغيير عملية الأيض عنده أي بتغيير عملية تجدد الخلايا .

التلوّث : ويلاته ومواجهته

■■ اصبح التلوث في عالم اليوم اشد خطورة إذ انتشر ليغطي الكرة الأرضية كلها ، وبدأ يتفوق على طاقة التنقية الذاتية في النظام البيئي ، ويعود ذلك إلى النشاطات الإنسانية غير الرشيدة ، فالإنسان افسد على الطبيعة جمالها وتوازنها ، وافسد في المياه صلاحيتها للشرب ، وحوّل كثيراً من البيئات إلى بيئات سامة ، وحوّل كثيراً من المخلوقات إلى مخلوقات سامة ، وحول البحار إلى صناديق قمامة . كل تلك النشاطات ادت إلى « اختلال التوازن البيئي » ، ذلك التوازن الذي كان قائماً بين الإنسان والبيئة . والإنسان هو الذي يدفع في النهاية ثمن ذلك الطيش .

يحدد الدكتور : جهاد بدوية ، من « شركة بترول أبو ظبي » ، أسباب التلوث ، في دراسة نشرتها « الاتحاد » الظبيانية في العشرين من يناير الماضي ، على النحو التالي :

* غاز ثاني اكسيد الكربون : الناتج عن احتراق منتجات الطاقة في الصناعة والتدفئة المنزلية .
* أول أكسيد الكربون الناتج عن الاحتراق غير الكامل في صناعة الصلب وتكرير البترول .
* ثاني أكسيد الآزوت : الناتج عن احتراق وقود الطائرات والأفران والمنشآت الصناعية .
* ثاني أكسيد الكبريت : الناتج عن محطات توليد الكهرباء والمصانع ومحركات الديزل والتسخين بالزيوت التي تحتوي في الغالب على حمض الكبريت .

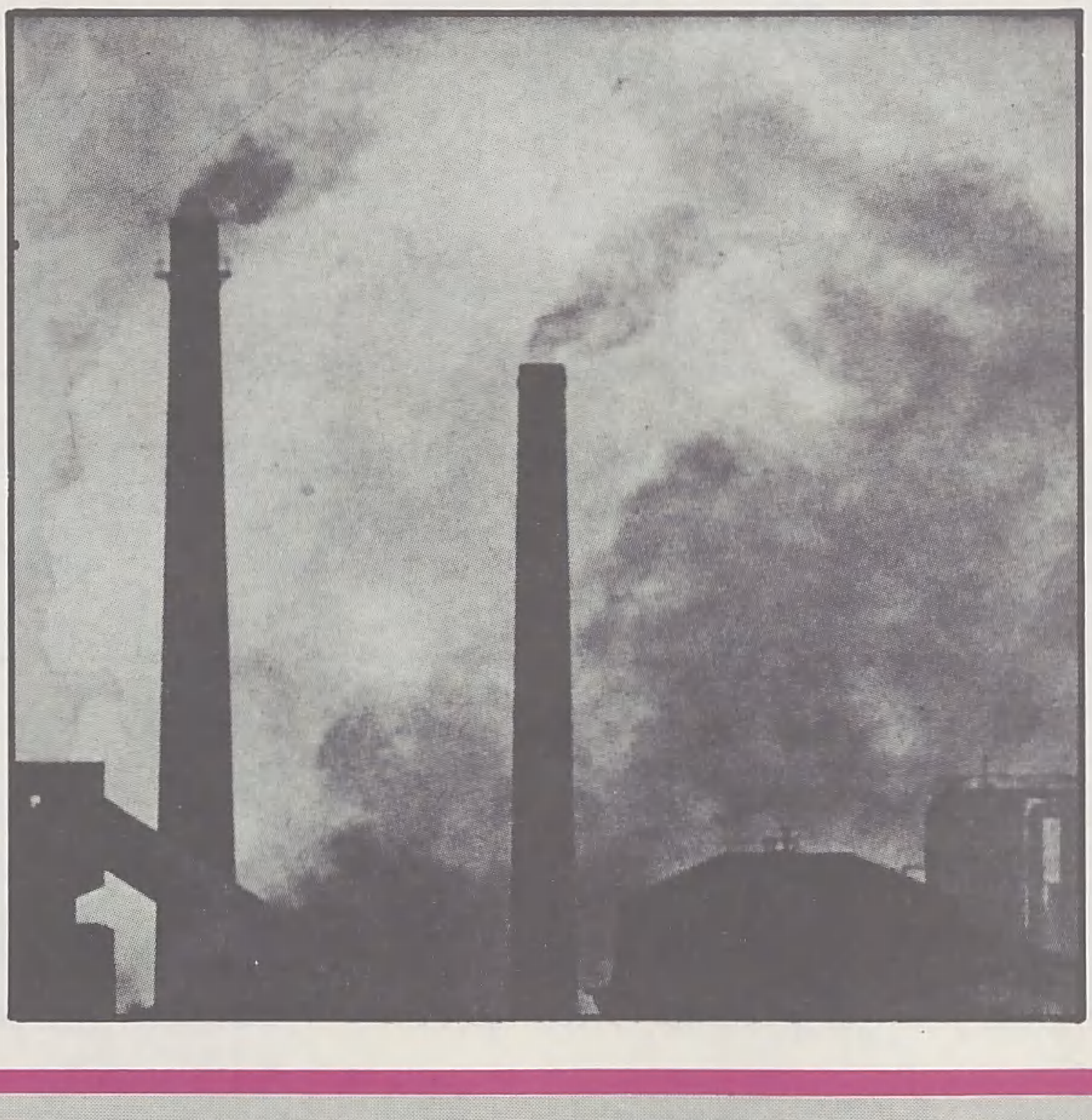

* كبريت الهيدروجين : وهو غاز مصاحب للغاز الطبيعي والبترول ، يؤدي استنشاقه ولو بكميات ضئيلة إلى الموت .
* الفوسفات في مياه البالوعات والمياه الآسنة ، ومن أماكن إقامة وتربية المواشي ، ومن الأسمدة . ويعتبر سبباً رئيساً في تلوث الأنهار والبحيرات .
* الزئبق : الناتج عن الوقود الحجري وصناعة الكلور القلوي وصناعة البويات وتحضير عجينة الورق وعمليات استغلال المناجم .
* الرصاص : والمصدر الرئيسي للتلوث به مادة رباعي إيثيل الرصاص ، التي تضاف للبنزين بقصد تحسين رقم الأوكتين .
* البترول : الناتج عن حوادث الآبار النفطية ، وتفريغ ناقلات البترول .
* مبيدات الحشرات : مثل (د . د . ت) ومركبات السيانيد . وهي وإن أفنت بعض الحشرات إلَّا أنها تتسرب إلى البحيرات والأنهار فتفني الأسماك .
* الإشعاعات : الناتجة عن صناعة وتجارب الأسلحة النووية .
* الغبار : يتكون الغبار المعلق في الهواء أساساً من ذرات يتراوح قطرها بين ٠,٠١ ميكرون و١٠٠ ميكرون . الأحجام الكبيرة منها تبقى في فتحات الأنف ، أما الأخرى فتصل إلى الرئتين ، وقد نبَّه الرسول ﷺ إلى خطر الغبار فقال : « اتقوا الغبار فإن فيه النسمة » (أي الميكروبات والجراثيم) .

من ويلات التلوث الأمراض المختلفة ، والضجيج الذي يسبب بدوره الإرهاق السمعي والنفسي والصمم المهني والصدمات السمعية ، والتوتر وفقدان الشهية وضعف الأداء المهني .

للحد من التلوث لا بد من تخفيض العوامل الملوثة بوسائل جديدة ، وذلك أولًا باختيار دقيق للمواد المشتعلة (الوقود) ، والاستغناء عن رابع إيثيل الرصاص الذي يضاف للبنزين ، واستخدام مفاعلات حرارية في عادم السيارة لتنقية الغازات المنبعثة من الاحتراق الداخلي ، وهذا ما تطبقه ألمانيا مثلاً ، كذلك بتخليص البترول من الكبريت اثناء تكريره .

من الوسائل ايضاً استخدام المداخن العالية ، ومكافحة الحشرات بالوسائل الطبيعية مثل مكافحتها بحشرات معادية أو بواسطة الفطريات او البكتيريا او الفيروس .

ولتخفيض التلوث الناتج عن الفضلات الصناعية والمدنية يجب إعادة تصنيع الفضلات بدلًا من تناثرها . كذلك لا بد من المراقبة الدقيقة للإجراءات الصحية التي أشارت إليها هيئة الصحة العالمية في مجال تلوث الأطعمة . ■■

طب

عقار لفحص مرضى القلب

يجري الأطباء اختباراً على استخدام عقار لفحص مرضى القلب وتقرير ما إذا كان المريض سيصاب بنوبة أخرى، أو ما إذا كان سيموت نتيجة لضعف القلب، ويقول الأطباء إن العقار أسلم وأكثر دقة من الطريقة المستخدمة حالياً وهي الفحص بجهاز طاحون الدَّوْس Treadmill . العقار الجديد يدعى Dipyridumole ويستخدم لتنشيط القلب ليضخ كمية من الدم بسرعة وكأن المريض في ذروة تمرين رياضي، ولكن دون تقليص كمية الأكسجين الذي يعرض مرضى القلب للخطر، ثم يحقن المريض بمادة كيميائية مشعة وتُراقب النتائج بكاميرات حساسة للإشعاع فيما يسري العقار باتجاه عضلات القلب .

جهاز لمساعدة مرضى الجهاز التنفسي

يقول الدكتور « هملخ » جراح الصدر الأمريكي ، إنه طوّر جهازاً لمساعدة مرضى الجهاز التنفسي . يتكون الجهاز من وعاء من الأوكسجين يبلغ وزنه ستة « باوندات » مرتبط بالرئتين بأنبوب رفيع يبلغ طوله خمس بوصات ونصف البوصة ويمر عبر القصبات الهوائية .

لقاح ضد الورم الفيتاميني

يقول باحثان في جامعة «كنساس» إنهما طوّرا لقاحاً ضد مرض « الورم الفيتاميني » Melanoma ، وهو نوع من سرطان الجلد . وسمي كذلك نتيجة للونه القاتم . ويقول الباحثان إنه بعد دراسة المصابين بهذا المرض لمدة عشر سنوات فإنهما يتوقعان أن يؤدي اللقاح الجديد إلى عدم عودة المرض بعد إزالة الأورام ، والمعروف أن أهم عامل في معالجة السرطان هو العمل على عدم عودته ثانية .

مُسكّن جديد

أعلن البروفسور الفرنسي « جين لابوريت » اكتشاف مسكن جديد أطلق عليه اسم (AGR-529) وقال : إن له مميزات رائعة في تسكين الألم ، وإنه ربما كان أقوى مسكِّن اكتشف حتى الآن . وتقول براءة الاختراع : إن المسكن المذكور مهدىء مضاد للالتهابات وللصرع ، كما أنه يحمي الدماغ من التلف أثناء نقص الأوكسجين .

فلك

احتمالات تغيّر مناخ الأرض

تقول السيدة « بريسيليا فريش » الفلكية في جامعة شيكاغو إن ريحاً خفيفة تتزايد سرعتها في نطاق النظام الشمسي تحمل مادة قد تؤدي إلى هطول أمطار غزيرة تغير مناخ الأرض تغييراً جذرياً ، ولكن بعد آلاف السنين من الآن . وتقول « فريش » إنها قامت وزملاؤها بدراسة غمامة صغيرة بين النجوم تتحرك نحو الأرض بسرعة عشرة أميال في الثانية ، وتتكون بشكل رئيس من ذرات الهيدروجين .

المذنب "هالي"

يقول تقرير عن المشاهدات الأولية للمذنب « هالي » إن سطحه الجليدي احمر قانٍ . يقوم بدراسة المذنب الآن علماء فلك يستخدمون تلسكوباً طوله (١٥٨) بوصة ، في اريزونا . المذنب الآن في منتصف الطريق بين « المشتري » و« زحل » . ويتوقع ان يصل إلى أقرب نقطة من الشمس في فبراير (شباط) من العام القادم . وكان المذنب قد ظهر لآخر مرة عام ١٩١٠م ، كما رُصد ثانية في اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢م . وهو اليوم في درجة من الوضوح تتمكن معها اجهزة التلسكوب القوية من مشاهدته .

إختراعات

سيقان الموز الزائفة بديل للألياف

تم التوصل إلى بديل لألياف القنب والسيزال والجوت . في جزيرة « سانت لوسيا » في البحر الكاريبي يوجد الكثير من نبات الموز ، ومع نبات الموز تنمو عادة سيقان زائفة ناعمة . وقد استخدم الفنيون البخار لفصل غلاف تلك السيقان ، واستخدام الباقي علفاً للماشية دون أية معالجة ، ثم تكشط الأغلفة وتغسل وتضغط وتجفف لإنتاج الألياف التي تستخدم في صناعة الورق والعجائن الورقية .

جهاز لتحديد مواعيد الصيانة الروتينية

صنعت شركة « نانا » الهندية جهازاً يرشد إلى أوقات الصيانة الروتينية التي تحتاجها المولدات وآلات ضغط الهواء والآلات المشابهة . تقوم الأجهزة بحساب عدد الساعات التي عملتها الآلات ، وتسجل اداءها . ومن شان هذا الجهاز ان يضع حداً للنزاع الذي ينشب بين أصحاب المصانع العالمية ودول العالم الثالث بسبب سرعة تلف الآلات ، إذ يتهم اصحاب المصانع هذه الدول بعدم إجراء الصيانة اللازمة للآليات ، مما يؤدي إلى قصر عمرها .

صرخة القدس

من مذكرات طفل فلسطيني

بقلم : مجدي عبد الغني خليفة

شاتيلا .. سبتمبر ١٩٨٢م

أبي الحبيب :

أعلم أنك لن تستطيع أن ترد على حديثي ، لكنني لا أزال أشعر بالراحة والأمان كلما تحدثت إليك .. لم يكن هناك أب مثلك .

أعلم أنك لو كنت قادراً على الرد .. فإنك كنت ستوبخني ، ستقول لي : (لماذا عدت للاختباء في البرميل ؟ إن « البراميل » جعلت للقمامة لا للرجال)

أبي .. صحيح أنني كنت أحب هذه اللعبة لعبة الاختباء في « البرميل » فقد صنعت فيه فتحة جانبية صغيرة كنت أرقب منها شقيقتي « فدوى » وهي تبحث عني ، لقد كنا نحب هذه اللعبة كثيراً لكنني يا أبي في هذه المرة اختفيت رغماً عني ، لقد رأيتهم قادمين ، الشرّ في أعينهم والدمار في أيديهم ، يهدمون كل شيء ، يمزقون كل شيء ، يحرقون كل شيء ، ويقتلون كل شيء .

لم أعرف من هم ! ربما يكونون من « تتار » جدد ، ربما يكونون خلفاء « المغول » الذين حدثتني عنهم !

لقد كنا نلعب ـ أنا و (فدوى) في المخيم ، سمعتها تصرخ ، قفزت إلى (البرميل) دون أن أشعر ، أما فدوى ... (فدوى) المسكينة فلم تستطع ، لقد اقتربوا منها ، فأخذت تصرخ وتصرخ ، واحتبس صوتي في حلقي ، واختنقت عيناي بالدموع وغابت الصور عن عيني .

لم أعرف كم من الوقت مرّ بي ، لكنني تنبهت لنفسي ، إنني في قاع البرميل ، والفتحة الصغيرة الجانبية أمام عيني ، حمدت الله أنني استيقظت من هذا الكابوس ، فيبدو أنني نمت أثناء اللعب مع (فدوى) ، كالعادة نظرت من الفتحة الصغيرة لأرى ما حولي ، آه .. يا أبي تمنيت لو كنت أعمى ، إنني لم أكن في كابوس ، لم أكن أحلم ، لقد وجدتهم كما هم ، الشر في أعينهم ، والدمار في أيديهم ، يهدمون كل شيء ، يمزقون كل شيء ، يحرقون كل شيء ويقتلون كل شيء .

بحثت عنك ، عن أمي ، عن جدي ، عن (فدوى) ، لم أجد أحداً ، فقط على مرمى بصري كانت هناك كومةٌ كبيرة من اللحم .. اللحم البشري .. أقدام وأذرع ورؤوس وأحشاء ، شيء لا يوصف ، بحثت عن وجوهكم ، لم أعثر على وجه أعرفه ، فقد سكبوا بعضاً « من البنزين » عليكم ، وأشعلوه ، لقد ضاعت كل الملامح ، وشاهت كل الوجوه إلَّا وجهاً واحداً ، عرفته ، انه وجه (فدوى) إنها لم تعد (فدوى) ولم تعد جميلة ، آه ـ يا أبي لو رأيت عينيها فقد اتسعت حدقتاها ، كانتا أوسع من السماء .. كانت تنظر ناحيتي نظرة احترت في معناها ، كان فيهما الرجاء ، وكان فيهما الهلع ، وكانت فيهما الاستغاثة ، وأشياء أخرى .

أبي .. هل تحسب ان النيران التي احرقوكم بها قاسية ؟ لا يا أبي ، لست

احسب هذا ، لقد تمنيت لو أنهم احرقوني معكم ، فقد كانت نظرة (فدوى) ، (فدوى) الجميلة (فدوى) المسكينة أقسى على قلبي من كل النيران .

لست أدري كم من الوقت مر بي وأنا في قاع البرميل ؟ لكنني أفقت مرة ثانية لأجد نفسي في أحد مراكز الصليب الأحمر الدولي ، قالوا لي إنهم اكتشفوا وجودي بالصدفة عندما سمعوا صوتاً ينبعث من برميل صغير له فتحة جانبية .. تكفي عيناً واحدة ، قالوا إنني كنت أهذي .. كلماتي لم تكن مفهومة ، لم يميزوا منها سوى (فدوى) نعم (فدوى) الجميلة .

لقد كتبوا الكثير من الحكايات عنا ، والتقطوا الكثير من الصور لنا ، لكن أجهزة تسجيلهم لم تستطع أن تسجل صرخة (فدوى) وآلات تصويرهم لم تستطع أن تغوص وتغوص لترى كمية الدماء التي روت أرض (شاتيلا) ، لقد عجزوا عن التعبير ، وعجزوا عن التصوير ، فجاءت كل أعمالهم مجرد تسلية .. نعم تسلية للقراء وتدفئة لمشاعر العالم ، وانقضت فترة طويلة .. يا أبي ، ونحن مصدر تسليتهم وفحم تدفئتهم .

في إحدى الدول الأجنبية سبتمبر ١٩٨٣م :

أبي الحبيب :

إنني أعيش الآن في دولة متحضرة ، هكذا قالوا لي ، لقد حملوني إليها مع العشرات من الأطفال والجرحى الذين فقدوا أهلهم ، قالوا إنها رحلة ترفيه لمساعدتنا على نسيان ما حدث .

أبي .. هل تحسب أنهم قادرون على جعلنا ننسى ؟ ماذا ننسى ؟ كومة اللحم ؟ أم البنزين والنار ؟ وإذا نسيت هذا هل أنسى نظرة (فدوى) ؟ هل أنسى صرختها ؟

أبي .. لقد أعطونى الكثير من الكتب والمجلات لكنني لم أحبها ، لا تغضب يا أبي ، أعلم أنك تحب أن تراني أقرأ وأقرأ ، لكنني وجدت في إحدى المجلات عبارة لرجل .. لا .. بل لذئب اسمه « مائير كهانه » كان يقول .. (إن صبرا وشاتيلا ليستا كافيتين ويجب أن يكون على كل بقعة تحمل فلسطينياً ألف صبرا وألف شاتيلا) .

أبي هل تعرف هذا الرجل ؟ لماذا يكرهنا لهذا الحد ؟ إنني لا أعرفه وهذه هي المرة الأولى التي أسمع باسمه ، لكنني اتخيله مثل ذئب مفترس وفي المجلة نفسها عبارة لسيدة .. لا .. بل لأفعى اسمها « جيؤلا كوهين » تقول : (يجب أن يتنبه العالم لهذا الوباء الفلسطيني) إنني أشعر بالفزع كلما سمعت أن هناك طفلاً لم يتعد العاشرة يضع حول عنقه وشاح منظمة التحرير الفلسطينية ويحاول رفع مدفع (آر - بي - جيه) بالرغم من أن المدفع أثقل منه ، إن هؤلاء الأطفال هم أكثر خطورة من آبائهم ويجب أن يُبادوا) .

أبي .. هل تعرف هذه السيدة ؟ إنني لا أعرفها وهذه هي المرة الأولى التي

من مذكرات طفل فلسطيني

صرخة القدس

اسمع باسمها ، لكنني اتخيلها مثل حية رقطاء .

أبي .. هل لحظة الفزع التي تقول هذه السيدة إنها تشعر بها تشبه تلك التي احست بها (فدوى) وهي بين مخالب الذئاب ؟

أبي .. لماذا لم تعلمني استعمال مدافع (آر - بي - جيه) التي تزعم هذه الأفعى اننا نستعملها ونحن أطفال ؟ إنهم هنا يقولون عنا إننا جيل (آر - بي - جيه) .

آه .. يا أبي لو كنت أعرف كل هذا لحولت زعمهم إلى حقيقة ، أكاذيبهم إلى واقع ، ربما انك كنت تخشى على طفل السابعة ، لكن يا أبي مانراه يجعل الطفل منا أفضل من الشاب منهم .

أبي .. إنني اندم على الوقت الذي قضيته في اللعب وفي الاختباء في البرميل ، وهذه هي المرة الأولى التي أفهم فيها عبارتك :

(إن البراميل جعلت للقمامة لا للرجال)

في بلد عربي سبتمبر ١٩٨٥م :

أبي الحبيب :

لا شيء جديداً سوى انني انتقلت لدولة أخرى ، ورحلة التشرد مستمرة ، وكيف تتوقف الحروب والصراعات لا تنتهي ؟!

لاتفرح يا أبي إنها ليست الحرب المقدسة ، الحرب التي تطهر الأرض ، أو ترويها بالدم بل هي حرب ملعونة بين دول مسلمة ، أو حتى بين الطوائف المختلفة في الدولة الواحدة .

وكيف تتوقف رحلة التشرد ... والاغتيالات لا تنتهي ؟!

لا تفرح يا أبي إنها ليست اغتيالات لصهاينة متعصبين مثل « مائير كهانه » أو « شارون » أو « جيؤلا كوهين » بل هي اغتيالات لبشائر الصحوة الاسلامية ورموز التحرير المرتقب .. ترى لمصلحة من يتم هذا كله ؟ وهل هي حقيقية تلك الشعارات التي نسمعها .. والتي ترددها الأبواق الدعائية صباح مساء ؟

إنني لم أعد أفهم شيئاً ، هل نحن صرنا أقوياء على أنفسنا بقدر ما نحن ضعفاء مع العدو ؟ هل اكتفينا بالفرجة من فتحة البرميل ؟

ألم اقل لك إنه ليس هناك أب مثلك ؟ ليتك تاتي وتذكرهم بعبارتك المشهورة (إن البراميل جعلت لجمع القمامة .. لا للرجال)

أي مكان في العالم .. سبتمبر من كل عام ، وحتى تحرير القدس :

أبي الحبيب :

بالأمس كنا نحتفل بذكراكم ، ذكرى استشهادكم ، وكان معي مجموعة من الشباب المسلم ، إنهم إخوة أعزاء تعرفت بهم أثناء رحلتي ، رحلة التشرد ، إنهم يا أبي جيل مختلف .. هل أقول إن هناك بشائر نهضة ؟ هل أقول إن هناك بداية سعي نحو الأمل ؟ لقد سألت واحداً منهم لماذا يحس بهذه المشاعر وهو لم يسمع صرخة (فدوى) ؟ وليس (فلسطينياً) ؟ فقال لي :

(إذا كنت غير قادر على نسيان صرخة (فدوى) فهل تحسبنا نقدر أن ننسى صرخة « القدس » ؟ إن القدس هي (فدوى) كل عربي و« القدس » هي « فدوى » كل مسلم .

أبي الحبيب :

لقد اغتصبوا (فدوى) مرة واغتصبوا (القدس) آلاف المرات ، وستبقى صرخة (القدس) شوكة في ظهورهم وفي عيونهم ..

أبي الحبيب

نم هنيئاً في قبرك ، الذي لا أعرف موضعه فانا اسمع الصرخة .. « صرخة القدس » إنها ترتفع وترتفع ، وستصل حتى للذين وضعوا أصابعهم في آذانهم ، وكمامات فوق أفواههم .. إنها ستهز ضمائرهم ، وستجعلهم يتعلمون (أن البراميل هي للقمامة لا للرجال) .

ابنك المجاهد

ياسر

في الاقتصاد الإسلامي ٢

البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق

في حوار مع الدكتور جمال عطية

■■ تحت هذا العنوان ، نشرنا في العدد الماضي الجزء الأول من الحوار الذي أجريناه مع الدكتور جمال عطية ـ احد الخبراء المتخصصين في الاقتصاد والعمل المصرفي الإسلامي ، وتناولنا فيه عدداً من القضايا المتعلقة بالفكرة النظرية والتجربة التطبيقية للبنوك الإسلامية ، ووصلنا في الحوار إلى مناقشة قضية الرقابة ـ التي تشكل اهمية خاصة بالنسبة لسير العمل وضوابطه ، حيث تقتضي ضمان الالتزام بالقواعد الشرعية الأساسية في المعاملات ـ من ناحية ـ وتحرص على اتباع الأسس الاقتصادية الحديثة في استثمار الأموال وتنمية الموارد ـ من ناحية أخرى ـ وطرحنا ملاحظة انه قد لا يتوفر ـ بحكم الواقع الإسلامي اليوم ـ الإنسان الذي يجمع بين العلم الشرعي والخبرة المصرفية ..

وفي هذا العدد نستكمل بقية ما دار في الحوار .. ■■

سرية البيانات

●● نعرف جميعاً أنه في البنوك غير الإسلامية ، لا يهم المودع ما يقوم به البنك من نشاط ، فالمودع إذا نظر إلى سلامة ومتانة البنك وعرف أن ميزانيته بالبلايين ، يطمئن إلى أن وديعته محفوظة ، وهي مضمونة بطبيعتها ، بالإضافة إلى الفائدة المتفق عليها .. أمَّا في البنك الإسلامي فإن المودع حريص على الاستثمار بطريقة شرعية ، وهو مشارك في الربح والخسارة ، ولذلك يتتبَّع أعمال البنك ويريد أن يعرف : أين ذهبت هذه الأموال ؟ وفي أي المشروعات قد استثمرت ؟ وهل استثمرت بطريقة شرعية أم لا ؟ وهل استثمرت في داخل البلاد الإسلامية أم خارجها ؟ إلى آخر هذه التساؤلات التي يكثر حدوثها من المودعين ، لأنهم ما أودعوا أموالهم ابتغاء الحلال فقط ، وإنما يريدون أن يسهموا أيضاً في تطوير الاقتصاد الإسلامي وتقدمه ..

فماذا ترون في شأن طبيعة البيانات التحليلية ، التي يجب على البنك الإسلامي نشرها ، حتى يستطيع المودع الوقوف عليها ومتابعتها ، دون المساس بسريّة العمل التي قد لا تتحقق المصالح الاستثمارية إلَّا بتوفرها ؟

ـ في الحقيقة ، إنَّ ما أنصح به في هذه الناحية هو أن تكون البنوك الإسلامية على أعلى درجة ممكنة من تفصيل الحسابات ، أي أن تكون حسابات الميزانية والبيانات أو القوائم التفصيلية التحليلية التي تُرفق بها على أعلى درجة ممكنة من التفصيل ، وتحليل الودائع وأنواعها والاستثمارات في مختلف المجالات ومختلف الدول والعملات والمدد وغير ذلك من البيانات ، حتى لا يكون هناك تساؤل ، فترد هذه البيانات المسهبة على تساؤلات الناس ، فيطمئنوا إلى أن البنك يقوم بما يتصوره المودع ، أو إذا كان البنك لا يقوم بما يتصوره ويأمله المودع فيسحب وديعته ، ولكي لا يكون بعد هذا التفصيل والإسهاب أي مجال للتساؤل ... **طبعاً لا يحد البنك في هذا الإعلان والتفصيل إلَّا السرية التي يلزمه بها القانون : سواء سرية أسماء المودعين أو سرية أسماء وشخصيات المتعاملين مع البنك ، أمَّا باقي البيانات التحليلية وغير ذلك فلا يضر إعلانها ..**

الحرج في التطبيق

●● نتيجة الازدواج الثقافي الذي نعانيه في العالم الإسلامي : تواجه البنوك الإسلامية وضعاً خاصاً ، هو أن كثيراً من العلماء أو المتخصصين في البنوك ليس لهم دراية بالشريعة الإسلامية ، وكثير من علماء الشريعة الإسلامية أو علماء الفقه ليس لهم دراية بأعمال الاقتصاد والقانون الذي ينظمه وبأعمال البنوك .. لذلك اضطرت المصارف الإسلامية إلى إيجاد الرقابة الشرعية إلى جانب الرقابة القانونية .

ما هي انعكاسات هذا الازدواج داخل المؤسسات المصرفية الإسلامية ، من واقع خبرتكم وتجربتكم العملية ؟

ـ هذا الوضع أرجو أن يكون مؤقتاً لأنه وضع غير طبيعي ، ومن الطبيعي أن يتجه أصحاب الفضيلة المتخصصون في الفقه والشريعة إلى دراسة الأمور المصرفية والتخصص فيها ، وأن **يتجه المتخصصون في الأعمال « البنكية » والاقتصاد إلى دراسة الشريعة والتخصص فيها ، حتى يلتقي الطرفان على مفهوم واحد**

البنوك الإسلامية

بين النظرية والتطبيق

ويتجهان بعد ذلك إلى أن يكوِّنا هيئة واحدة ، للتخلص من هذا الانفصام أو الانفصال الموجود حالياً .. وإنني أعتبر أن هذا الحل حل مؤقت ، وأرجو أن ينتهي باتجاه كل من الجانبين إلى دراسة ما عند الآخر والتخصص فيه حتى نصل إلى إزالة هذا الازدواج الثقافي ..

وحتى يقوم هذا ، هناك بعض المشاكل التي تنتج عن هذا الازدواج أُولى هذه المشاكل هي أن الأعمال المصرفية بصورتها الحالية المتفقة مع التطورات التي وصلت إليها المعاملات ، والأساليب الحديثة التي تتبعها البنوك الأخرى هي على درجة عالية من التعقيد والتنويع والإبداع والتجديد ..

هذه الصور الجديدة ؛ إذا أردنا أن نجري عليها الصيغ التقليدية القديمة في كتب الفقه ـ العقود المعروفة قديماً في كتب الفقه ـ نجد مشقة كبيرة ، ونجد في بعض الأحيان نوعاً من التكلف في أننا نكيِّف مثلاً عقد الاعتماد المستندي بأنه يجمع بين الوكالة وبين المشاركة وبين القرض ، وبين كذا أو كذا ، أي نقوم بتقطيع أوصاله وتكييفه عدة تكييفات حتى نصحح جزءاً منه ونبطل جزءاً آخر ، وهكذا .. ولو اننا نظرنا إلى الأمر على أنه عقد جديد مستحدث فلن نهتم حينئذ بأن نكيفه تكييفاً ما ، وإنما نتقبله أصلاً على أنه مستحدث وأن الأصل في المعاملات الإباحة ، ونبحث عمَّا إذا كان فيه بعض الأحكام أو بعض المعاملات المخالفة لنص محرِّم ؛ حينئذ نعالج هذه المخالفة ونحاول إيجاد البديل المقبول شرعاً ، ونعترف للعقد بعد إصلاحه بوحدته ونعطيه اسماً جديداً ، ويمكن أن نعطيه رقماً إذا لم نستطع أن نستحدث له اسماً ، ولكن إذا استمررنا في تقطيع أوصال العقود وشدِّها ومحاولة تكييفها وفقاً للعقود القديمة سنقع في حرج شديد يعطل الأعمال ، واظن اننا تقدمنا في هذا السبيل عدة مراحل ولكن لا يزال امامنا الكثير من الأشواط نحتاج فيها ان نتبع هذا الأسلوب بشيء من الجراة لان إخواننا الفقهاء لا يعارضون من حيث المبدا في ان الأصل في المعاملات الإباحة ، ولكننا حينما ندخل معهم في التطبيق نجد التردد والحرج في الاعتراف بعقد جديد ورسم حدوده ووضع احكامه ..

الشروط الموضوعية والرقابة الحكومية

●● نأتي بعد ذلك إلى الرقابة الحكومية ، وهذا أمر هام ، لأن البنوك الإسلامية حتى الآن تقوم باستثناء ـ كما ذكرتم ـ عن طريق مرسوم أو قانون يسمح لأشخاص معينين بتأسيس بنك ، ثم تنقطع صلة الحكومة بهذا البنك بعد تأسيسه ، ولا يستطيع غيرهم أن ينشىء بنكاً إسلامياً آخر إلَّا إذا اتبع الأسلوب نفسه ، وتقدم إلى الحكومة وفحصت حالة الأشخاص الذين يتقدمون ...

هذه الصورة من غير الطبيعي أن تستمر ، لأنها اقرب إلى الصفة الشخصية من الصيغة القانونية ، فما هو السبيل إلى أن يكون نظام البنوك الإسلامية نظاماً موضوعياً لا شخصياً ، لا يرتبط بأشخاص القائمين وثقة الحكومة فيهم ، وإنما يكون له ضوابطه الموضوعية ، فإذا توافرت هذه الشروط الموضوعية في أي شخص أو اي مجموعة من الأشخاص ، وتقدموا بطلب يسمح لهم كما يحدث في البنوك الربوية الأخرى ؟

ـ هذه الصورة لا تتم إلَّا بوضع قانون مصرفي لهذا النوع من المؤسسات ، وهذا ما أوشكت دولة الإمارات أن تصدره ، وهذا ما قامت به ـ كما قلت ـ إيران وباكستان وتركيا بالنسبة لمؤسسات التمويل الخاصة التي أسمتها هكذا .. ولم أطَّلع بعد على القانون الذي صدر في السودان ، وإنما بلغني أنه مجرد أمر رئاسي يقضي بتحويل البنوك إلى بنوك إسلامية دون تفصيل : كيف تتحول ؟ أو كيف تكون ؟ أو كيف تراقب ؟ لعلَّ هذا سيأتي في المستقبل القريب ...

لكن هذه التنظيمات تشمل فيما تشمل ـ نوعاً من الضوابط على نشاط البنك ـ فمثلاً يقيدون البنك بألَّا تزيد ودائعه عن نسبة معينة من رأسماله ، لإيجاد نوع من التوازن ، حيث إن رأس المال هو خط الدفاع الأخير للبنك ، يقولون للبنك لا يجوز أن يتجاوز رأس مالك نسبة ـ مثلاً ـ ١٠٪ ، من مجموع الأصول ، أي أن الودائع لا يجوز أن تزيد عن عشرة أضعاف رأس المال ، فإذا تجاوز البنك ذلك يجب أن يرفع رأس ماله أو يمتنع عن قبول ودائع وذلك حتى يوجَد نوع من التوازن ..

وتكون هناك ضوابط مثلاً في أنه لا يجوز للبنك أن يستثمر ما لديه من ودائع عند شخص واحد ، إلَّا في حدود نسبة معينة لا يجوز أن يتجاوز مثلاً ١٠٪ ، أو ٢٠٪ من رأس ماله هو ـ لا من مجموع الودائع ولكن من رأس ماله ـ حتى يكون هناك نوع من الأمان ولا يضع البيض كلّه في سلّة واحدة ..

هناك كذلك مثلاً نسب تضعها هيئات الرقابة ـ على البلاد ـ فلا يجوز أن يُستثمر كل المال في دولة واحدة ، بالنسبة للمعاملات الخارجية ، فيضعون شرطاً : لا يجوز التعامل مع هذا البلد أو ذاك .. إلى أكثر من هذا الشرط المعين ، هذا النوع من الضوابط ضروري حتى يحكم عمل البنوك الإسلامية ، ويمثل نوعاً من الحيطة الضرورية حتى لا تتعرض أموال المودعين للضياع ..

طبعاً هناك العديد من هذه الضوابط ، والتي تختلف من بلد إلى بلد ، والتي بناء على هذا

● الدكتور جمال عطية ●

● الازدواج الثقافي الذي نعانيه في العالم الإسلامي : جعل الكثير من المتخصصين في أعمال البنوك على غير دراية بالشريعة الإسلامية ، كما جعل الكثير من علماء الشريعة والفقه الإسلامي على غير دراية بالاقتصاد والقوانين التي تنظمه .. ●

الاختلاف فيها يقولون : إن هذا البلد فيه تسامح في الناحية المصرفية أو فيه تشدد في الناحية المصرفية ، ولكنها عموماً تسير وفق هذا الخط من وضع الضوابط التي تلزم البنوك بالسير وفقها ، وتتم عملية الرقابة والتفتيش في صور نماذج تعبئها ؛ بعضها يعبأ يومياً وبعضها أسبوعياً وبعضها شهرياً ، وبعضها كل ثلاثة شهور ، حتى يكون المفتشون القائمون على هذه البنوك من قبل البنك المركزي على اطلاع مستمر وآنيٍّ على حالة كل بنك ، فإذا اطّلع على أي انحراف فيه سارع إلى المطالبة بتصحيحه ، وتصل سلطة البنوك المركزية في هذا الأمر إلى حد أنها تملك إيقاف أو عزل جميع أعضاء مجلس الإدارة وتعيين أعضاء آخرين من قبلها ، ووضع يدها على البنك إذا وجدت انحرافاً خطيراً يضر أو يعرض مصالح المودعين للخطر ..

هذا في الحقيقة ما تحتاجه البنوك الإسلامية حتى تدعم نشاطها وتزيد ثقة المتعاملين معها ..

دور البنوك الإسلامية في توظيف المال لخير المسلمين

●● هناك بعض الوظائف الاقتصادية ، التي كان يمكن للبنوك الإسلامية أن تقوم بها لو انها قامت بصورة طبيعية وفقاً لتطور العمل الإسلامي والنضج الإسلامي والتنظير الإسلامي ووصوله إلى المرحلة التي ينتقل بها من ميدان الفكر إلى ميدان العمل ، ويمكن أن يوفر لهذه المؤسسات فرصة القيام بدور حقيقي في المجال الاقتصادي ، ولا تقتصر على الدور المصرفي الذي تقوم به الآن .. حيث تقوم الآن بإيجاد نوع من البديل المقبول شرعاً لما تقوم به البنوك الربوية وهذا ليس هو كل المطلوب ؛ فهناك وظائف أساسية في ظل التصور الاقتصادي الإسلامي يمكن للبنوك ، بل يلزم لها أن تقوم كأداة من أدوات الدولة والمجتمع ، فما هو تصوركم لهذه القضية ؟

— الإسلام ينظر إلى المال على أنه ملك لله تعالى وأن الإنسان مستخلف فيه ، أي أن الملكية مشروطة وهادفة ، وأن الإنسان يجب أن يمارس حقوق ملكيته في حدود هذه الوظيفة .. إن للمال وظيفة ؛ وظيفة اجتماعية ..

ولا يمكن للبنوك أن تقوم بدورها في هذا المجال إلَّا إذا كانت في ظل نظام إسلامي اقتصادي متكامل .. مثلاً ، المال عصب الحياة ومن الممكن أن ننشّط قطاعاً معيناً أو مشروعاً معيناً إذا سمحنا بالتمويل له ، كما يمكن أن نقضي على هذا القطاع أو على هذا المشروع إذا امتنعنا عن تمويله ، وهذا ما تقوم به أحياناً بعض البنوك المركزية في ظل الاقتصاد الموجّه أو الجماعي ، بل أحياناً في ظل الاقتصاد الرأسمالي حينما تقوم بالتدخل وتوجيه تعليمات محددة للبنوك التجارية ألَّا تموِّل الاستيراد مثلاً ، أو ألَّا تموِّل الكماليات .. إلى غير ذلك من القيود التي توجهها البنوك التجارية ، وتلتزم بها البنوك بطبيعة الحال ، وهذا النوع من النشاط هو في الحقيقة أداء لوظيفة اقتصادية معينة ؛ **ويجب أن تقوم البنوك الإسلامية بهذا النشاط الاقتصادي الهادف ، الذي يهدف إلى استخدام المال لصالح الأمة الإسلامية ، ولا يقتصر على أن تكون العملية في إطار مقبول شرعاً ..**

البنوك العالمية ومشكلة الديون

●● هل يمكن أن نستعرض بعض المشاكل الهامة التي كان يمكن تفاديها لو أن النظام الاقتصادي الإسلامي ؛ أو حتى لو أن النظام المصرفي الإسلامي تطور في وقت سابق إلى الدرجة التي يمكنه معها أن يقوم بعملية الاستثمار على مستوى العالم الإسلامي والعالم الثالث ؟

— حينما زادت عائدات النفط سنة ١٩٧٣م زيادة كبيرة كانت هناك فكرة أن تقوم الدول النفطية باستثمار هذه العوائد الإضافية التي جاءت إليها مباشرة في مشروعات بلاد العالم الثالث وبالتالي في بلاد العالم الإسلامي .. ولكن سرعان ما تقدمت البنوك العالمية الكبرى والمنظمات المالية العالمية ، وأقنعت هذه الدول بأنه ليس في إمكانها أن تقوم باستثمار هذه الأموال ، **وأنه من الخير أن تسلمها هذه الأموال لتقوم هي باستثمارها لأن بإمكانها أن تقوم بهذا الأمر ، وقامت فعلاً الدول النفطية بإيداع هذه الأموال الكبيرة لدى البنوك العالمية ، مقابل الفائدة الربوية طبعاً ، ولتكن الفائدة ١٠٪ .**

والسؤال هنا : **ماذا فعلت البنوك العالمية بهذه الأموال ؟**

البنوك الإسلامية

بين النظرية والتطبيق

قامت البنوك العالمية باستثمار هذه الأموال في دول العالم الثالث ، لأن دول العالم الغربي الرأسمالي متخمة بالأموال ، هي ليست مستوردة لرؤوس الأموال ، هي متخمة بالأموال ، وعندها أموال فائضة كذلك تريد استثمارها ، فلم يكن هناك مجال إلَّا لاستثمار هذه الفوائض التي جاءتها من دول العالم الثالث ، **فكانت تقوم بإقراض هذه الدول بمعدلات فائدة مرتفعة جداً تصل إلى ٢٠٪ ، و ٢٥٪ ، و ٣٠٪ في السنة** .. ويفرح مديرو هذه البنوك حينما يعقدون هذه الصفقات ، فيقرضون دولة ما ، مائة مليون دولار ، وخمسمائة مليون دولار لمدة خمس سنوات أو عشر سنوات بفائدة مرتفعة كهذه الفائدة ..

وفي تصوره - أي مدير البنك - أنه حقق لبنكه دخلاً مرتفعاً من هذه الفائدة المرتفعة .. وبعد مرور سنوات السماح الأولى ، وبعد استحقاق الفوائد التي يجب أن تدفعها هذه الدول على ديونها ، **تبيَّن عجز هذه الدول عن دفع مجرد الفوائد** ، فضلاً عن رؤوس الأموال نفسها ، بل إنَّ بعض هذه الدول تبلغ الفوائد - فقط - المستحقة عليها سنوياً ضعفي أو ثلاثة أضعاف قيمة صادراته ، **بمعنى أنه يلزم أن يضاعف صادراته حتى يسدد ما عليه من فوائد ، ولا يبقى له شيء بعد ذلك لاقتصادياته ، ولا لسداد رأس المال المقترض ..**

حينما تبيَّن للبنوك العالمية هذا الوضع - وفقاً للقواعد المحاسبية - إذا عجز المدين أو المقترض عن دفع الفوائد يصبح الدين نفسه مشكوكاً فيه ، ويلزم في هذه الحالة أن يخصص مخصصات لهذه الديون المشكوك فيها ..

●● ولكن من أين يأتي بهذه المخصصات ؟

— يأتي بها من دخله الآخر الذي تحقق من ديون أخرى أو قروض أخرى .. **وبذلك ينقلب الوضع معه من ربح متوقع إلى خسارة** ، لأن الأرباح التي حققها من فوائد الديون الجديدة ، يقوم بتخصيصها تحسباً لهذه الديون المشكوك فيها .. فإذا زادت هذه المخصصات عن رأس مال البنك نفسه أو عن إمكاناته من دخله من القروض الأخرى ، يقع في حالة إفلاس .

وتحاشياً لهذه الحالة - غير المرغوب فيها بطبيعة الحال - **لجأت البنوك العالمية إلى شيء مضحك ومبكٍ في الوقت نفسه وهو أنها تقوم بإقراض هذه الدول مرة أخرى ، مبلغاً يكفي لسداد الفائدة إليها ، هي تقرضها مائة مليون ، والفائدة عشرة ملايين مثلاً - وليس عند هذه الدول ما تدفعه ، فتقرضها عشرة ملايين ، حتى تردها إليها وتبقى في الدفاتر أن هذه الديون غير مشكوك فيها ، هم يضحكون على أنفسهم ، ويستمر هذا سنة بعد سنة ، ويحاولون أن يجدوا حلولاً ، ولم يجدوا حتى الآن الحل المرضي ..**

وقد بلغ الوضع من السوء بأنَّ بعض البنوك الدولية الكبرى الذي يحتل المرتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة بين بنوك العالم ؛ وفقاً للإحصاءات التي وضعها المعهد الدولي في واشنطن ، الذي أنشأته هذه البنوك لدراسة أحوال هذه الدول المدينة ، **بلغ الوضع بأحد هذه البنوك وفقاً لهذه الإحصاءات أنه يلزمه أن يستمر دون دفع أرباح للمساهمين (٢٦٢) سنة حتى يستطيع أن يستهلك هذه الديون المشكوك فيها ..**

الوضع من الخطورة بهذه الصورة .. هناك عشرة بنوك أمريكية واقعة في هذا المشكل الأساسي ..

●● أحياناً يتصوَّر بعض الناس انه من الخير للدول النفطية أن تودع هذه الأموال في صورة ودائع بدلاً من أن تقوم هي بالتورط مع دول العالم الثالث ..

— هذه الفكرة ظاهرها جيِّد ، لكن حقيقتها غير ذلك .. لأنه في الظاهر أن هذه الودائع مضمونة من البنوك ، **ولكن في الحقيقة إذا تعرَّضت هذه البنوك للإفلاس ، فإن المؤسسات التي تضمن الودائع في أمريكا - وهي أشد الدول ضماناً للودائع - لا تضمن الودائع التي تزيد عن مائة ألف دولار .. ومعنى هذا أن صغار المودعين فقط هم الذين سيستفيدون من هذه الضمانات ، أما كبار المودعين - عند إفلاس هذه البنوك - فستذهب عليهم أموالهم وسيكون موقفهم ، تماماً كما لو كانوا هم المقرضين لدول العالم الثالث ..**

حينما اشتد هذا الأمر ؛ تقدمت الاقتراحات لحل الموضوع .. وعندي فيها مسح لستة وثلاثين اقتراحاً من عدّة جهات مختلفة - ومعظم هذه الاقتراحات ، يقترح حلاً للوضع - أن تقوم البنوك ، بتعديل الاتفاقات التي قامت بها مع هذه الدول ، **وبدلاً من أن تكون عقود قروض ، أن تصبح شريكة معها ، سواء في المشروعات التي قامت بتمويلها أو في نتيجة وحاصلة صادراتها ..**

●● هل ترون أنه لو اتبعنا - منذ البداية - الطريقة الإسلامية في المشاركة لكان بإمكاننا أن نقوم - سواء مباشرة أو عن طريق البنوك - بالاستثمار في دول العالم الثالث ، مع المشاركة في نتيجة هذه الاستثمارات ، ومع الإشراف - وهذا هو المهم - الإداري والحسابي والاستثماري الذي يضمن وجود هذه الأموال وعدم تسربها فيما لا نفع فيه ؟

— يؤسفني أن أقول : إنه في بعض الدول

● علماء الشريعة لا يعارضون - من حيث المبدأ - في أن الأصل في المعاملات الإباحة .. ولكن حين يبدأ التطبيق يظهر بعض التردد والحرج في الاعتراف بعقد جديد ، ورسم حدوده ووضع أحكامه .. ●

● الإســلام ينظر إلى المال على أنه ملك لله تعالى ، وأن الإنســان مستخلف فيـه وأنَّ لـه وظيفـة اجتماعية .. ولا يمكن للبنوك الإسلامية أن تقوم بدورها كاملاً في هذا المجال إلَّا إذا كانت في ظل نظام إسلامي اقتصادي متكامل .. ●

التي حصلت على قروض ، في بعض هذه الدول ، وضع رؤساؤها الأموال التي اقترضتها دولهم في حساباتهم الخاصة ، وحينما تذهب هذه البنوك للبحث عن المشروعات التي تشارك عليها لن تجد هناك مشروعات ـ ولا داعي طبعاً لذكر الأسماء ـ .

بين النظرية .. والتطبيق

●● حينما نقرأ ما كُتب في الاقتصاد الإسلامي وما كتب عن البنوك الإسلامية نجد التركيز الشديد على أن طريقة عمل البنوك الإسلامية تقوم على المشاركة في الربح والخسارة .. واعتماد صيغة المضاربة ، أو المشاركة في المشروع ، ما هي ملاحظاتكم على هذه الأوعية من واقع التطبيق ؟

ـــ حينما بدأت البنوك الإسلامية بتطبيق نظام المشاركة ، واجهتها كثير من الصعوبات ، صعوبات ناتجة عن أن كثيراً من الأعمال التي تحتاج إلى التمويل بالمشاركة أعمال فردية ، يقوم بها الأفراد ، والفرد بطبيعته غير منظم ولا يمسك حسابات ولا يريد أن يطَّلع على الحسابات إن وُجدت ، هذا إذا أحسنَّا به الظن ، أمَّا إذا أسأنا به الظن ؛ فإنه يحتفظ بحسابات مزدوجة ، واحدة للضرائب وواحدة حقيقية ، ولا مانع عنده أن يكون لديه مجموعة ثالثة للبنك الإسلامي ..

وحينما واجهت البنوك الإسلامية هذه الصعوبات ، التي تتعرض ـ بناءً عليها ـ لمخاطر وخسائر ، بدأت في تحديد حجم العمليات التي تقوم بها بصيغة المضاربة والمشاركة ، واتجهت إلى استخدام صيغة المرابحة بشكل كبير ، والمرابحة بطبيعتها عملية مضمونة لأن الطريقة التي تتبعها البنوك الإسلامية ، حينما تشتري البضاعة لمن يطلبها ، سواء أخذنا بفكرة الوعد الملزم أو الوعد غير الملزم ، ولكن عندها على الأقل عميل ، سواء التزم هذا العميل بالشراء أو لم يلتزم ، فهي لا تتعرض للمخاطر لأنها تبرم العقد مباشرة عند ورود البضاعة ، والتزامه بوعده أو تبيعها إلى غيره ، وتنقلب العلاقة بعد ذلك إلى علاقة مديونية يصبح فيها العميل مديناً بثمن الشراء من البنك ، ولذلك تكون العلاقة واضحة ومحددة ، ويعرف فيها البنك ـ من دفاتره ـ أنه قد استثمر هذا المبلغ ، وعاد عليه بهذا الربح ، وأصبح مديناً به ويلتزم بردّه في موعد محدد ، ويأخذ عليه البنك الضمانات اللازمة ، من كفالة أو رهن عقاري .. إلى آخره ، وهذا يريح البنوك كثيراً في معاملاتها ، ولكنه في الوقت نفسه لا يصلح إلَّا في العملية التجارية ، **وبالتالي تصبح الأموال المودعة في البنوك الإسلامية منشطة للعملية التجارية ، بينما المفروض أن تتوزع هذه الأموال في مختلف المجالات ، ومختلف القطاعات الاقتصادية .. في قطاع الزراعة والصناعة والخدمات ، وفي غير ذلك من القطاعات .. وصيغة المرابحة في طبيعتها هي عقد بيع ، وعقد البيع تجارة ، ولذلك فإن مآل ضخامة هذه الاستخدامات في صيغة المرابحة ؛ فيه حصر لمجهود ونشاطات البنوك الإسلامية عمَّا كان متصوراً أن تقوم به في ظل التصور الاقتصادي الإسلامي ..**

●● هناك أمر آخر ، هو أن الذي نقرؤه في كتب الاقتصاد الإسلامي ، والذي يتصوره أي مفكر أو مثقف أو حتى الرجل العادي ، هو أن أموال المسلمين للمسلمين ، وأن المال أمانة ، ويجب أن نطمئن أين ننفقها وسنحاسب على ذلك يوم القيامة ، وأن صيغة البنوك الإسلامية تحقق تتبع الأموال ، خلافاً للبنوك الربوية ـ التي لا ندري أين ذهبت فيها الأموال ـ ففي البنوك الربوية مؤشر الفائدة هو الذي يجذب رؤوس الأموال ، والمودع يودع في البنك المحلي ، والبنك المحلي يودع في بنك آخر ، وتنتقل الأموال من بنك إلى بنك وفقاً لازدياد الفائدة ، حتى تصل الودائع إلى المستخدم الأخير الذي لا نعرفه ، وقد يكون عدونا هو الذي يستخدم أموالنا ولا ندري ، بينما في صيغة البنك الإسلامي ، البنك وكيل عنِّي ، اطمئن إلى إدارته ، يقوم بالاستثمار المباشر ، وعندما بدأت البنوك الإسلامية باستخدام هذه الصيغة لتنمية البلاد الإسلامية وتنشيطها ، تبيَّن أن المدخرات والفوائض الموجودة في البنوك الإسلامية من الضخامة بحيث لا يمكن استيعابها ـ ليس من الناحية العملية ـ لأن البلاد الإسلامية بحاجة إلى هذه الأموال وأكثر منها ، ولكن من ناحية الأوعية والأدوات الاستثمارية

البنوك الإسلامية
بين النظرية والتطبيق

والقيود والضمانات القانونية التي توجد في هذه البلاد ، فما هو تصوركم حول هذه القضية ؟

ـ البنوك الإسلامية في الحقيقة لا تستطيع أن تغامر بأموالها في بلد إسلامي معيَّن إذا كانت لا تستطيع بعد ذلك أن تسترجعها ، وقد تحول هذه الأموال إلى العملة المحلية ، وقد ترد عليها قيود إلى آخر هذه المشاكل التي نعرفها جميعاً ، ولذلك اتجهت البنوك الإسلامية إلى أن تقصر استثماراتها في البلاد الإسلامية في الحدود التي تستطيع هذه البلاد أن تستوعبها بالنظر إلى هذه المشاكل الواقعية ـ التي تؤلمنا جميعاً والتي نرجوا ان نتخلَّص منها ـ ولكن حتى تُحل هذه المشاكل ، هل نجمِّد هذه الأموال ونتركها دون استثمار ؟

طبعاً هذا لا يجوز ، فمن المقرر شرعاً انه يجوز التعامل مع غير المسلمين ، هذا امر لا خلاف فيه ـ إلَّا إذا كان هناك عداء ، يعني إذا كان من أتعامل معه عدواً ، بمعنى أنه من أهل الحرب ، محارب للإسلام والمسلمين .. أمَّا معظم دول العالم الآن التي بيننا وبينها معاهدات وتجمعنا وإيَّاها منظمات دولية ونتبادل معها السفراء والدارسين ، وغير ذلك من العلاقات التجارية والثقافية والسياسية ، فلا يمكن اعتبارها دار حرب وإنما هي دار عقد ، ولذلك فالتعامل معها إسلامياً جائز إذا كان وفقاً للصيغة الإسلامية ، وهذا هو القيد الوحيد ، وهناك قيد أهم وهو الأولويات ؛ أعطي المسلمين ، سواء كانوا يعيشون في هذه البلاد أو يعيشون في البلاد الإسلامية ، الأولوية ـ ولكن إذا كانت الطاقة الاستيعابية غير كافية ، فلا أستطيع أن أترك هذه الأموال راكدة دون استثمار وقد أباح الله لي أن أتعامل مع غير المسلمين وآخذ الضمانات اللازمة عليهم ..

وهنا نجد كذلك أننا قد اضطررنا إلى أن نخرج بجزء من الأموال التي تجمعها البنوك الإسلامية إلى الاستثمار في الأسواق العالمية ريثما تحل هذه المشكلة .

●● مشكلة اخرى ؛ هي أننا في الصيغة التي تتحدث عنها بعض الكتب الاقتصادية الإسلامية أن من فوائد نظام الاستثمار بالمضاربة تشجيع صغار الحرفيين ، في المشروعات الصغيرة التي يمكن تنميتها .. فما هو المدى الذي حققته البنوك الإسلامية بمباشرة هذه الصيغة ؟

ـ حينما باشرت بعض البنوك الإسلامية هذه الصيغة ، وجدت أن صغار الحرفيين ليس بإمكانهم أن يقدموا حسابات منضبطة ، وليس بإمكانهم أن يفوا بالتزاماتهم في مواعيدها ، وغير ذلك من المشاكل ، التي وجدت فيها البنوك الإسلامية نفسها مضطرة إلى أن تتجه إلى التعامل مع كبار الصناعيين ومع الشركات الكبيرة القادرة على الاحتفاظ بحسابات منظمة وعلى تقديم ضمانات .. إلى غير ذلك من الأمور التي تكفل للبنك الإسلامي المحافظة على أمواله ـ وهنا وقعت البنوك الإسلامية في مأزق آخر ، حيث تحوَّلت من فكرة تمويل صغار الحرفيين ـ وهو أحد الأهداف ـ إلى تمويل الأغنياء القادرين على تقديم الضمانات .

■■ وبعد .. فمن مجمل هذه الأمور هل نستطيع أن نقول : إن البنوك الإسلامية ـ في الصورة الحالية ـ قد استطاعت أن تنقذ المعاملات من الصيغة الربوية ، وأن تضعها في مسار آخر أو في صيغة اخرى مقبولة شرعاً ؟ أم اننا لا نزال ، لم نغيِّر إلَّا الصيغة فقط ؟ ولكن النشاط الاقتصادي نفسه لا يزال كما هو لم يتغير ، وسيتغير النشاط الاقتصادي نفسه بتغير الوظائف حينما تقوى هذه البنوك ، وتتحول الدول بكاملها إلى النظام الإسلامي مما يجعل بإمكان هذه البنوك أن تقوم بوظيفتها الاقتصادية ، وليس المصرفية فقط .. ■■

● هناك وظائف أساسية ـ في ظل التصور الاقتصادي الإسلامي ـ يلزم للبنوك أن تقوم بها ، ولا يقتصر الدور الذي تقوم به على إيجاد البدائل ـ المقبولة شرعاً ـ لما تقوم به البنوك الربوية .. ●

● البنوك الإسلامية استطاعت أن تنقذ المعاملات من الصيغة الربوية ، وأن تضعها في صيغة مقبولة شرعاً .. ولكن النشاط الاقتصادي نفسه لا يزال كما هو ، حتى تتحول الدول بكاملها إلى النظام الإسلامي .. ●

الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين المعاصرين

■■ لا يكاد المستشرقون يتركون كبيرة ولا صغيرة من شؤون المسلمين إلاّ ويحاولون دراستها وبحثها .. فأصابوا قليلاً وأخطأوا كثيراً .. وانتشرت كتبهم فأصبحت المرجع في فهمنا - كمسلمين - لمن يريد فهمنا من ابناء لغاتهم .. كما أصبحت - في مرحلة أخرى - مرجعاً لأبناء المسلمين إذا أرادوا أن يكتبوا عن مناطق إسلامية لا يعرفون عنها شيئاً .. بل ، هي اليوم ، مرجع أساسي لفئة من المثقفين المسلمين في الكتابة عن أرضهم وأهلهم ولغتهم وبيان قرآنهم وأحكام تشريعهم ■■

وقد تعرضت الدراسات الاستشراقية لفروع المعرفة كافة ذات الصلة بالأمة الإسلامية وشؤون حياتها .. إلاّ انها غفلت عن فرع المعرفة القانونية التي تعنى بالفقه الإسلامي ، وما امتدت إليه إلاّ في السنوات الأخيرة ..

وفي محاضرة نظمتها في الدوحة مؤخراً (رجب ١٤٠٥هـ) إدارة الشؤون الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر ، في إطار موسمها الإسلامي الثقافي السابع ، تحدث الدكتور « محمد سليم العوّا » ، حول دراسات المستشرقين المعاصرين للفقه الإسلامي ومقولاتهم عن القرآن والسنة كأصول للتشريع .

قال في مستهل المحاضرة :

[... إن المستشرقين ، منذ بدات دراسة الإسلام في الغرب ، لم يعترفوا بوجود ايّ كيان قانوني فيه . فقد انكروا على الإسلام استقلاله ببناء خاص للأحكام الشرعية التي يسمونها الأحكام القانونية .. وظنّوا ان نظام الإسلام القانوني نِتَفٌ ماخوذة من الرومان والنصرانية واليهودية جمعها المجمّعون في القرن الثاني ثم في القرن الثالث للهجرة ، ثم نشات هذه المذاهب التي يقلدها المسلمون ويتبعونها] .

واوضح انّ كل حكم قانوني إسلامي ورد في الدراسات الأولى للمستشرقين كان يُورد في الغالب [مورد النقد والطعن بغرض بيان انّ هذه الشريعة ليس لها استقلال شرعي تشريعي قانوني ...]

مرحلة ما بعد الاستقلال

إلاّ انّ المستشرقين وفي المرحلة التي اعقبت استقلال بعض الدول الإسلامية عن الاستعمار الغربي حيث نشط بعض المفكرين المسلمين باتجاه إعادة بناء التفكير العصري لأبناء الأمة على اسس إسلامية ، وجدوا انفسهم [مضطرين لان ينظروا إلى القانون الإسلامي نظرة جديدة تجعله جديراً بالاستقلال بالدراسة] .

غير ان هذا المنحى الجديد والذي يعبّر عنه بشكل رئيس المستشرقان الألمانيان « جولد زيهر » ، في كتابه « دراسات إسلامية » ، و « جوزيف شاخت » ، في كتابه « دراسات في اصول التشريع الإسلامي » وبحوثه اللاحقة ، [لم ينتج اثره بالقدر الكافي] ، حيث [كانت تقابله في بلادنا صحوة إسلامية قادتها جماعات مختلفة تنادي بالعودة للإسلام] وكان من بين هذه الجماعات فئة من المتعلمين والمتخصصين في فروع المعرفة المختلفة ..

[فاضطرَّ ذلك جيلاً تالياً لجيل « جولد زيهر » و « شاخت » ، إلى ان يدرس الفقه الإسلامي والقانون الإسلامي على نحو ما يدرسه هؤلاء المنادون في البلاد الإسلامية بإعادة بناء احكام الأمة القانونية على الشريعة الإسلامية] .

وبكلمات مجملة لخّص المحاضر احوال المسلمين عبر المراحل المختلفة التي مرت بها دراسات المستشرقين للفقه الإسلامي .. فقال :

[... ركنّا في غفلة وغفوة ، فكان غاية ما يصنعون ان يقدموا لنا من الفكر والكتابة والبحث ما يزيدنا غفلة وغفوة .. انتابتنا بعد ذلك مظاهر صحوة فصحَوْا قبلنا وشمّروا عن ساعد الجد وقدّموا لنا دراسات مستقصية لفقهنا وقانوننا ، بدات بالدراسات العامة التي صنعها « جولد زيهر » و « شاخت » ، وانتهت في ايامنا هذه - في العشرين سنة الأخيرة من هذا القرن - بدراسات عدد من الإنجليز بالذات وقليل من الامريكيين] .

كولسون : مقولات متناقضة

يعتبر « نويل كولسون » ، استاذ القانون الإسلامي في جامعة لندن ، المرجع الأول للمستشرقين المشتغلين بالدراسات القانونية والناطقين باللغة الإنجليزية .. ولذلك اتخذ الدكتور العوّا منهج « كولسون » انموذجاً للمنهج الذي بدا منه المستشرقون المعاصرون دراستهم للقانون الإسلامي ..

ينطلق منهج « كولسون » ومن ساروا على خطوه من التسليم بان [هناك شيئاً اسمه النظام القانوني الإسلامي .. وانه نظام حيّ متفاعل يجب على المسلمين ان يعيدوا بناء انظمتهم القانونية العصرية على اساسه .. وان هناك نظاماً مستمداً من احكام القرآن مبثوثاً في كتب الفقه الفرعية والأصولية ، يجب على المسلمين ان يعتنوا بدراسته .. وان هذه الشريعة شريعة حيّة متجددة وليست كالقانون الروماني نظاماً عريقاً افل نجمه وانتهى

الفقه الإسلامي في دراسات المستشرقين المعاصرين

عصره] ..

ولكن سرعان ما يناقض « كولسون » نفسه حين يدّعي [أنّ الإسلام نظام قانوني متكامل صنعه الفقهاء بعد القرن الثاني من الهجرة ... وان الإسلام نظام لا بد من إعادة بناء النظم القانونية في بلاد الشرق عليه لأن المسلمين في جمهورهم لن يقبلوا إلّا نظماً منسوبة إلى الإسلام ، لكن هذا البناء يجب ان يقوم على العقليات الحديثة المدربة تدريباً غربياً والقادرة على صياغة هذا الإسلام بطريقة لا ينفر منها المسلمون ولا تختلف عمّا انتهى إليه المتحضرون الغربيون] ..

مثالية الشريعة

ويركز « كولسون » في كتبه على القول بان [الشريعة الإسلامية شريعة مثالية] .. ولكنها مثالية ـ كما يفسرها الدكتور العوّا ـ [تقابل الواقعية التي تعني ملاءمة التشريع لأحوال الناس واستجابته لحاجاتهم اليومية المتجددة .. امّا المثالية فهي علو هذا التشريع عن مستوى حاجاتهم وعدم إمكان استنباط الحلول القادرة على مجابهة حاجاتهم من هذا التشريع المثالي] ..

وهذا المنهج ، الذي يصف الشريعة بانها مثالية ، منهج ـ كما يقول الدكتور العوّا ـ لا يقبله المسلمون .. [لأن المسلمين لا يحكمون انفسهم من عند انفسهم ابتداء وانتهاء وإنما يحكمون انفسهم اهتداء بما نزل الوحي به على محمد ﷺ وفي حدود ما نزل به هذا الوحي .. فنحن لسنا مستقلين في الحكم على انفسنا والتشريع لها وإنما ملتزمون بما نزل به الوحي ممّا ثبت في القرآن الكريم او جاء في السنة النبوية الصحيحة] ..

دور القرآن في التشريع

القرآن هو اصل الأصول في الإسلام ، يُرجع إليه في كل شان ويُحكم به على كل امر .. فماذا قال عنه المستشرقون ؟

سرد الدكتور العوّا في محاضرته نماذج عديدة لمقولات متناقضة اوردها « كولسون » في كتابه « في تاريخ التشريع الإسلامي » .. وعزا هذا التناقض إلى فهم « كولسون » للقرآن الكريم ..

[يقول « كولسون » عن القرآن الكريم : « إنّه جمع اصول الأحكام الإسلامية » ، و « جاء ببعض الأحكام التفصيلية التي يجب ان يتبعها كل مسلم » . و « جاء في مواقع متفرقة باحكام قانونية غير مبنية على العرف القبلي » .

و « كان يزيح من امامه العرف القبلي إزاحة تامة »] .

[وفي مواضع اخرى يقول « كولسون » : « إن القرآن الكريم ليس فيه ايّ منهج يستقصي اطراف ايّ علاقة قانونية ويبيّن حكمها » .

و « ينقص في المرتبة القانونية عن قانون الالواح الاثني عشر الروماني » ، و « خضع حيثما لم يستطع محمد ان يفعل ذلك ، للعرف القبلي » .. وإنه « رغم نزول القرآن فقد ظل العرف القبلي مائة وخمسين سنة يعتبر معياراً يُقاس به قبول الحكم الإسلامي او رفضه »] .

معانٍ غائبة

ويعتقد الدكتور العوّا ان هناك بعض المعاني غابت عن « كولسون » ، فلم يستطع ان يفهم معنى التشريع القرآني ومجاله وحدوده وطريقته .. من تلك المعاني :

اولاً : [طبيعة النصّ القرآني : للنص القرآني طبيعة تميّزه عن بقية النصوص التي يرجع إليها القانونيون والمشرعون والتي يصنعها البشر على وجه عام .. إنه كتاب هداية ... وليس كتاباً في القانون ... وبغير فهم هذه الطبيعة وإدراكها لا يستطيع احد ان يفهم النصّ القرآني من حيث هو نص متعلق بالأحكام الفقهية او التشريعية او القانونية] .

ثانياً : إن القرآن الكريم لا يمكن فهمه وحده ... فهو له شرح وبيان وتفسير هو سنة رسول الله ﷺ ، وبغيرها لا يستطيع احد ان يفهم القرآن فهماً صحيحاً دقيقاً متكاملاً] .

ثالثاً : [الطبيعة التكاملية للنظام الإسلامي .. إن النظام الإسلامي في مختلف شؤون الحياة لا يمكن ان يؤخذ منه جزء ويترك جزء آخر .. ولا يمكن ان ياخذ إنسان ببعض القرآن ويترك بعضه .. كما لا يمكن ان ياخذ القرآن ويترك السنّة ...] .

واشار المحاضر إلى ان غياب هذه المعاني عن « كولسون » وغيره من المستشرقين ادى بهم إلى القول [بان القرآن الكريم ، باعتباره كتاباً قانونياً ، يتخلف عن تقديم قانون يصلح للتطبيق ، إذ يقدم شق التكليف ولا يقدم شقّ الجزاء ... وان الأحكام القرآنية لا تصلح للتطبيق إلّا بتدخل بشري] .

وفي هذا القول ما يشير إلى غفلة المستشرقين عن [ان السنّة حددت جزاء في كثير من الحالات التي لم يرد فيها جزاء في القرآن ، كعقوبة شارب الخمر مثلاً] ..

نظام التعزير

وفي هذا الإطار تحدث المحاضر عن نظام التعزير وانه صورة من صور تكامل النظام الإسلامي القانوني ، [فما لم يامر فيه الرسول ﷺ بعقوبة فإنّه يدخل في باب التعزير .. وهو نظام يوفر للدولة الإسلامية بسلطاتها المختصة حق عقاب كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفّارة] .

ويؤكد الدكتور العوا في ردّه على افتراءات المستشرقين ان [كل حكم تكليفي في الإسلام له جزاء . فإما ان يكون الجزاء منصوصاً عليه مع الحكم في موضعه ، وإما ان يكون الحكم منصوصاً عليه في موضع والجزاء منصوصاً عليه في موضع آخر ـ كما في مسالة الخمر : الحكم في القرآن والجزاء من السنة النبوية ـ وإما ان يكون الحكم في القرآن او السنة والجزاء مقرراً بمقتضى القواعد الإسلامية التي من بينها نظام التعزير ونظام البطلان] ..

وتحدث المحاضر بشيء من التفصيل عن الفرق بين نظام التعزير الذي يوفر الجزاء على مخالفة التكليفات ذات الطبيعة الجنائية وبين نظام البطلان الذي يوفر الجزاء على مخالفة التكليفات المدنية .. ثم اكّد على ضرورة ان ينظر الباحث ـ مسلماً كان او غير مسلم ـ إلى القرآن الكريم [في إطار الإسلام كله ونظمه وقواعده الثابتة له من السنّة النبوية الشريفة ومن فهم المسلمين على مدار العصور] .

السنة النبوية في دراسات المستشرقين

وإذا كان ما قاله المستشرقون في القرآن الكريم يعد شنيعاً فإن ما قالوه في السنة النبوية [اشنع] .. وقد بيّن ذلك الدكتور العوا من خلال المراحل التاريخية المختلفة للدراسات الاستشراقية .

[فقد مضى الاستشراق ، منذ نشاته إلى ان كتب « كولسون » كتابه « في تاريخ التشريع الإسلامي » ، على إنكار السنة إنكاراً تاماً .. وفي احسن الاحوال ، كان المستشرقون يقولون : لا يثبت قول منسوب إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ بسند متصل بعد مائة سنة .

الرأي المقبول

ثم جاء الجيل الحالي من المستشرقين ورأى ان هذه الطريقة في البحث لا تصل بهم إلى مقصودهم .. فانتقل خطوة إلى الامام بدات

الدكتور : محمد سليم العوّا

● تخرج في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية ..
● عمل بالتدريس في جامعة الإسكندرية وكثير من الجامعات العربية كما عمل بالمحاماة ايضاً ..
● شغل منصب مستشار قانوني بمكتب التربية العربي لدول الخليج العربية بالرياض ..
● من كتبه : (١) « في أصول النظام الجنائي الإسلامي » .
(٢) « النظام السياسي للدولة الإسلامية » .
(٣) « تفسير النصوص الجنائية » .
(٤) « مبدأ الشرعية في الفقه الجنائي المقارن » .

بقوله : « إنَّ محمداً ﷺ وقد عاش ثلاثاً وعشرين سنة في بعثته ، لا بد ان يكون واجه بعض المشكلات التي لها صبغة قانونية اقتضته ان يبدي فيها رأياً او يقول فيها قولاً ، وهذه الآراء والأقوال المحمدية هي اصل ما يعرف بالسنَّة . ولكن ، المدارس الفقهية لن تستطيع أن تحدد ما يعتبر من اقوال محمد وما لا يعتبر من اقوال محمد لأنَّ السند لم يكن معروفاً عندهم فكانت كلمة سنَّة تعني الراي المقبول لدى جمهور علماء المدرسة » !] .

ويرى « كولسون » ، أنَّ المدرسة الفقهية كما بلورت فكرة السنَّة بمعنى الراي المقبول لدى جمهور علماء المدرسة ووجدت لها قبولاً في انفس التلاميذ ، ارتقت بها درجة فنسبتها إلى صحابي من الصحابة المشهود لهم بالعلم والورع .. ثم جاء جيل من بعد ، ووجد أنَّ النسبة إلى الصحابي لا يمكن ان تعني شيئاً إذا لم تكن مرفوعة إلى النبي ﷺ ، فنسبوها إليه ..

نزاع بين المستشرقين

وما ذهب إليه « كولسون » حول السنَّة ، على الرغم مما فيه ، اقام عليه الدنيا ولم يقعدها من قِبل فئة اخرى من المستشرقين تعتقد ان كلامه هذا [يفتح باباً للاعتراف بالسنة] إذ لا يبقى بعد الذي ذهب إليه « كولسون » ، إلَّا النظر في السند فإذا كان يمكن ان يكون صحيحاً فليس امام المستشرقين إلَّا التسليم بان هناك سنَّة ثابتة عن محمد ﷺ .. [وهذا النزاع قائم إلى اليوم ويشغل المستشرقين المحدثين ويشغل الطلاب الصغار .. ولا يزال يوجد من يرى ان هذا الراي خطوة بالغة الخطر على فكرهم الاستشراقي] .

الإمام الشافعي وعلم الأصول

يصر المستشرقون على ان الإمام الشافعي [هو واضع علم الأصول الذي تُبنى عليه الدراسات الفقهية الإسلامية ... وهو الذي جعل لهذه النقول المنسوبة درجة فدرجة من المدرسة إلى الصحابي إلى محمد ﷺ حجية تشريعية لا يستطيع مسلم أن يخالفها] .. ويعلقون اهمية بالغة [على نسبة الأمر إلى الشافعي لأنه يترتب عليه صحة المذهب كله ويترتب عليه بطلان وجود السنة ما دام لا يوجد احد قبل الإمام الشافعي لم يعرف السنَّة] ..

وفي نقاط ست لخَّص الدكتور العوّا موقف المستشرقين من الإمام الشافعي ومن السنَّة :

● الأولى : ان الشافعي هو الذي قدَّم للفقه الإسلامي فكرة الاعتراف بالسنَّة مصدراً مكملاً للقرآن ..

● الثانية : أنَّ السنَّة في منهج الشافعي تمثل المصدر الثاني للفقه ..

● الثالثة : أنَّ السنَّة في المدارس الاولى كانت تنصرف إلى المرويات الخاصة بمدرسة معينة .

● الرابعة : أنَّ فكرة الشافعي ليست جديدة من كل جوانبها .

● الخامسة : أنَّ المدارس الاولى كان لديها اتجاه متزايد إلى ادعاء وجود أصل لمروياتها في مسلك النبي عليه الصلاة والسلام .

● السادسة : أنَّ الشافعي هو صاحب الفكرة القائلة : إنَّ السنَّة لا تثبت إلَّا بحديث مروي عن الرسول ﷺ .

تساؤلات

وتساءل الدكتور العـوّا :

[... إذا كنَّا لم نستطع ان نعرف ان السنَّة النبوية مصدر من مصادر تشريعنا بل هي المصدر الثاني له إلَّا في زمن الشافعي ، فاين كان فقهنا في المائة والخمسين سنة التي سبقت وفاة الإمام الشافعي ؟.. ماذا كان يفعل الفقهاء وماذا كانوا يصنَعون عندما يتحاجّون ؟ .. وإذا كان الشافعي هو مبتكر فكرة اعتبار السنَّة مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي فكيف كان يناظر إخوانه من العلماء الذين لقيهم في مختلف الأمصار الإسلامية ويحاججهم ويثبت عليهم في المناظرة ويقوى حتى سُمي ناصر السنَّة ؟ ... وفيم كانت رحلة طلَّاب السنَّة إلى الشافعي ياخذون عنه مروياته ؟] .

ويضـيـف :

[... إن المناظرات بين الشافعي ومحمد بن الحسن ، والشافعي وغيره من الفقهاء ، تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك انَّ الذي كان يحتكم إليه هؤلاء العلماء هو القرآن اولاً والسنة بعد القرآن ثانياً] .

[... إن القول بأنَّ الإمام الشافعي هو الذي اهدى إلى الفقه الإسلامي فكرة السنَّة النبوية كاصل من اصول التشريع ، يهدم السنَّة ذاتها لأنَّه يجعلها ابتكاراً بشرياً من صنع احد الائمة ، مهما قلنا فيه فليس إلَّا بشراً من البشر لا ياتيه وحي وليس معصوماً من الخطا ويمكن ان يدخل كلامه الخطا والنسيان والنقص والزيادة] .

[الشافعي عندنا ، لم يبتكر علم اصول الفقه ولم يخترع قواعد لم يسبقه إليها السابقون ، وإنما دوَّن الأصول التي كان العلماء يتحاكمون في بحوثهم إليها ... وحين ننسب إليه وضع علم الأصول ننسب إليه التدوين المنظم فيه ولا ننسب إليه اختراعه من العلوم او الإتيان به من الوهم] .

نظـرة جديدة

وفي ختام محاضرته قال الدكتور محمد سليم العوّا :

[إن المنهج كله يقتضي منَّا نظرة جديدة .. يقتضي منَّا ان نبدا بدراسة هؤلاء المستشرقين وفهم ما يرمون إليه ومحاولة الإحاطة بخفايا هذا المنهج . لاننا إذا اكتفينا بانتقاد « زيد » او « عبيد » منهم ، لا نقدم إلى الإسلام جديداً ولا نحول بين شبابنا وبين التاثر بهم .. إنما الذي يؤدي الغرض المطلوب للإسلام والمسلمين من هذه المسالة هو ان نهدم هذه المناهج إذا كانت مستحقة للهدم . ولا مانع عندي من ان نبنيها ونشيِّدها ونعليها إذا كانت مستحقة للبناء والتشييد والإعلاء ، لكن هذا يقتضي اولاً ان ننظر فيها ..

وقد نظرتُ في منهج « كولسون » ... فاقتنعت تمام الاقتناع ان منهجه في دراسة القرآن الكريم والسنَّة النبوية والفقه الإسلامي بوجه خاص لا يمثِّل ايّ تغيُّر يزيد عن خطوة واحدة تتمثل في الاعتراف بوجود اصل في الإسلام للقانون الإسلامي ، وخطوة واحدة تتمثل في الاعتراف بوجود اصل للسنَّة في كلام محمد ﷺ وفعله .. امَّا فوق ذلك فلم ياتنا بجديد ..] .

تعقيب على مجتمعنا

■■ نشر الأستاذ محمد المجذوب مقالاً قيماً في العدد [٥٢] من مجلة الأمة الغراء تحت عنوان « مجتمعنا الإسلامي كيف بدأ ؟ وكيف تحوّل ؟ وما السبيل إلى تصحيح مسيرته ؟ » ، واورد الكاتب في صدر مقالته حديثاً يرويه جابر بن عبد الله رضي الله عنه . وهو يتعلق بهجرة المسلم ، ثم علق الكاتب بقوله : (اول ما يواجهنا مما نحن بصدده ذلك النذير المخيف في إعلانه ﷺ براءته من كل مسلم يقيم بين المشركين وهو قادر على مغادرتهم ...

وروى النسائي من حديث بهز بن حكيم عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال له : « لا يقبل الله من مشرك بعد ما يسلم عملاً أو يفارق المشركين إلى المسلمين » ، وذكر ابو داود من حديث سمرة عنه ﷺ : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » .. وهكذا تتضافر الآثار من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بما لا يدع مجالاً للتردد على تحريم إقامة المسلم بين غير المسلمين ، إلَّا من سدَّت بوجوههم المنافذ فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ...) ■■

إن عرض موضوع «الهجرة»[1] بهذه الصورة تجعل القارىء يخرج بنتائج غير سليمة ، وقد وقع بعض الشباب في هذا حين قالوا : من أسلم ولم يهاجر فليس بمسلم .

قضية الهجرة كما وردت في كتاب الله

وإذا رجعنا إلى كتاب الله فسنجده يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال : ٧٢) .

فقد ذكرت الآية ثلاث مجموعات من المؤمنين :

(أ) المهاجرين الذين آمنوا وجاهدوا .

(ب) الأنصار الذين آووا ونصروا .

(ج) الذين آمنوا ولم يهاجروا .

والموالاة والنصرة واجبة بين الفريقين الأولين ، والنصرة دون الموالاة من حق الفريق الثالث ـ باستثناء حالة واحدة ـ إذا طلبوا النصرة على قوم بينهم وبين المسلمين ميثاق ، فلا يجوز خرق الميثاق ونصرتهم .

اما فيما عدا ذلك فلهم النصرة ، وأما الموالاة فيستحقونها بعد الهجرة .

والآية صرَّحت بإيمان من لم يهاجر مرتين ﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا ﴾ ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ .

يقول الطبري[2] : (إن الآية في الميراث ، فكان هناك توارث بين المهاجرين والانصار حتى نسخ ، اما من بقي من المسلمين مع الكفار ولم يهاجر فلا يرث ولا يورث من المسلمين) ، ونقل جملة اخبار في ذلك منها[3] : (عن قتادة قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة ، وآخى النبي ﷺ بينهم فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة ، وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ولا يرث اخاه ، فنسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ (الأحزاب : ٦) .

وزاد ابن كثير الأمر توضيحاً فقال[4] : (قال رسول الله ﷺ : « المهاجرون والانصار بعضهم اولياء بعض ، والطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف بعضهم اولياء بعض إلى يوم القيامة ») [اخرجه احمد ورواه الحافظ ابو يعلى عن ابن مسعود مرفوعاً] .

وعن حذيفة قال : خيَّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة . وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ . هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين ، وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا ، بل اقاموا في بواديهم ، فهؤلاء ليس لهم من الغنائم نصيب ، ولا في خُمسها إلَّا ما حضروا فيه القتال ...

كان رسول الله ﷺ إذا بعث اميراً على سرية او جيش اوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً وقال : « اغز باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، إذا لقيت عدوّك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال او خلال ، فايتهن اجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم ، ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن ابوا واختاروا دارهم ، فأَعْلِمْهُمْ انهم يكونون كاعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة نصيب ، إلَّا ان يجاهدوا مع المسلمين ... وقوله تعالى : ﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ... ﴾ يقول تعالى : وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال النبي على عدو لهم فانصروهم ، فإنه واجب عليكم نصرهم ، لانهم إخوانكم في الدين ، إلَّا ان يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق ...) اهـ .

الهجرة في السُنَّة

من يقرا كتب السنة فسيجد احاديث يفهم منها وجوب الهجرة ، بينما يجد احاديث اخرى تسمح بعدم الهجرة ، ومهمة الباحث هو النظر في المجموعتين ، لا ان ينفرد بواحدة دون الأخرى ، فيلتبس على القارىء الموضوع .

وسوف أستعرض هذه الأحاديث ، من ذلك :

١ ـ ما اخرجه النسائي عن معاوية بن حيدة القشيري[5] (قلت يا نبي الله ما اتيتك حتى حلفت اكثر من عددهن ـ يشير إلى اصابع يديه ـ ان لا آتيك ، ولا آتي دينك ، وإني كنت امرءاً لا اعقل شيئاً إلَّا ما علَّمني الله ورسوله ، إني اسالك بوجه الله عز وجل : بِمَ بعثك الله إلينا ؟ قال : « بالإسلام » . قلت : وما آيات الإسلام ؟ قال : « ان تقول : اسلمت وجهي لله وتخليت ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، كل مسلم على مسلم محرم ، اخوان نصيران ، لا يقبل من مشرك بعدما اسلم عمل او يفارق المشركين إلى

الإسلامي

المسلمين ») .

فالنص صريح في وجوب الهجرة .

٢ ـ وعن ابي هريرة[٦] : (قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله ﷺ فقال احدهم : إنه قدم علينا قُرَّاؤنا فاخبرونا انه لا إسلام لمن لا هجرة له ، ولنا اموال ومواش ، هي معاشنا ، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا . فقال رسول الله ﷺ : « اتقوا الله حيث كنتم فلن يَلِتَكُم من اعمالكم شيئاً ، ولو كنتم بضمد وجازان ») .

والحديث صريح في ان الهجرة ليست من شروط قبول العمل ، وقد صرح (بنو عبس) باستعدادهم لبيع مواشيهم والهجرة ، فلو كانت واجبة لامرهم بها رسول الله ﷺ ولم يسمح لهم بالبقاء حيث هم .

٣ ـ إذا اضفنا لذلك قوله ﷺ[٧] : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونيّة ، وإذا استُنْفِرْتُم فانفروا » [رواه الشيخان] علمنا ان الهجرة انقضت .

٤ ـ اخرج البخاري ومسلم عن مجاشع قال : اتيت النبي ﷺ انا واخي فقلت : بايعنا على الهجرة فقال : « انقضت الهجرة إلى اهلها » ، فقلت عَلامَ تبايعنا ؟ قال : « على الإسلام والجهاد » ...

إذن فالهجرة قد انقضت وذهبت .

قضية الهجرة عند الشيخ دراز

وقد درس الشيخ دراز الموضوع جيداً ، والخصه بما يلي[٨] :

(ا) يرى الشيخ دراز ان حديث (معاوية) صريح في ان الهجرة فريضة على المسلمين ، ومن اقام في دار الكفر فهو آثم إثماً قد يحبط عمله .

(ب) نقل عن الخَطّابي ان الهجرة كانت واجبة في اول الإسلام على المسلمين نظراً لقلة عددهم ، فلما فتحت مكة ، وكثر العدد سقط فرض الهجرة للمدينة .

(ج) بقي بعد ذلك فرض الجهاد والنيَّة ، ويشهد لهذا « لا هجرة بعد الفتح » .

(د) بعد سقوط فريضة الهجرة ، صارت مجرد امر مندوب إليه ، ويتخرج على هذا ما رواه النسائي وابو داود عن معاوية مرفوعاً « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » . فالهجرة الواجبة انقطعت وبقيت المندوبة .

(هـ) بعض العلماء يرى ان الهجرة للمدينة انقطعت ، اما الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام فباقية .

وقد عقَّب الشيخ دراز على ما تقدّم بقوله[٩] : (وهذا هو الصواب ، وكلام الخطابي لا ينافيه) .

(و) ينقل « دراز » عن الحافظ في الفتح ان المقيم في دار الكفر له ثلاثة احوال :

١ ـ شخص قادر على الهجرة ، ولا يمكنه إظهار دينه ولا اداء واجباته فالهجرة في حقه واجبة ، كالهجرة إلى المدينة قبل الفتح .

٢ ـ شخص قادر على الهجرة ومتمكن من إظهار دينه واداء واجباته فالهجرة في حقه مستحبة بهدف تكثير المسلمين ومعونتهم .

٣ ـ إنسان عاجز عن الهجرة ، كالمريض والأسير ، تجوز له الإقامة ، فإن هاجر فله الاجر والمثوبة .

(ز) حديث « النفر من بني عبس » يشهد للفريق الثاني .

(ح) يقول « دراز » إن ظاهر كلام الزمخشري وابن تيمية حرمة الإقامة في دار الكفر على القادر مطلقاً .

استدراك لابن تيمية في قضية الهجرة

إلّا ان الذي وجدته ان شيخ الإسلام يقول : (... وكذلك الكفار من بلغه دعوة النبي ﷺ في دار الكفر ، وعلم انه رسول الله فآمن به ، وآمن بما انزل عليه ، واتقى الله ما استطاع ـ كما فعل النجاشي وغيره ـ ولم تمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ، ولا التزام جميع شرائعه ، لكونه ممنوعاً من الهجرة ، وممنوعاً من إظهار دينه ، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام ، فهذا مؤمن من اهل الجنة ...) .

الحاجة إلى الهجرة والقدرة عليها ودراسة الظروف

• مرة اخرى إن عدم الهجرة من دار الكفر تحتاج لدراسة دقيقة ، وتقليب لوجوه الراي ، خصوصاً إذا اخذنا بنظر الاعتبار مقدار الحرية التي يتمتع بها الإنسان .

ففي بعض الدول تعيش الأقليات المسلمة في جو من الحرية يغبطها عليه المسلمون في ديارهم ، فهم يؤدون عبادتهم بكل حرية ، بل يدعون لله كما يحبون ، وهناك اقليات تعيش صنوفاً من الكبت والاضطهاد لا مثيل له ، ولا يسمح لها بالهجرة مطلقاً ، فهي محاصرة ، وإذا عزمت على الهجرة فلن تجد من يقبلها او يفسح لها مجالاً للعيش والكسب ، وبالتالي فإن كل حالة ينبغي ان تدرس ويلاحظ ما يحيط بها من ظروف ، ولا يجوز التمسك بنص واحد وإدارة الحكم عليه ، خصوصاً إذا كان في المسالة اكثر من نص واحد .. والله الموفق .

---

(١) لقد بحثت المسالة جيداً في كتابي (التكفير : جذوره ، أسبابه ، مبرراته) .
(٢) جامع البيان : ١٤ / ٧٧ .
(٣) جامع البيان : ٨٢/١٤ .
(٤) مختصر ابن كثير : ١٢٠/٢ .
(٥) أخرجه النسائي في كتاب الزكاة ، باب من سأل بوجه الله (المختار من كنوز السنة لدراز : ٣١١) .
(٦) طبقات ابن سعد : ٢٩٥/١ .
(٧) المختار من كنوز السنة : ٣١٦ .
(٨) المرجع السابق : ٣١٧ .
(٩) المرجع السابق : ٣١٧ .

بقلم : الدكتور غازي محمد الحاجم

أسباب الاستعمال غير الطبي للأدوية

■■ لا توجد دراسة علمية أو رسمية موثقة حول حجم مشكلة الاستعمال غير الطبي للأدوية في الدول النامية لتحليلها وتقييمها، ومن ثم علاجها، ولذلك أصبح من الصعوبة التحدث أو الكتابة حول هذه المشكلة في العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة؛ إن قلة المعلومات حول هذا الموضوع تعزى إلى أسباب عديدة، منها: تقصير الدول في متابعة هذا الموضوع بعدم سنّ القوانين والأنظمة لمحاربة الأدوية المحرمة دولياً، وكذلك لتحديد بيع المتداول منها طبياً حيث لا يباع من قبل الصيدليات إلّا بشروط محددة، ويضاف إلى ذلك تقصير الإدارات والمؤسسات الصحية في هذا الباب لعدم قيامها برفع المستوى والثقافة الصحية للمواطنين فيما يخص الأضرار الخطيرة والناتجة عن استعمال هذه الأدوية بإقامة الندوات والمحاضرات، إضافة إلى التحدث والكتابة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، كما أنها لم تفتح المراكز الصحية المختصة بالمعتمدين على هذه الأدوية لمحاولة علاجهم، ومتابعة أحوالهم، وهذه المراكز سوف يكون لها دور هام في دراسة حجم مشكلة «الاعتماد» على هذه الأدوية، ومن ثم معرفة أسبابها الحقيقية لدراستها والسيطرة عليها، ودراسة نتائج هذه المشكلة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والصحية، لأن مشكلة «الاعتماد» هذه تعتبر من أهم المشاكل التي تواجه المجتمعات والحكومات على حد سواء في عصرنا الحديث، سواء أكانت هذه المجتمعات نامية أو متقدمة، ولكنها بلا شك أشد خطورة في المجتمع العربي نظراً لاتساع حجمها ونموها المضطرد، وقد بدأت تغزو المجتمعات النامية، والأجدر بهذه الأخيرة أن تستعد وتتهيأ لها قبل استفحالها، وإيقافها عند حدها، ومن ثم معالجتها لمحاولة القضاء عليها. ■■

إن الاستعمال غير الطبي للأدوية هو استعمال بعض الأدوية التي لها تأثير على الجهاز العصبي المركزي، خاصة التي تباع للأغراض غير الطبية، ومن هذه الأدوية: المخدرات، كالمسكنات المخدرة، والمنومات، والمهدئات، والخمر، وهذه هي أخطر الأدوية على الجسم البشري، ولذلك فإن قسماً منها محرم دولياً، كالأفيون، والهيروبين؛ وإضافة إلى المخدرات، توجد المنبهات، كالأمفيتامين والكوكائين؛ كما أن النيكوتين (التدخين) أحد هذه الأدوية، وأحد المشاكل الصحية التي تواجه المجتمعات المختلفة؛ والمجموعة الأخيرة من هذه الأدوية تسمى: «المهلوسات» كالحشيش، والذي يُحارب دولياً، وكذلك أدوية أخرى، مثل: (إل . سي . دي) والمسكلين، وغيرهما من الأدوية التي تسبب فقدان العقل والهلوسة.

إن أسباب انتشارها في مختلف الدول العربية والإسلامية متعددة ومختلفة منها:

١ – ضعف التربية الإسلامية: إن المسلم يميز بين الحلال والحرام، وقد أحلَّ الله الحلال لفائدته للفرد والمجتمع، وحرم الحرام لضرره وخطورته على الفرد والمجتمع كذلك، إن التمييز بين الحلال والحرام، ثم تطبيقه، له علاقة مباشرة بالتربية الإسلامية أو الوازع الديني عند المسلم، فكلما كان هذا الوازع قوياً فإن خشية المسلم من الله تزداد، ولذلك تراه حريصاً ودقيقاً على اتباع الحلال والامتناع عن المحرمات.

ولما كانت هذه الأدوية ضارة وخطيرة عندما تستعمل للأغراض غير الطبية، ومن ثم تنتهي بـ «الاعتماد الجسماني» الذي هو من أخطر الأمراض وأصعبها علاجاً في الحقل الطبي، فإن نتائج شيوعها تؤدي إلى أهم المشاكل المستعصية اجتماعياً، حيث قد تؤدي إلى تفكك العائلة والطلاق والسرقة والقتل وغيرها من المشاكل الاجتماعية الخطيرة، يضاف إلى ذلك أن «الاعتماد» على الأدوية مشكلة اقتصادية مهمة حيث إن الشخص المعتمَد، والذي يصل به «الاعتماد» إلى درجة «الاعتماد الجسماني» يكون عاطلاً وعالة على المجتمع، فبدلاً من أن يكون قوة إنتاجية بناءة يصبح ليس فقط قوة استهلاكية بل أداة تخريبية ومدمرة للمجتمع، إضافة إلى ما يصرف من أموال لعلاجه، والسيطرة على مشاكله المتعددة، والتي قد تنتهي به إلى الموت المحقق.

إن كثيراً من المخدرات كانت موجودة منذ قرون عديدة في المجتمع الإسلامي، بل إن قسماً منها كان مصدره العالم الإسلامي حيث تزرع النباتات التي يستخرج منها العديد من هذه الأدوية في عدد من الدول الإسلامية، كالمغرب وتركيا وافغانستان والباكستان وغيرها من الدول الإسلامية، ولكنها ما كانت مستعملة ولا شائعة بين الناس لأن التربية الإسلامية كانت راسخة، والوازع الديني كان قوياً في نفوس الناس حيث الحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ لدى المسلمين، لذلك كانت (حرمة) الخمر وغيرها من الأدوية المؤثرة على الجهاز العصبي ملتزمة بين المسلمين في الأمصار الإسلامية المختلفة؛ أما الآن فحال المسلمين عكس ما كانوا عليه فترى المسلم مسلماً ببطاقته الشخصية لا بواقعه، حيث لا يعرف المسلم شيئاً عن إسلامه إلّا القليل، لذلك أصبح الوازع

■■ اعتاد بعض الناس شراء بعض الأدوية من الصيدلية مباشرة ودون استشارة طبيب لاستعمالها لأغراض طبية ، مثل : الإسهال ، والتهاب العيون ، والصداع .

إن هذه الطريقة من المعالجة في كثير من الحالات ليست صائبة ، لأنها طريقة عشوائية وليست علمية ، كما أنها ليست طبية لأنها حدثت دون استشارة الطبيب المختص ؛ إن موضوعنا لا ينطبق على هذا النوع من الاستعمال للأدوية ، ولكنه ينحصر في استعمالات الأدوية للأغراض غير الطبية ، لذلك يمكن تعريف الاستعمال غير الطبي للأدوية بإيجاز : بأنه الاستعمال المستمر أو المتقطع للأدوية للأغراض غير الطبية من قبل الشخص نفسه وبرغبته الخاصة لشعوره بتحقيق راحته ، أو لرغبته بمعرفة تأثير هذه الأدوية والاطلاع عليها بنفسه . ■■

الديني نحو المحرمات ضعيفاً مما يجعل « المسلم » غير قادر على الثبات أو الوقوف امام مغرياتها ، لذلك فإن هذه المحرمات ، كالمخدرات وغيرها من الأدوية المخلة بالعقل اخذت تغزو المجتمعات الإسلامية في بقاع العالم الإسلامي المختلفة ، والادلة على ذلك كثيرة ، وأهمها : زيادة عدد المرضى المعتَمَدين جسمانياً على هذه الأدوية ، وزيادة المساجين زيادة ملحوظة نتيجة ارتباطهم بهذه الأدوية التي دفعتهم لارتكاب جرائم مختلفة أوصلتهم في النهاية إلى السجن .

٢ ــ انعدام التربية الصحية : إن هذه مسؤولية الهيئات والمؤسسات الصحية في مختلف دول العالم الإسلامي المختلفة ، إن معلومات المواطن العادي والمثقف على حد سواء معدومة تجاه هذه الأدوية ، إن استعمالات ومخاطر هذه الأدوية لا تعرفها إلّا فئة قليلة ومحدودة في المجتمع ، وهم العاملون في الحقل الطبي ، كالأطباء والصيادلة وغيرهم ممن يعمل معهم ، وهؤلاء يشكلون نسبة قليلة في أي مجتمع من المجتمعات سواء أكان نامياً أم متقدماً ، ولذلك فإن السواد الأعظم من المجتمع محجوب عن ماهية هذه الأدوية وأهميتها من حيث الاستعمالات الطبية ، أو مخاطرها إذا ما استعملت للأغراض غير الطبية ، ولذلك فإن مسؤولية العاملين في الحقل الطبي والمسؤولين في وزارة الصحة كبيرة تجاه مجتمعاتهم لشرح تأثير هذه الأدوية على الفرد والمجتمع ، ولتحذير الناس من إساءة استعمالها التي سوف تؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى الوقوع في براثن اشد الأمراض العقلية خطورة ، وهو « الاعتماد الجسماني » على هذه الأدوية نتيجة استعمالها المزمن ، والذي سوف يؤدي في النهاية إلى خسارة جسيمة للمجتمع من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، إضافة إلى أنه مشكلة طبية صعبة العلاج .

٣ ــ الإعلام : إن الإعلام سلاح ذو حدين فيمكن أن نعاقب به الظالم او المسيء إذا أحسن استعماله ، ويمكن أن نظلم به المظلوم او البريء إذا أسيء استعماله ، فيمكن أن يخدم أي جهة أو أي هدف جيد أو سيء ، لذلك يجب التركيز على الإعلام لاستخدامه في توجيه الناس لما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، حيث إن أي انحراف في التوجيه سيؤدي إلى كارثة محتمة تحيق بالمجتمع سواء أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد .

ونظراً للارتباط المباشر أو العلاقة المباشرة بين المجتمع وكلٍ من الإعلام والمخدرات ، فإنه يجب توجيه كل ما يكتب في وسائل الإعلام من جرائد ومجلات ، وكل ما يذاع في وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة لجلب أنظار الناس ومسامعهم إلى خطورة الأدوية المختلفة التي تستعمل للأغراض غير الطبية ، ومنع كل ما يكتب ويذاع في وسائل الإعلام المختلفة حول تشجيع الرذيلة والمخدرات وتزيين تعاطيها للناس ... وفي المجتمع الغربي الذي أصبح فيه شرب الخمور من الأمور الاعتيادية والاحتياجات اليومية لكل فرد وكل عائلة ، امست هذه الظاهرة من الأمراض الخطيرة التي تهدد ذلك المجتمع ، وقد قام المختصون في الحقل الطبي بدراسة أسباب انتشارها ، والذي زاد (عشر مرات) سنة ١٩٨٠م عما كان عليه سنة ١٩٦٥م فوجدوا ان الدعاية للخمور في وسائل الإعلام السبب الرئيس لغزو هذا الداء الوبيل مجتمعاتهم ، لذلك دعوا حكوماتهم إلى سن قوانين لمنع الدعاية للخمور وغيرها من الأدوية التي تستعمل للأغراض غير الطبية .

٤ ــ المشاكل الاجتماعية : توجد علاقة عكسية بين التربية الإسلامية والمشاكل الاجتماعية ، فكلما رسخت التربية الإسلامية وعرف الشخص المسلم مسؤولياته تجاه نفسه ومجتمعه وربه ، ذكراً او أنثى ، كبيراً او صغيراً ، حاكماً او محكوماً ، كلما قلت مشاكل المجتمع المسلم ، لأن الإسلام نظام متكامل للحياة ، حدد واجبات الفرد في الأسرة والمجتمع ، وحدد مسؤوليات الكبير والصغير ، والرجل والمراة ... إلخ ، لذلك اصبح كل واحد في المجتمع المسلم يعرف واجباته ومسؤولياته تجاه نفسه وتجاه الآخرين ، لذلك تقل المشاكل الاجتماعية إلى ادنى حد ... ولكن ــ كما قلنا سابقاً ــ إن التربية الإسلامية قد ضعفت ، وإن الوازع الديني قد اضمحل ، مما جعل مجتمعاتنا قلقة متفككة ، فاثرت على الأفراد أنفسهم الذين اصبح هم كل واحد منهم إشباع رغباته الخاصة ، وحصوله على المال الذي يضمن له ذلك من اي طريق وبأي ثمن وبكل وسيلة ، لذلك كثر الغش والخداع ، والغيبة والنميمة ، وتفككت علاقة الناس مع بعضهم داخل العائلة وخارجها ، مما ادى إلى ازدياد نسبة الطلاق ، والتشرد وغير ذلك من مشاكل تتعلق بهذه الأمراض والانحرافات ، فلا إشراف على العائلة ، ولا علاقة تربط افرادها بعضهم إلى بعض مما ادى إلى ظهور المنحرفين والفاشلين والمجرمين ، واخيراً نتج عن هذا كله ظهور كثير من الأمراض النفسية بين الناس ، كالقلق والكآبة ، مما ادى إلى اللجوء لاستعمال الأدوية المخدرة على نطاق واسع من قبل هؤلاء الناس ،

أسباب الاستعمال غير الطِّبِّي للأدوية

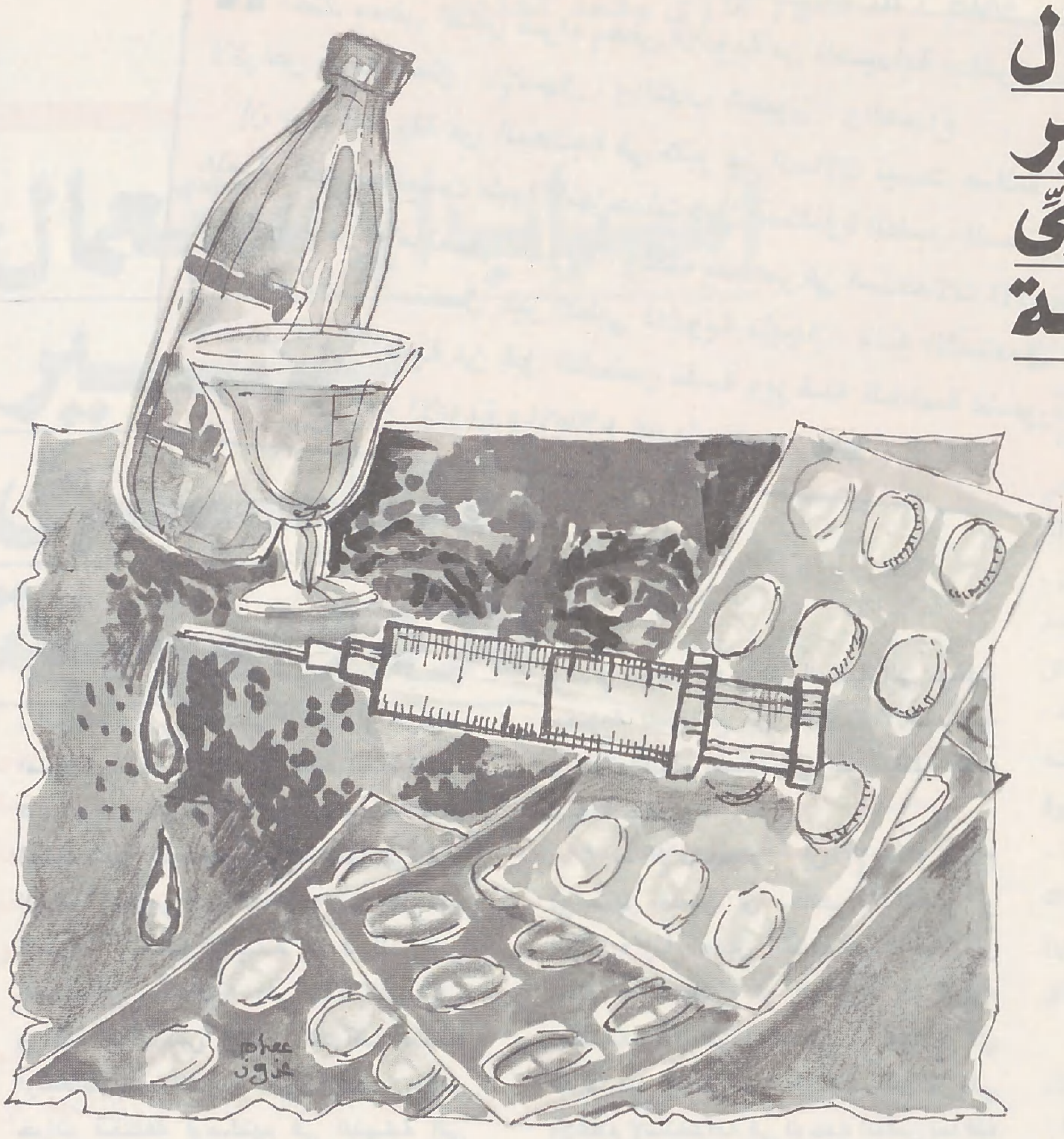

للهروب من المحيط الذي يعيشون فيه ، ورغبة منهم في العيش بمحيط آخر يتوهمون انه احسن حالاً من محيطهم الواقعي ، لكن توهمهم هذا خيب ظنهم حيث هم مقبلون على ما هو أعظم شراً من واقعهم ، وهو الاعتماد على هذه الأدوية الذي قد يؤدي في النهاية إلى أن يحفر الشخص قبره بيده وهو يعلم أو لا يعلم !!

والجدير بالذكر هنا أن وزير الصحة في إحدى الدول الإسلامية أصدر امراً بتوفير ادوية الأمراض النفسية لأن المواطنين يشكون من قلتها وعدم توفرها في الأسواق ، هذا ما نشرته إحدى الجرائد اليومية المحلية في ذلك البلد المسلم ؛ فهذا الخبر إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أن الطلب قد ازداد عليها نتيجة زيادة مشاكل الناس ، ومن ثم نتيجة زيادة الأمراض النفسية ، والمستقبل القريب سوف يكشف عن أمر اخطر واشد ضرراً وهو إساءة استعمالها من قبل هؤلاء الناس ، ومن ثم الاعتماد عليها في حياتهم الخاصة ، وكثير منهم ـ علموا أم لم يعلموا ـ سوف يصلون إلى المرحلة الخطرة وهي « الاعتماد الجسماني » .

٦ ـ الابتعاث والسفر للخارج : كثير من دول العالم الإسلامي عامة والعربي خاصة تبتعث للخارج بعض شبابها للدراسة وطلب العلم في تخصصات مختلفة حسب حاجة بلادهم ؛ إن هذه خطوة جيدة إذا ما تمت في ظل شروط وموازين محددة تكفل لهم الحماية والترشيد ، أما إذا لم يراع ذلك ، فإن الفرصة ملائمة للانحراف نتيجة الاختلاط والاحتكاك بشباب الدول الأجنبية التي يبتعث إليها الشاب المسلم ، ومما لا شك فيه انه سوف يتأثر بعاداتهم وأخلاقهم وطرق معيشتهم ، ولما كانت الدول الغربية خاصة غارقة في تعاطي المخدرات عامة ، والخمور خاصة ، لذلك فإن كثيراً من المبتعثين قد يتعرضون لتعاطيها والإدمان عليها ، وبهذه المناسبة تجدر الإشارة إلى أن المبتعثين العزاب والمراهقين منهم خاصة يكونون أكثر عرضة للوقوع تحت وطأة هذه المغريات ...

لهذه الأسباب يفضل ابتعاث المتزوجين ، لأنهم سوف يكونون أقل عرضة للانحراف من غيرهم لأنهم محصنون ، كما أن ارتباطهم بعوائلهم سوف يقلل احتمال اختلاطهم بأمثال هؤلاء الناس الذين جعلوا طريق تعاطي المخدرات والمسكرات سيرة حياتهم ، إضافة إلى هذا يفضل عدم ابتعاث المراهقين خاصة للدراسات الجامعية الأولية لأنهم غالباً ما يكونون غير ناضجين ، ولا يحسنون التصرف ، وقد لا يستطيعون الثبات في وجه المغريات الكثيرة التي ستحيط بهم في حياتهم هناك ، حيث التبذل والانحلال ، وانتشار المخدرات والمسكرات على نطاق واسع ...

يضاف إلى الابتعاث : السفر إلى هذه الدول ، وخاصة من قبل الشباب لفترات طويلة ، خاصة خلال فترة الصيف ، مما يجعلهم عرضة لما يتعرض له الشباب المراهق المبتعث ؛ وليس هناك ادنى شك أن هؤلاء الذين انحرفوا في ديار الغرب سوف يكونون مصدراً لاستعمال وتناول هذه الأدوية ونشرها بين الناس في مجتمعهم .

٧ ـ توفر الادوية : لا شك أن توفر اي دواء أو مادة في أي منطقة سوف يجعلها سهلة التناول والتداول بين الناس ، ومما يؤسف له أن أهم مشكلة تواجه مجتمعاتنا هي مرض « الاعتماد » على الخمور نظراً لتوفرها في الأسواق في كثير من الدول العربية والإسلامية ، إنها لا تستورد فقط بصورة رسمية ولكنها تصنع أيضاً ، وقد اخذت بعض الدول تفتخر بأنها أنجزت أكبر مشاريع صناعة الخمور ببلادها ، ومما تجدر الإشارة إليه والتذكير به هنا هو أن العالم العربي والإسلامي عندما تعرض للاستعمار الغربي وذاق منه الأمرّين ، فإن هذا الاستعمار لم يترك صناعة ولا مشروعاً اقتصادياً يستفيد منه البلد المُستَعْمَر ، لأن ذلك سوف يقلل من اعتماده مستقبلاً على من استعمره واستعبده ، ولذلك ومن أجل ضمان مصالحه كان أول من شجع صناعة الخمور في مختلف البلاد الإسلامية التي خضعت لحكمه

وجبروته .

ومن الأمور الثابتة تاريخياً أن الاستعمار البريطاني كان وراء انتشار المخدرات والحشيش خاصة في الصين حيث شن عليها ما عرف بـ « حرب الأفيون » وأجبر حاكمها على السماح بنشر هذه المادة بين أفراد شعبه ، وبالتالي ليزيد من مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية والصحية ، ومن ثم يسلس له قيادهم ، وكان ذلك في بداية القرن التاسع عشر .

٨ — الأجانب : نظراً لمشاريع التنمية الهائلة التي ظهرت في كثير من دول العالم الإسلامي - خاصة العالم العربي - فإنها جعلتهم مضطرين لجلب الأيدي العاملة الأجنبية والخبرات الأجنبية لتنفيذ خطط التنمية ؛ ولا شك ان كثيراً من هؤلاء جاؤوا من بلاد تختلف عن بلادنا من حيث العادات والتقاليد وحتى القوانين ، وإن احتمال وجود نسبة كبيرة من هؤلاء الأجانب يعتمدون على الأدوية مما يضطرهم إلى جلبها او التفتيش عن مصدرها داخل مجتمعاتنا مما يروج سوقها حتى ولو كانت ممنوعة التداول ومحرمة قانوناً في بلادنا ، إضافة إلى ذلك فإن امثال هؤلاء الأجانب قد يكونون مصدراً لترويج المخدرات في مجتمعاتنا سواء باستعمالها او نشر استعمالها بين الناس ، أو بتهريبها إلى داخل بلادنا والاتجار بها إذا ما اتسع نطاق استعمالها وأصبحت مجتمعاتنا سوقاً رائجة لها .

٩ — الفراغ والبطالة : البطالة تعني توفر الفراغ لدى الناس ، وتوفر الفراغ يعني ارتفاع نسبة البطالة بين الناس ، ونظراً لقلة الأعمال أثناء الفراغ والبطالة فإن الناس يكونون أكثر احتكاكاً واختلاطاً فيما بينهم ، فنرى المقاهي مملوءة بالناس ، والمحلات العامة مزدحمة بالعاطلين ؛ وعندما تكون هذه الظواهر متكررة ومستمرة فسوف تكون مملة ، وإذا حدث هذا الملل والضجر عند الناس إضافة إلى اختلاطهم واحتكاكهم المتواصل فسوف يؤدي إلى انتشار المشاكل الاجتماعية بينهم ، ومن ثم إلى ظهور انحرافات متعددة ، دفعهم الفراغ القاتل والبطالة المزمنة المهلكة إلى الخوض فيها والانسياق معها ، كالمخدرات والجريمة ، ولذلك نرى هاتين الظاهرتين متلازمتين في امثال هذه المجتمعات ، خاصة إذا توفر قرين السوء ، ولا شك أن اي مجتمع لا يمكن أن يخلو من امثال هؤلاء الناس وما أكثرهم ؟!!

لذلك يفضل استغلال الشباب وقت فراغه ؛ خاصة خلال الإجازات الصيفية الطويلة بعمل نشاطات ثقافية واجتماعية ورياضية وعلمية ، وفتح المجال للعمل أمام الطبقة العاملة والوظائف للخريجين حسب تخطيط علمي مدروس ، ليس فقط للتخلص من مشاكل الفراغ والبطالة الاجتماعية والصحية ، بل ولاستغلال الطاقات الهائلة من الشباب لبناء بلادهم نحو مستقبل أفضل .

١٠ — المواسم الخاصة : تمر في كل بلد مواسم خاصة تكثر فيها استعمالات الأدوية للأغراض غير الطبية ، وقد تكون هذه المواسم متشابهة في كثير من الدول ، فالامتحانات النهائية ، وحتى الامتحانات الفصلية والشهرية عامل (مُعِين) في انتشار استعمال الأدوية المنبهة بين الطلاب ، خاصة « الأمفتامين » ، وكذلك الحال بالنسبة لسائقي العربات عندما يتعرضون لبذل جهد وسهر متواصل في مواسم معينة لكثرة الأعمال ، مما يجعلهم يتعاطون المنبهات ، كمواسم الأعياد ، والإجازات الرسمية ، وموسم الحج حيث يتعرض السائق لمغريات مادية كثيرة لمواصلة العمل ليلاً ونهاراً مما يشعره بالتعب الشديد ، ولذلك يميل إلى استعمال الأدوية المنبهة ؛ كما أن الاحتفال بما يسمونه : أعياد الميلاد ، يؤدي إلى استهلاك المخدرات وخاصة الكحول على نطاق واسع ، كما أن حفلات الأفراح الخاصة تستهلك فيها المخدرات وخاصة الخمور ، بالإضافة إلى ذلك فإن المشرفين على امثال هذه الحفلات يتعرضون إلى تعب وسهر مما يشجعهم على استعمال المنبهات مثل « الامفيتامين » ، وتجدر الإشارة هنا إلى ان موسم الحج في العالم الإسلامي يشجع كثيراً من المسلمين على الحركة من بلد إلى بلد آخر ، وتشجيع وسائل النقل البرية والبحرية والجوية بين مختلف ارجاء العالم الإسلامي .

إن هذه الحركة الهائلة من النقل تساهم مساهمة كبيرة في تشجيع المتاجرة بالمخدرات حيث يستغل تجار المخدرات هذه الحركة ، وازدحام حركة الناس ووسائل نقلهم ، بنقل كميات هائلة من المخدرات من بلد إلى آخر ، ولذلك يتم التفتيش الشديد على حدود الدول المختلفة مما يؤدي إلى كشف كثير من هذه الأدوية المهربة من قبل رجال الأمن المختصين .

١١ — الرغبة في المعرفة والاطلاع : كثرت صيحات التحذير من قبل المصلحين والمختصين حول اخطار استعمالات الأدوية للأغراض غير الطبية نظراً لاتساع استعمالها وانتشار تهريبها من قبل عصابات دولية من شرقي المعمورة إلى غربيّها ، كل هذه العوامل مشتركة جعلت بعض الناس - خاصة طبقة الشباب التي كثيراً ما تحب المغامرة - يودون ان يتعرفوا على حقيقة ما يسمعون أو يقراون حول تاثير هذه الأدوية على الجسم ، وهذا مما يساعد بدوره على حدوث « اعتماد جسماني » في كثير من هؤلاء ، ولا نستغرب إذا علمنا أن نسبة « المعتمدين » على الأدوية ، خاصة المخدرات ، بين العاملين في الحقل الطبي وخاصة المستشفيات هي أعلى من اي مجموعة مهنية اخرى رغبة منهم في معرفة حقيقة تاثيرها والتاكد منه ، خاصة المسكنات المخدرة ، كالمورفين والبثِدين ، ولو أن بعضهم استعملها محاولة منه في التخلص من التعب المضني الذي حل به نتيجة عمله المتواصل داخل المستشفيات ، حيث هي متوفرة دوماً ، ولكن احتمال الاعتماد عليها كبير لان الأدوية المسكنة المخدرة تحدث الاعتماد اسرع من اي مخدر آخر ، ولذلك فإن متعاطيها يقع في شباك « الاعتماد » عليها وهو لا يشعر .

قصة قصيرة

من قصصنا الخالدة

المبارك

«هاه، وهذه الجرّة من أين تملئينها اليوم؟ لا تقولي لي من نهر عيسى، فتثيري حفيظتي ... انت تَرَيْنَ حاجتنا للماء؟».

هكذا هتفت المرأة البغدادية الكبيرة وهي ترد طرف خمارها السابغ ناحية كتفها الأيمن، وتبدو في هيئة مضطربة ... كانت سيدة بادية الحُسْن رغم امتداد السنين بها، لكن ثيابها القديمة ربما كانت تجني على مجمل حالها اكثر من جناية العمر المتقدم ... اما الفتاة فكانت في ريعان الصبا - كما يقال - ومع ذلك فإن العين تأخذها بالإعجاب بمجرد وقوعها عليها، ربما تعجب من بقائها بغير زواج حتى ذلك الحين ...

خرجت صفية بالجرة، ولم تتردد غير لحظات عابرة قبل أن تنحاز إلى الدرب المفضي إلى بساتين الضفة الجنوبية من نهر عيسى، ومع أنها كانت تسارع الخُطا اختصاراً للوقت؛ إلَّا أن أفكاراً كثيرة كانت تشاغل خاطرها ... ولو لاحظها أحد وهي تتحدث إلى نفسها فلربما سارع إلى سوء الظن بعقلها «ولكن من أين أجد عند سواه مرآة حياتي، وصورة منسوخة عن آلامي ...

«أبوه توفاه الله صغيراً، وأنا ولدت ولا أعرف أبي» ... وتتوقف قليلاً لتقول «آه ... آه .. عرفتُ يا سيدي يا رسول الله اليوم جانباً آخر من جوانب مدينة اخلاقك العظمى... إنك لم تعرف لك أباً ... كانما أرادك الله تعالى عزاءً لكل يتيم يرى نور الحياة بغير ابتسامة الأب الحنون» ...

وتنهدت وراحت تتمتم ثم تترنم بقول صاحب عزّة:

فقلت لها يا عزُّ كلُّ مصيبةٍ

إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النَّفسُ ذلَّتِ

وكانما كان بيت الشعر إيذاناً بانفجار شيء كثير مكبوت في أعماق ذاتها المعذبة، فراحت تنشج نشيجاً حزيناً فيما تسرق النظر إلى أطراف الأردان الممزقة من ثوبها القديم المتداعي .. لقد كانت تحسّ بتضاؤل حسنها في تلك الأسمال، وكانت تعلم علم اليقين أن اللواتي لم يُؤْتَيْنَ إلَّا الأقل من الحسن كنَّ يرفلن في الحرير، ويتحايلن على القبح بمضغ الكلام وصبغ الحواجيب ... ولكن آهِ لقد ساءت الأحوال، واستشرى الفساد في البر والبحر ... كذلك خيّل لها، ثم إذا هي تصمت وتفكر وتتساءل: «ترى لو كنتِ غنيةً يا صفية وكان لك حظ أولئك الغواني من النعيم أكنت تزعمين ان الدنيا فسدت، والأحوال مادت واضطربت ... وضحكت ... وراحت توغل في الضحك حتى إنها غفلت عن رجل كان يسوق حماراً له موقوراً بالحطب ... وهو ينظر لها شزراً نظرات لا تخلو من بعض الرعب، وربما حسبها مجنونة تهيأ لها الفرار من بيمارستان النساء، ومضت هي بعد ذلك صامتة، وصار حديثها إلى نفسها شيئاً فشيئاً يغور في أعماقها ...

«سامحك الله يا عبد الرحمن بن علي! اما وربي إني لأخشى ان أكون أحببت فيك قمراً وضيئاً ولكن لا يُنَال ... ترى هل يكون عنده جديد هذه المرة، أم هو الصمت القديم إيَّاه ...؟» ... وغرَّد طيرٌ بصوت ملعلع مستعلن، فكانما ايقظها من رحلتها مع نفسها وحبيبها، لترى معالم الكون الجميل من حولها في موكب يتجدد كلما أسفر الصبح عند نهر عيسى ... شلَّالات تهدر وهي تنحطّ من البرك إلى القنوات، وطيور تهبط وتعلو بين ملايين الأفنان الخضر، ومماشٍ على القنوات القت على الأمواه من تحتها اردية سندسية مطرزة بالف لون وحجم من نثير الزهور، ونعناع الماء ... والمدّاد العبق والرمان المتفتح ينعه، تتدلى منه على جوانب الدرب أفنان لدنة كانها اصابع المترفات في قصور الكرخ ... وصفية على فقرها فتاة صهرها الألم العبقري فصاغها صياغة رائعة، فما في نفسها إلَّا وهج الحسّ الرهيف، واماني النفس المؤمنة الشاعرة الصابرة ... وتنهدت وهي تقول: «صدقت والله يا حبيب ... يا عبد الرحمن بن علي يا مبارك ... بل ايها المبارك كما يهتف باسمك أهل الحي ... اليس يتردد على كل لسان منهم ... مبارك هذا المبارك ... أين كهذا الشابِ طالبِ العلم ... ابن الجوزي؟!

لكن خباز الحي أبا رافع كان يمضي إلى ابعد من ذلك فهو يهتف في كل مناسبة يرد فيها ذكر عبد الرحمن بن علي «أما والله إني لواثق من نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثقتي بنفسي،

بقلم : أحمد العناني

سبحان الله ! إن به سمات ذلك النسب الحسيب ... أما ترون لين عريكته ، وصدق لهجته ، واستهانته بعَرَضِ الدنيا في الحق ، أروني طالب علم مثله باع البيت الذي أورثه إيَّاه أبوه لينفق على نفسه في انقطاعه لخدمة كتاب الله وحديث رسوله الكريم ؟.. أليست هذه من صفات الصدّيق جدّه رضي الله عنه ؟

تذكرت صفية ذلك كله وهي تقترب من الجدول الذي اعتادت أن تَلْقَى عنده الشاب العالم عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ... وتذكرت أكثر منه ... تذكرت ما لا يصدقه أحد من أخلاق ذلك الشاب ... إنها مستعدة أن تقسم أنه ما التقت عينها بعينه أبداً ، وما تعلم أبداً أنه أشبع النظر منها ، فيما هو لا يتمنى على الله زوجة سواها ...

كان ذلك الآدمي جزءاً من نضارة الورق الأخضر في الوادي الجميل الذي يسكنه ، وكان كطهر الأنسام التي تعتاد ذلك الوادي كل صباح ... كان أصلاً يسكن « درب حبيب » الحي نفسه الذي ولدت وترعرعت هي فيه ببغداد ...

كان مثلها يتيماً بغير أب ... لكنه ناف عنها فيما بعد ، حين ضاقت أمه ذرعاً بالحياة ونشدت لها حظاً جديداً بزواج آخر تاركة عبد الرحمن في رعاية عمة له حنون ...

كان يشدها له الألم وتشابه الحظ وشبَهٌ لاحَظَهُ كل من بالحي ... فهو أكثر الفتيان وسامة وهي أبرز البنات إذا ما عدَّ الحُسْن ... حتى لقد كانت عمة عبد الرحمن تردد دائماً كلما رأتها وهي تتنهد « آه لو أعيش حتى أرى الطيبين للطيبات والحُسْن يُزَفُّ إلى الحُسْن » ..

وتنهدت صفية على فوات تلك الأيام ... لقد أصبحت ذكرى بعيدة كعبث الصبيان على رمال الشواطىء ... عبد الرحمن كبر واشْتُهِر ... وكان كأنَّ له ثأراً على الحلقات والمجالس والأوراق ، فهو لا يكاد يعيش إلَّا قارئاً أو مستمعاً أو محدِّثاً .. وبات يبحث عن المعرفة في مظانها ، وأضحى كَقُبَّرَةٍ تصدح من فوق الغيوم ينزل جرس صوتها إلى الأرض غُيوثاً من الألحان ، ولكنها كانت في حال ابن الجوزي ألحاناً من الفتيا والفقه والحديث ، ووعظاً لم يرق إلى مستواه في تأثيره وصدق لهجته وسرعة نفاذه إلى قلوب الناس وعظ إنسان سواه ...

وفي غير ذلك السماع عنه ، لم يعد لصفية شأن به إلى أن قضى الله يوماً أن ترافق لداتها لتجيء بالماء من مكان قرب نهر عيسى ... وهناك ... ويا لعجائب الأقدار !! التقت ثانية بابن الجوزي ، رأته وعرفته رغم تغير حاله ، ولكنه لم يعرفها ، وأسرعت إليه فحدق فيها أول الأمر ثم أشاح بوجهه يقول منفعلاً : « ويحك يا صفية .. اتقي الله فأنت لم تعودي تلك الطفلة اللاهية ولا أنا عدت ... اتقي الله ؛ فإنه لا لقاء عند الله على غير التقوى » ...

وتقول صفية لنفسها « وحسبتني حين أحكمت وضع خماري على رأسي وصدري سأجعله يشافهني بشيء يعيد ذكريات الطفولة ... فوالله لا أذكر أنه ملأ عينيه منّي ، ولا رآني إلَّا بسمعه كما يرى العميان خلْقَ الله المبصرين ... ووالله ما كلَّمني إلَّا مطرقاً ؛ فأنا أنعم النظر في بدائع خَلْقه وهو لا يرى مني لا وجهاً ولا يداً ...

وناشدته مرة بعد مرة ... « يا عبد الرحمن أنا لا أجيء إلى نهر عيسى لغيرك ... يا عبد الرحمن إن كنت غير متزوج فاتخذ مني أمة لك ... » فما يزيد على أن يقول : « حسبك يا صفية ، ما أنا إلَّا بشر وبي مثل ما بك تماماً ، ولكني ما أزال بحاجة إلى انقطاع بضع سنين للعلم ... ثم إني رجل غدوت فقيراً بسبب اتصال تحصيلي ... ووالله إني لأغمس قفار الخبز الذي لا أجد سواه في هذا الينبوع الذي أمامك لأستطيع أن أتبلغ به ... » .

ها هي اقتربت الآن من القناة الشرقية لنهر عيسى وبقربها النبع إيَّاه والناعورة ... أي يوم فاصل ذلك اليوم في تاريخ حياتها ؟!

ستخبره بأن الأمر لا يحتمل المماطلة ، وأنها لقيت مرّ العذاب في مدافعة زوجة أبيها عن تحريض والدها عليها كلما جدَّ خاطب جديد لها ... ولم يخب ظنّها فقد كان جالساً إلى جانب الينبوع إيَّاه ، فيما (فرَدَ) قراطيسه فامتدت مسافة دونه ذات اليمين وذات الشمال ...

لم تترك شاردة ولا واردة إلَّا وشفت غليل نفسها بالحديث فيها ذلك اليوم ... وعبد الرحمن مطرق كأنما هو في شأن مفاضلة حاسمة بين الدنيا والآخرة ... ثم رفع رأسه فإذا عيناه مغرورقتان بالدموع يقول لها وعيناه مسمَّرتان بالأفق البعيد : « يا صفية .. الله يشهد أن النَّفس لمائلة إليك ، وأن في يقيني أنك تصلحين لي زوجة ... ولكنك تظلين بضعةً من هذه الدنيا ، وأنا هذه السنوات مشغول بواجبٍ أَثَرُهُ أبقى من الدنيا ... إن عليَّ يا صفية أن أتبحر في العلم وأن أحفظ ؛ لأني نويت أن أتخذ الوعظ مهمتي ... إن زماننا هذا في حاجة إلى وعَّاظ وعظوا أنفسهم ، وصدقوا الله ما فيها ، وأنا الآن رجل لا أكاد أملك شيئاً ، وأنت فتاة يجب أن تترجي بزواجك عيشاً ناعماً ... فأنت كأختي إن شاء الله تعالى .. أسأل الله أن يجعل لك في حياتك خيراً .. هذا ما عندي فدعيني لحياتي ... » .

ونهضت صفية وكأنها تسير في جنازة ... نسيت حتى أن تملأ قربتها بالماء ... الأفق كأنه كله يمتلىء بوجه ابن الجوزي وتقاطيعه الحاسمة في تصميمها أولاً على ابتغاء رضوان الله ... ■■

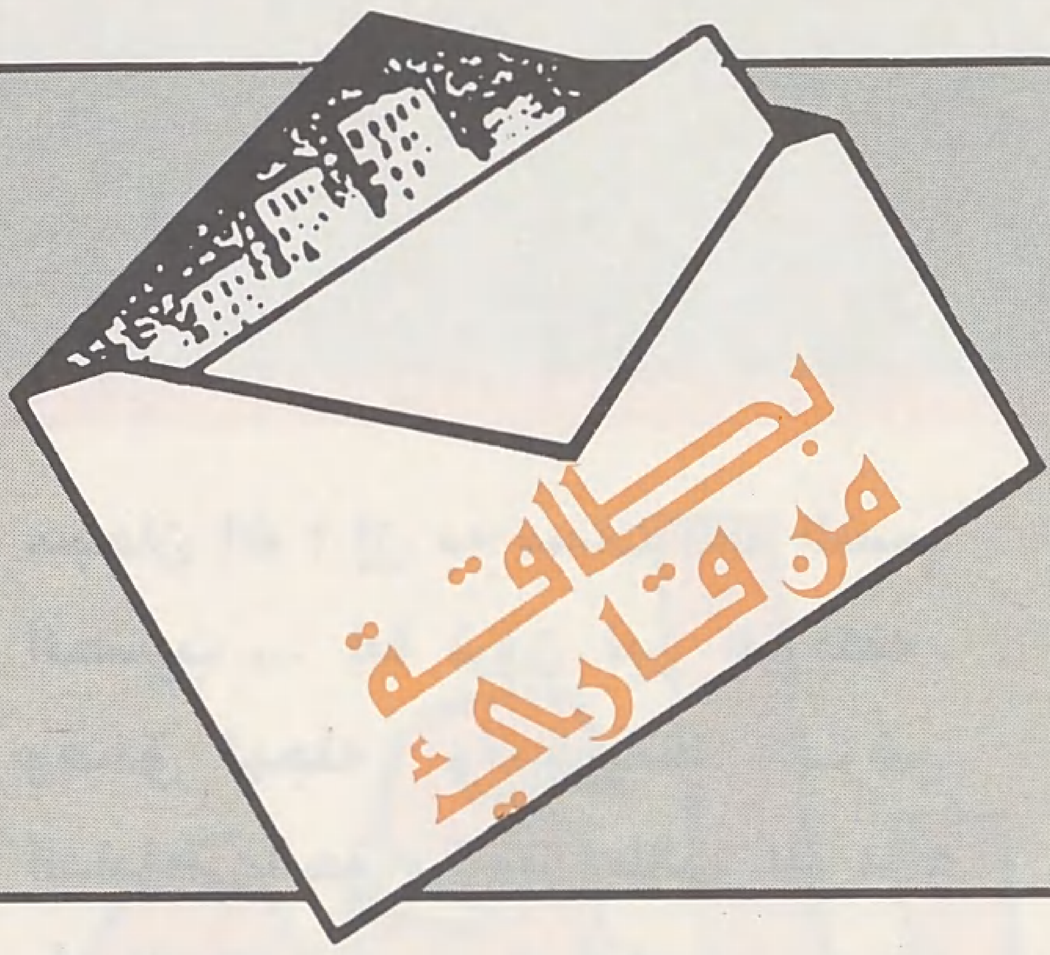

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيّة . ومن ثمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوّماتها .. أو يبصّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلّ ودل □

القضيــة الأساسيــة

□□ في العالم الإسلامي اليوم قضايا متعددة تحتاج إلى طرح ودراسة ومعالجة .. فهناك قضية التخلف الحضاري بمختلف انواعه : العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، التي تسببت في الجهل والفقر والبؤس وتراكم المشاكل الاجتماعية واستشراء الاستيراد وظهور الدكتاتوريات الفردية والعسكرية والعشائرية ، وإلى انتشار الظلم والفساد الخلقي والمالي ، واستعباد الناس بعضهم لبعض ، وهضم حقوق الملايين من المستضعفين ، والتعدّي على قيمهم الإنسانية ، والعبث بمقدراتهم ..

وهناك قضية فقدان الذات والانسلاخ عن قيم الإسلام وانظمته ، والتبعية لأنظمة فكرية واجتماعية وثقافية من نتاج قيم وفلسفات تتعارض مع عقيدتنا ..

وهناك قضية الفرد المسلم ودوره ، والفرص المهياة له كي يرتقي ويتقدم وينطلق لينتج ويبدع ، فيغيِّر ويؤثر .. ويقود ...

إلاَّ أنَّ القضية الأساسية التي تدور حولها معظم معضلات الامة الإسلامية اليوم ، وتتاثر بها جميع قضاياها الراهنة ، هي قضية الحرية ...

فالحرية في أوطاننا الإسلامية غائبة أو مزيفة او مكبوتة او مصادرة .. وهذا لا يقتصر على الحرية السياسية فحسب بل يشمل مظاهر الحرية في الفكر والتعبير ، وفي الكسب والأمن ، وفي ضمان الاستقرار والعيش الكريم ..

إن موقف الفكر الإسلامي والحركات الإسلامية المعاصرة من قضية الحرية لا يزال ـ على أحسن الفروض ـ مشوباً بالغموض ، فهم لم يبلوروا بعد مفاهيم واضحة للحريات السياسية وحرية الفكر والتعبير في الدولة الإسلامية التي يمكن أن تنشا في هذا العصر .. وركام التسلط والاستبداد السياسي الذي شهده العالم الإسلامي في عصور انحطاطه لا يزال يشكل تركة ثقيلة .. وما يمارس ـ باسم الإسلام ـ اليوم من كبت للحريات وظلم للعباد في بلاد المسلمين يـزيـد من قتامة الصورة . □□

[الشــروق الإسلامي]

القارىء : عبدالله حمد الأزرق (نيويورك)

العائلــة الاشتراكيــة

□□ في تحقيق قامت به إحدى المجلات المتخصصة بشؤون الدول الاشتراكية وحكوماتها جاء : ان رئيس جمهورية رومانيا « نيقولاي تشاوشيسكو » مع رئيس كوريا الشمالية « كيم إيل سونغ » أكثر رؤساء العالم استخداماً لأفراد عائلتيهما في حكم بلديهما ...

اصبح «تشاوشيسكو» رئيساً لرومانيا عام ١٩٦٥م وهو في الوقت نفسه السكرتير الأول للحزب الشيوعي الروماني ؛ زوجته «إيلينا» عضو اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي ، ونائبة رئيس الوزراء ، وعضو في اكاديمية العلوم ؛ ابنه « نيقو» وخليفته المرجح (٣٤ سنة) عضو اللجنة التنفيذية للحزب وحائز على وسام العمل الممتاز ؛ «بوليانا» زوجة الابن رئيسة المجلس الوطني للرواد ، وعضو في اللجنة المركزية للحزب ؛ « جورج بترسكو » شقيق زوجة الرئيس ، نـائب رئيس الوزراء ؛ « مارين تشاوشيسكو » شقيق الرئيس ممثل المخابرات الرومانية لدى المخابرات السوفييتية ؛ « إيلي تشاوشيسكو » شقيق الـرئيس ، جنـرال ، رئيس المجلس الأعلى للجيش ؛ « إيـوف تشاوشيسكو » شقيق الرئيس ، رئيس مجلس التخطيط ؛ « مانيا تشاوشيسكو » ، « عديل » الرئيس ، عضو اللجنة التنفيذية للحزب وهو وزير سابق ؛ « إيلي فردي » ، زوج شقيقة الرئيس ، عضـو اللجنة التنفيذية ... بالإضافة إلى عدد كبير من أفراد العائلة والأقارب الذين يحتلون مراكز هامة . □□

[الحوادث اللبنانيـة ـ العدد ١٤٧٥]

القــارىء : بهيج ناصر ـ بيروت

ضــاع القــدس

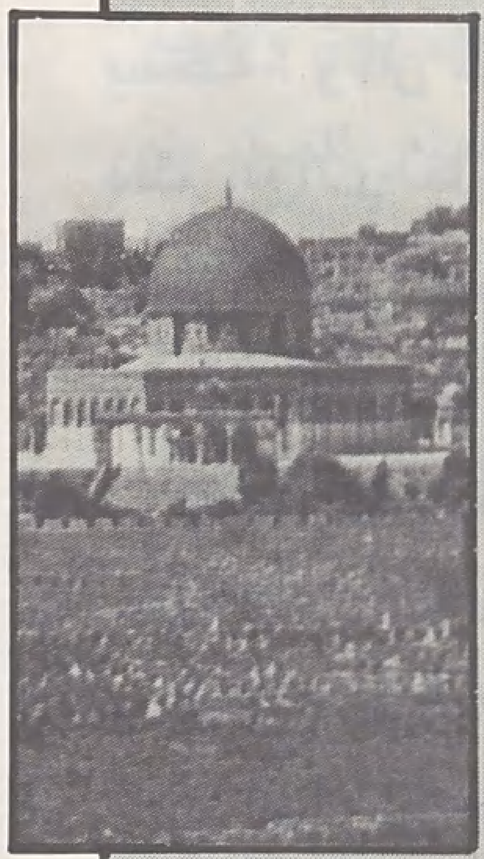

□□ « ... لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم النصارى واليهود على السواء ، وإن سرور النصارى لا يقل عن سرور اليهود . إنَّ القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، وقد اصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ، ولن تعود إلى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة بين المسلمين واليهود ... » □□

« راندولف تشرشل » [حرب الأيام الستة]

القارىء : الحاج أمنصور عبد الله [المغرب]

عــدل الإسـلام

□□ عندما حكمنا باسم الإسلام لم نشرِّد ايَّ زعيم ماروني كما فعل الكتائب ، ولم نقتل ابن ايِّ زعيم ماروني كما فعل الكتائب ، ولم نحاول ان نمزِّق النصارى او ان نفرض عليهم الهيمنة بل عاشوا معنا كراماً .. والدليل على ذلك هو بقاء معظم النصارى في جوار المسلمين بينما فرّ الموارنة انفسهم من جور الموارنة . فمطالبتنا بالدولة الإسلامية هي الرد الطبيعي على محاولة إنشاء الدولة النصرانية في لبنان ، ولا احد يستطيع ان يمنعنا من ذلك ما دام الموارنة قد سمحوا لأنفسهم بان يؤسسوا دولة نصرانية في وطن إسلامي مائة بالمائة .. □□

الشيخ محمد علي الجوزو ـ مفتي جبل لبنان

من حديث لصحيفة [الوطن] الكويتية ـ العدد [٣٥٦٠]

القارئة : نجاة محمد « عووضة » [السعوديــة]

بريد الأمة

●● تشكل المقترحات التي يبعث بها الإخوة القراء ـ ضمن رسائلهم إلى هذا الباب ـ مورداً هاماً ومستمراً لعناصر التطوير والتجديد في مجال العمل الصحفي الإسلامي ؛ ومقياساً نستطلع من خلاله الآراء ونرصدها حول ما ينشر في « الأمة » وفي سلسلة « كتاب الأمة » ؛ وحاسةً نتحسس بها رغباتهم .

ونعترف هنا أن صيغة المقترحات وصلت إلى مستوى المطالبة الشديدة فيما يتعلق بفتح باب الاشتراكات وطرح أعداد أكبر من سلسلة « كتاب الأمة » حتى يمكن الحصول عليها ، ومتابعة قراءتها بانتظام ، وهو عين ما نهدف إليه ، ونسعى لتحقيقه .

ونود أن يعلم الإخوة أصحاب هذه المقترحات أنّنا ـ في حدود الإمكانات المتاحة ـ قد قمنا بإعادة طبع الكتابين السادس « المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري » ، والسابع « الحرمان والتخلف في ديار المسلمين » من سلسلة « كتاب الأمة » .. ولسوف يكون فتح باب الاشتراكات في السلسلة موضع الدراسة ، إن شاء الله .. ●●

رسـالـة ..

■■ من مكة المكرمة كتب الأخ عبد اللطيف محمد بدر :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد : فقد اطّلعت على مقال بمجلة الأمة العدد (٥٦) السنة الخامسة ـ حول محاولة تنصير قبيلة « الفولاني » ـ في غربي أفريقيا ـ كبرى القبائل الموجودة بالقارة الأفريقية ، فهالني ما جاء في هذا التقرير من التركيز على تنصير هذه القبيلة للأسباب التي ذُكرت فيه ، ولا شك أنه هال بل أزعج كل من اطّلع عليه من المسلمين الغيورين على دينهم ، ولا ينبغي أن يمر هذا الموضوع دون أن يفكر المسلمون جيداً في كيفية إحباط هذه المؤامرة الخطيرة ، بل لا بد من طرح هذا الموضوع والتذكير به مرة ومرة ، ومناشدة المسؤولين والمفكرين والمثقفين المسلمين كلهم كيف نقاوم هذا العمل التنصيري ونحبطه ، وننقذ إخواننا من الوقوع في براثنه وتحت أنيابه ، وحتى نسلم من تبعة التفريط في إخواننا وتركهم فريسة سهلة لأعداء الإنسانية والدين والخلق والفضيلة يفتنونهم في عقيدتهم ويردونهم عن دينهم كافرين .

وأقترح أن تتبنى مجلتكم الدعوة لإنقاذ هؤلاء المسلمين مما يتعرضون له من فتنة الارتداد عن دينهم ، فتناشد كل مسؤول وكل مثقف من أبناء هذه القبيلة أن يسارع إلى إنقاذ أهله أياً كان موقعه من هذه الأرض التي نعيش عليها ، فيذهب إليها في ديارها وفي أماكن إقامتها ، وجهات تنقلاتها بحثاً عن مراعي أبقارها فيعيش معهم أطول مدة ممكنة يعلمهم الإسلام وعقيدته السمحة ، ويحذرهم من أعدائهم وأعداء دينهم ؛ فهم أقدر الناس على التفاهم معهم والعيش بينهم ، وأن لا يكونوا أقل من هؤلاء الكفّار المنصِّرين حماساً وتضحية .

فإن كانوا طلاباً فليقضوا إجازاتهم بينهم ، وإن كانوا موظفين فكذلك ، وحبذا لو أن جهات التوظيف والمسؤولين فيها يجرون عليهم رواتبهم ويفرغونهم لهذا العمل الهام ولو فترة من الزمان ، فما أرسل الله رسولاً إلَّا بلسان قومه ليبينْ لهم ، ولذلك فمهما كانت إمكاناتهم ضعيفة فاتحادهم في الجنس وفي اللغة وفي العادات يَجْبُر هذا الضعف ويؤدي إلى نتائج حسنة بفضل الله وتوفيقه إذا خلصت النيات وصدقت العزائم ، وإذا صح العزم وضح السبيل .

وأقترح أن توجهوا نداءً على صفحات مجلتكم لأبناء قبيلة « الفولاني » المثقفين والموظفين وجهاتهم التي يعملون فيها بهذا الخصوص لعلّه يوافق آذاناً مصغية وقلوباً واعية وعقولاً مفكرة تدرك المسؤولية وتقدرها قدرها ، وهذا هو جهد المقل إذا نصح لله ولرسوله ﷺ ولخاصة المسلمين وعامتهم .

وأسأل الله تعالى أن يوفقكم إلى نصرة إخوانكم والذود عن عقيدتهم وهو حسبنا ونعم الوكيل .. والسلام عليكم ورحمة الله ..] ■■

أصداء

● وردت اكثر من رسالة حول ما نشر بالعدد الخامس والخمسين ، وتركزت بشكل خاص على «كلمة الأمة» [حتى يتوقف الخداع للذين آمنوا] و «اين الخلل؟» [وقفة مع الحركة الإسلامية] ..

من «مصر» كتب الاخ صلاح عبد المؤمن يونس :

[... تناولت المقالتان اهم المشاكل التي تعترض مسيرة العمل الإسلامي . ففي «كلمة الأمة» وُضعت النقاط على الحروف وحُدِّدت مواقع الالم ، ومكامن الداء ، ومن ثمَّ وُصِفَ الدواء .. ارجو إلقاء مزيد من الضوء على ما جاء بالكلمة ، خاصة فيما يتعلق بضرورة إسناد الأمر إلى اهله ، والاستفادة من علم «الجرح والتعديل» لتحديد الضوابط التي يُحكم بها على كفاءة المرء ومدى صلاحيته لتولي امر من امور المسلمين .. وذلك من اهم ما يمكن تقديمه لمسيرة العمل الإسلامي ، وتصحيح بعض الأوضاع المخطئة ..

اما الدكتور القرضاوي فقد اثار في مقالته (وقفة مع الحركة الإسلامية) اموراً يخشىٰ بعض العاملين للإسلام التصريح بها ، او مجرد فتح باب الحديث عنها ، خاصة ما يتعلق بعملية النقد الذاتي ... إنَّ واقع المسلمين وما هم فيه من فرقة وتمزق ، وما يعانونه من جمود وتحجر ، وإصرار بعضهم على التمسك بالراي الواحد ، وإضفاء ثوب من العصمة على تصرفات بعض القادة الإسلاميين الحركيين ، يجعلني اناشدكم بل اطالبكم بان تتبنى «الأمة» هذه القضية : (النقد الذاتي) وإثارتها في كل عدد ولو بمقالة قصيرة .. فإن خطورة الأمر واهميته تحتاج إلى كثير من التركيز والتذكير ، ومزيد من الجهد .. وارجو أن تستحثوا العلماء العاملين من ذوي الغيرة الصادقة والفهم العميق والخبرة الطويلة في مجال العمل الإسلامي ، للإسهام في هذا الموضوع ...] .

● ومن «تونس» علَّق الاخ انور المشري على المقالتين ايضاً .. وكان مما جاء في رسالته حول «وقفة مع الحركة الإسلامية» :

[... جاءت المقالة بتصورات رائعة لمسؤولية الحركة الإسلامية (التي ليست هي جماعة معينة) تجاه واقع المسلمين .. كما بيَّنت الأسباب الذاتية التي تعوق مسيرة العمل الإسلامي ، كالاختلاف في وجهات النظر ، والتعصب لراي دون غيره ، وادعاء كل جماعة أنَّها الفرقة الناجية .. واقول : لا بد من العمل لإيجاد علاقة تعاون واخوَّة وحوار موضوعي نزيه بين مختلف الجماعات الإسلامية لتجاوز الوضعية الراهنة ، بل قد يكون ضرورياً ان تكون العلاقة بين مختلف الجماعات الإسلامية اكثر من تعاون مجرد .. وليس هناك ما يمنع ان تختص كل حركة بالعمل في ميدان معين ، او تكون لها رؤيتها الخاصة بها ، فالبشر يتاثرون بالبيئة التي يعيشون فيها ، والثقافة والتقاليد التي نشؤوا عليها ، وينعكس هذا التاثير بشكل واضع على الطريقة التي يفكرون وينظرون بها إلى الامور من حولهم ، وعلى مدى الفعالية التي يتمتعون بها .

ولكن ينبغي الاتفاق على ألَّا يتجاوز الاختلاف - حول الوسائل - حدوداً معينة ، وفي إطار المنهج الإسلامي الذي يتسع للعديد من التصورات ووجهات النظر] ..

● ومن الملاحظات التي جاءت برسالة الاخ احمد إبراهيم صالح (الأردن) حول [وقفة مع الحركة الإسلامية] ، نختار :

[اولاً : اهمل الكاتب العديد من الجماعات الإسلامية ولم يتعرض لمشاكلها بالرغم من نشاطها وتاثيرها الواضحين .

ثانياً : ورد قوله : (لا عيب في الحركة ولا عليها) ، واقول : - حسب اعتقادي - إن في بعض الحركات عيوباً لا يمكن التغاضي عنها ولكن ليس من احد في تلك الحركات يسعى بجد لاجتثاثها .

ثالثاً : وقال ايضاً : (فقد يكون لأحدهم من

تصويب

●● من القاهرة أرسل الأخ محمود أمين السمطي بالتصويب التالي :

[جاء بالعدد رقم «٥٥» ، صفحة ٢٧ ، ما ياتي : (فيصدر الأمر بنقل «حسن البنا» من «الإسماعيلية» في اقصى الوجه القبلي إلى «قنا» في اقصى الصعيد) ، واحب ان اشير إلى ان الإسماعيلية تقع على بعد (١٦٠) كيلو متراً تقريباً شمال شرقي القاهرة .. كما ان كلمة «الوجه القبلي» تعني «الصعيد» ، وقنا إحدى محافظات الوجه القبلي «الصعيد» ، وتقع جنوبي القاهرة وعلى بعد حوالي (٦٠٨ كيلو مترات تقريباً منها] . ●●

مقترحــــات

● من الجزائر ، بعث الأخ زياري أحسن برسالة يقترح فيها أن تفرد «الأمة» صفحات للتعريف بالحركات والتنظيمات الإسلامية العاملة وذكر أهدافها ووسائلها وكل ما من شأنه أن ينير للقارىء الطريق إلى العمل الإسلامي الجماعي الفاعل ..

● ومن السودان يقترح الأخ أبا بكر بلة الأمين أبو علامة تخصيص صفحة بعنوان : (أحداث القرون) تتضمن أبرز المعارك التي خاضها المسلمون ضد أعدائهم منذ نزول الوحي على رسول الله ﷺ .

● ويشاركه الاقتراح الأخ محمد عبده عيسى (مصر) ..

● ويقترح الأخ عبد القادر ميرزقة عياش (الجزائر) أن تجمع الأخت أم حسان الحلو مقالاتها التي نشرت في باب «الأسرة المسلمة» تحت عنوان : «زيارات وذكريات بين الجارات» وتعيد إصدارها في كتاب [لأنها تحتوي على أسلوب تربوي متميز يعتمد المحاورة أسلوباً] ..

واحة الإخاء

○ من الرياض - بالمملكة العربية السعودية - يوجه الأخ سليمان ريس الريس ، رسالته إلى الإخوة القراء من خلال «واحة الإخاء» حول اهمية الإعلام .. فيقول :

[السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛ اود أن اتوجه برسالتي هذه إلى كل المسلمين من خلال «الأمة» الغراء ، نظراً لما لمسته فيها من غيرة على الإسلام ورسالته واحوال المسلمين في جميع البلاد .. وقد لا يخفى على احد ان الإسلام في الوقت الراهن يجابه قوى عالمية كثيرة ومتعددة - من شيوعية ملحدة إلى راسمالية مادية وصهيونية حاقدة - وهذه القوى لم تفرغ ما في جعبتها بعد ، ونحن لا نلومهم على ذلك ، فهذه هي فطرتهم وهذا هو ديدنهم منذ خلق الله تعالى البشرية ، الصراع قائم بين الحق والباطل ، والحق ينتصر بإذن الله تعالى بسواعد شباب الامة ..

إن كل مسلم مهما كان جهده متواضعاً محدوداً فهو يقف على ثغرة من ثغرات الإسلام ، وعليه ان لا يؤتى من قبلها ، إننا على سبيل المثال نلاحظ إقبال الشباب المسلم على التخصص بالعلوم الشرعية والإنسانية بينما

الاعذار او الموانع المادية او المعنوية ما يعوقه عن العمل الجماعي النظامي) .. واقول : ليس لأيِّ مسلم عذر في تركه العمل في الأطر الجماعية ..] .

● ويعقب الأخ انور احمد نصير (مصر) على [وقفة مع الحركة الإسلامية] فيقول :

[... ومن خلال ممارستي العملية ، وعلاقتي بالعاملين في الحركة الإسلامية ارى ان التشخيص الذي انتهى إليه الدكتور يوسف القرضاوي حول تحديد آفات الحركة الإسلامية المعاصرة بانها : « الانقسام او التمزق الذي نشهده بين فصائلها وجماعاتها المتعددة ، فكل جماعة منها ترى انها وحدها جماعة المسلمين ، لا جماعة من المسلمين » .. هو تشخيص صحيح ، وتعد هذه الآفة من اخطر ما يواجه مسيرة العمل الإسلامي المعاصر ، واستطيع ان اوجز اسبابها في : عدم إلمام القائمين على الجماعات الإسلامية بالإسلام كمنهج كامل ، والاقتصار على الأخذ بجزئية واحدة وجعلها قاعدة للانطلاق ، ثم عدم فهمهم قضايا العصر ، والتركيز على مشكلات غير مطروحة حالياً او ليس لها الأولوية ـ مثل حكم وضع الخل على الطعام ـ ، ثم الاختلاف حولها .. وفي ذلك يقول استاذنا فضيلة الشيخ محمد الغزالي : « سئلت عن حكم الخل في مصر ، وذهبت إلى المغرب العربي فسئلت عن حكم الخل كذلك !! فهل يعقل ان تكرار مثل هذا السؤال هو محض صدفة ؟ اعتقد انه الكيد الصهيوني الصليبي لهدم اليقظة الإسلامية المعاصرة » ..] .

وينهي رسالته قائلاً :

[... إن الصراع هو صراع مصير بين الكفر والإيمان ، بين ان نكون او لا نكون ، وقضية الإسلام اليوم هي قضية وجودنا ، ولن يكون لنا وجود إذا كنّا نعيش على هامش العصر ..] .

● ويقول الأخ عبد الحي محمدي علي ـ من مصر :

[... لقد قرات بالعدد الرابع والخمسين موضوع : « مناظرات بين النصرانية والإسلام » للدكتور عبد الجليل شلبي ، وقد افادني كثيراً لما فيه من مواقف ومعلومات ، ولكن كنت اود ان يسهب في توضيح بعض المناظرات ، وما حدث فيها من مفارقات . حتى نزداد علماً بها .. وفقكم الله إلى نشر كل ما ينفع المسلمين ..] .

● ويقول الأخ بديدوش مراد ـ من الجزائر في رسالته حول موضوع : « ماساة الدول النامية ـ او الجوع في عالم الوفرة » المنشور بالعدد الثاني والخمسين ..

[لقد تحدثت صحف ومجلات عربية واجنبية عن هذه الماساة المؤلمة ، وذكرت الداء ووصفت الدواء ، عرضت المشاكل وبسطت الحلول ، وكانت هذه الحلول تارة منطقية واخرى لا تستقر في عقل ولا ضمير ..

ومع إدراكنا للأسباب الحقيقية للماساة ، وتاكدنا من ان المشكلة ليست اقتصادية إلى حد بعيد ـ كما عبرت عن ذلك « كلمة المحرر » ـ فإن المشكلة في رايي مشكلة عقيدة .. ومن خلال شعوري الإسلامي اقول :

عندما كان الإسلام يسود في ارجاء كثيرة من العالم كان الناس في سعة وخير وفير ، ولما جحدت البشرية نعم الله عز وجل واتخذت من دونه آلهة تعبدها في عصر التقدم العلمي والتكنولوجي (!) اصبح الجوع شبحاً مخيفاً يهدد كيانها ووجودها ..

ردود خاصة

●● نشكر الأخ يوسف عبد الرحمن محمد مدير المعهد الإسلامي بـ « زنجبار » على رسالته التي عبَّر فيها ـ باسم أساتذة وطلبة المعهد ـ عن مدى الفائدة التي يجنونها من متابعتهم لما ينشر بـ « الأمة » وخاصة ما جاء بالعدد الخامس والخمسين .. كما نشكره على الأبيات الشعرية التي أكّد بها حقيقة مشاعره ..

■ الأخ قاسم علي عبد الله (اليمن) ..

●● محاولة الإجابة على أسئلة المسابقة جميعها يعتبر خطوة على طريق الفوز بواحدة من الجوائز العشر .. أمّا إمكانية البحث عن عمل في « قطر » أو غيرها فذلك أمر لا يتيسر لنا في الوقت الحاضر .

■ الأخ الطاهر زرقون (الجزائر) :

●● لا يمكن أن نحكم على أعمال لم نطّلع عليها .. ابعث لنا بإنتاجك ونتمنى أن يكون وفق منهج « الأمة » ليجد طريقه إلى النشر .

■ الأخ حسن محمد سليمان ـ أسيوط ـ مصر ..

●● وصلتنا رسالتك ، ونشكرك على المعلومات التي وافيتنا بها .

■ الأخ طيبي عز الدين ـ الجزائر ..

●● أخطرنا قسم التوزيع بما جاء في رسالتكم .

يتركون حقلاً من اهم الحقول واداة من اهم ادوات التوجيه الفكري والعقيدي واكثرها فعالية ، الا وهو الإعلام .. إن المسلمين يعانون من « ضمور إعلامي » .. ـ إن صح التعبير ـ بما لا يتناسب مع مكانة الإسلام ورسالته العالمية وموقعهم الذي يسيطرون من خلاله على معظم ثروات العالم الاقتصادية ..

إننا لا نريد ان نكون افشل محامين في اعدل قضية ، وكفانا ضياعاً بين الشرق والغرب ، نستورد كل شيء حتى الفكرة .. والمسلم قد لا ينقصه الإخلاص ولكن ينقصه العمل الجاد ، والذي لا يستطيع ان يوضح قضيته للناس لا يجوز له ان ياسف لأن الناس لم يفهموه .. وكفى قولاً إن اليهود يسيطرون على الإعلام ، فنحن الذين مكنّاهم من ذلك ..] .

○ ومن الجزائر كتب الأخ قسوم عبد الباسط

[... اصبح للمغنين الغربيين دورهم في مجال العمل التطوعي .. وبرز هذا الدور بشكل واضح حين تناقلت أجهزة الإعلام اخبار الجفاف الذي حلَّ بإثيوبيا مؤخراً .. فجمعوا مبالغ طائلة باسم الجياع والمتضررين .. المؤسف ان جزءاً كبيراً من هذه المبالغ تدفق من جيوب مسلمين اسرعوا لشراء الاسطوانات واشرطة الكاسيت التي سجّل عليها المغنون اغنياتهم .. اموال المسلمين تذهب إلى ايدٍ غير مسلمة تتخذ من المشروعات الإنسانية والخيرية مظلة لدعم التنصير ومخططات الكنائس في البلاد الإسلامية !] .

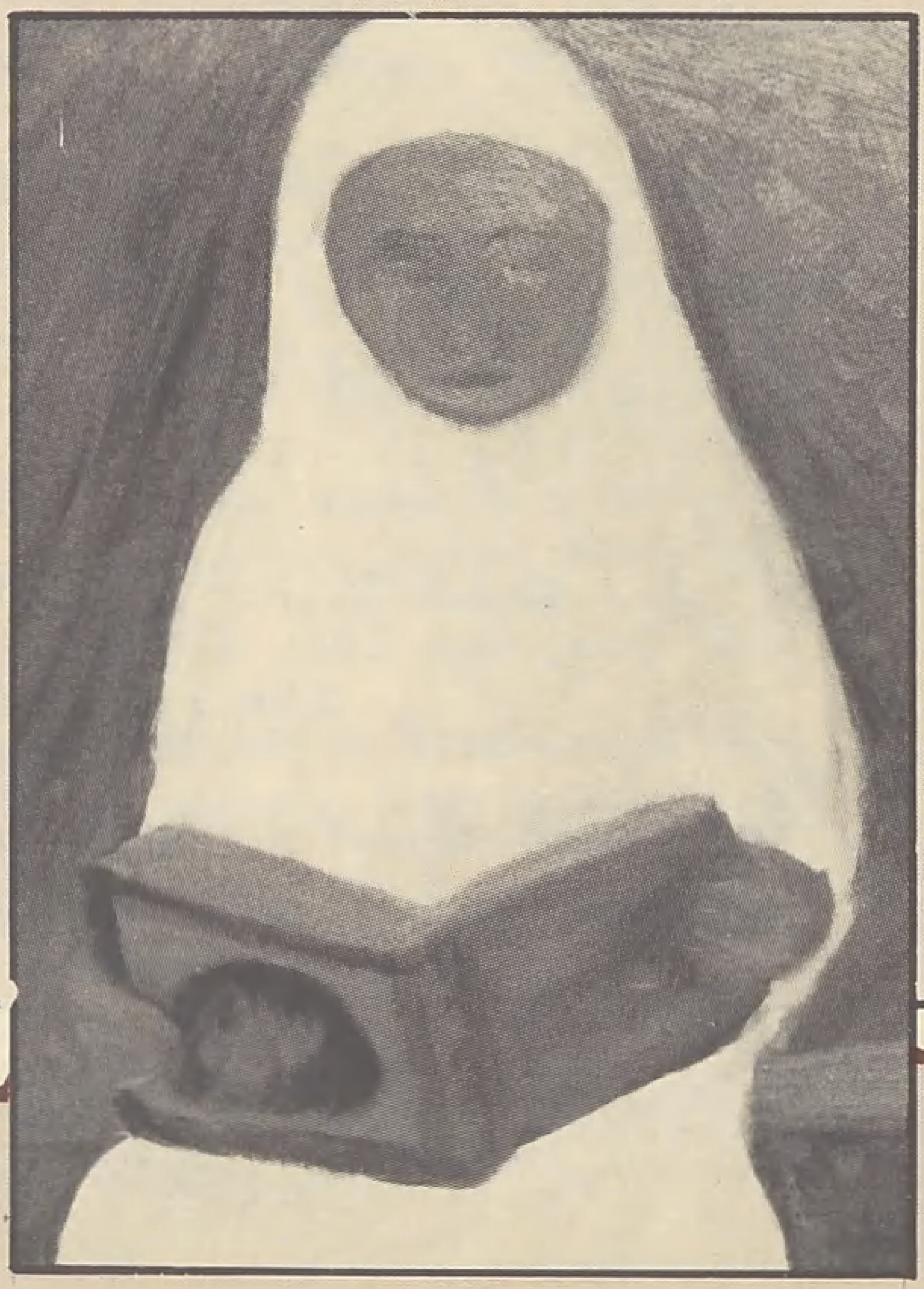

■ من الدوحة ـ قطر ـ أرسل لنا الفنان « خالد الجتال » هذه اللوحة بمناسبة شهر رمضان المبارك ■

بأقلام القراء

العقليـــة العلميـــة

العقل هو القوة المتهيأة لقبول العلم ، وسمي بذلك لأنه يعقل صاحبه عمّا لا يُحسن ، وهو إمّا نظري ، وهو ما أشار إليه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » من رواية الحسن عن رسول الله ﷺ : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » وكذلك « أول ما خلق الله العقل » .

وإمّا مكتسب وإليه أشار في قوله : « ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى ، أو يرده عن رديء » .

والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأشياء ويوازن بين الأضداد ويتبصر العواقب والنتائج ..

ومن الحوادث الدَّالة على العقلية العلمية في الفكر الإسلامي ما حدث مصادفة من كسوف الشمس يوم مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال قوم : إن الشمس كسفت لموت إبراهيم . فقال رسول الله ﷺ :

« إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » ، وهكذا يقرر الرسول ﷺ مبدأ علمياً صادقاً إلى الأبد .

كذلك كان الاعتقاد السائد في مصر قبل الفتح الإسلامي أن النيل لا يفيض ماؤه إلَّا إذا أُلقيت فيه فتاة حسناء وتموت فيه غرقاً ، وكتب حينذاك « عمرو بن العاص » إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يخبره بذلك .

فأجابه عمر على الفور بإرسال رسالة يلقيها في النيل .. [من عمر أمير المؤمنين إلى النيل : إن كنت تجري من عندك فلا حاجة لنا بك وإن كنت تجري بفضل الله فاللّهم بارك لنا] .

وبالعقلية العلمية هذه كانت علوم المسلمين التي هي أساس الحضارة في العصر الأول ، ولا شك أن من أهم خصائص العقل الإنساني التي تميز بها :

* أنه ملكة الإدراك ، التي يناط بها الفهم لإدراك الوازع الأخلاقي الحر .
* تأمل الأمر وإدراكه ، واستخراج بواطنه وأسراره واستخلاص أحكامه ونتائجه .
* الرشد : وهو استيفاء لجميع الحقائق ، والعقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم الضمير .

ولا أدلّ على ما سبق ، من قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

رأيت العقل عقلين
فمطبـوع ومسمـــوع
ولا ينفـــع مسمــــوع
إذا لم يك مطبـــوع
كما لا تنفـــع الشمس
وضـــوء العـين ممنوع

فالعقل وازع ، يعقل صاحبه عمّا يأباه له التكليف ، العقل فكر وفهم ، يتقلّب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور ، وهو رشد يميز بين الهداية والضلال .. ورويّة وتدبير .. وبصيرة تنفذ إلى ما وراء الأبصار .. وذكرىٰ تأخذ من الماضي والحاضر ، وتجمع العبرة مما كان لما يكون ، وتحفظ وتعي ..

[عبد المنعم توفيق السيد يوسف]

الوافـــد الحبيـــب

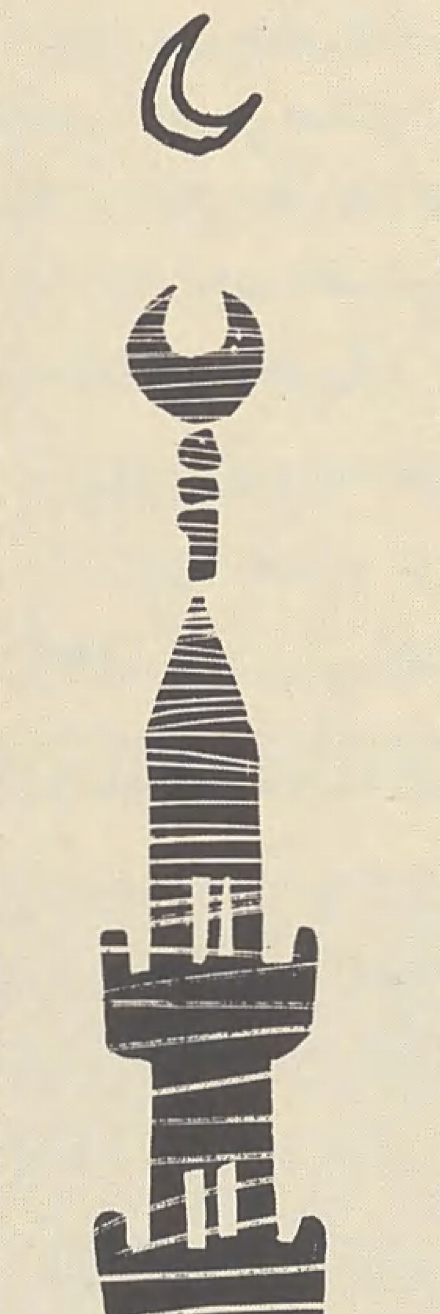

وافَيْتَ يا شَهْرَ المَثوبَةِ والفضائِلِ والبشائِرْ
أَهلًا بِمَقدمك السَّعيدِ .. وَمَرْحباً يا خَيْرَ زائِرْ
يا نَفْحَةَ الإيمانِ يا فَيْضَ العَقيدَةِ والمَنَائِرْ
نَزِنوا إِلَيْكَ مسائلين الله تطهيرَ السَّرائِرْ
وكتابُكَ النُّورُ الذي ما بعدَه نورُ لِسائِرْ
صَدِئَتْ قلوبُ العالَمينَ .. وشمسُهُ تَجْلو البَصائِرْ
طوبىٰ لِمَنْ عرفَ الحَقِيقَةَ واسْتقام علىٰ الشَّعائِرْ
رمضانُ يا سِفْرَ البطولةِ والمكارِمِ والمَآثِرْ
فيكَ انتصارُ المُسْلِمينَ ومنكَ تنداحُ المفاخِرْ
رمضانُ .. أَيْقَظْتَ اللواعِجَ والأسىٰ في قَلبِ شاعِرْ
ذَكَّرْتَني الأقصىٰ السَّليبَ وأُمَّةً رَهْنَ المَخاطِرْ
تجتاحُها الآلامُ والنكباتُ .. يا هولَ المجازِرْ
إنَّ الرّجولةَ لم تَمُتْ مهما استساغ الظلمَ جائِرْ
وعقيدةُ الإسلام تنبضُ بالحياة وبالبشائِرْ
وَبطولَةُ الأفغانِ في ليلِ الشُّعوبِ غَدَتْ منائِرْ

شعـــر : محمد راجح الأبرش

قولوا لهم : لا !

دَعُوا ، فِلسطينَ ، تَرْجُوكُمْ بلا أَمَلِ !
وَوَاجِهُوا بَعْضَكُمْ بَعْضاً بِلا خَجَلِ !
دَمُ ، الطَّوائِفِ ، يَجْرِي في عُرُوقِكُمُ
وَمَا مَصِيرُكُمُو إلاّ إلى الفَشَلِ
وَمِنْ ، بَني الأحْمَرِ ، امْتَحْتُمْ مَبادِئَكُمْ :
الطَّعْنَ في الظَّهْرِ بَعْدَ الضَّمِّ والقُبَلِ
والاسْتِعانَةَ بِالكُفّارِ ضِدَّ أخٍ
في الدِّينِ ، والدَّمِ ، والإيمانِ والأمَلِ
الجُنْدُ يَقْتُلُ بَعْضاً بَعْضُهُمْ بَدَداً
في خَنْدَقٍ واحِدٍ ، والكُلُّ في الوَحَلِ
عَدُوُّهُمْ لَمْ يُضَيِّعْ طَلْقَةً أبَداً
فَهُمْ يَقُومُونَ خَيْراً مِنْهُ بِالعَمَلِ
إذا دَعَوْتَ إلى تَوْحِيدِ أُمَّتِنَا
رَمَوْكَ بِالجَهْلِ ، والتَّخْرِيفِ ، والخَبَلِ
او بِالسَّذاجَةِ في فَهْمِ السِّياسَةِ ، بَلْ
وبِالخِيانَةِ ، والتَّفْرِيطِ في المُثُلِ

هَلْ كَلُّ داعٍ إلى نَبْذِ الخِلافِ بِهِ
مَسٌّ مِنَ الجِنِّ او ضَرْبٌ مِنَ الخَبَلِ ؟!
« ما اجمعت أُمَّتي يوماً ولا اجتمعتْ
على ضَلالٍ » ، ولا ظلم ، ولا خَطَلِ
ماذا يُرادُ بنا ، يا أُمَّتي ؟ أَيَدٌ
خَفِيَّةٌ هِيَ تُزْجِينا إلى الفَشَلِ ؟
هَلْ نَحْنُ أكْباشُ راعٍ مَسَّهُ خَبَلٌ
فَقامَ يَرْمِي بِها مِنْ قِمَّةِ الجَبَلِ ؟
هَلْ نَحْنُ أُمَّةُ أَيْتامٍ بِمادُبَةِ
(شَيْلُوكَ) يَمْزِجُ فيها السُّمَّ بِالعَسَلِ
قُولُوا لَهُمْ : « لا ! » ، إذا نادَوْا لِتَفْرِقَةٍ
قُولُوا لَهُمْ : « لا ! » ، بِلا خَوْفٍ وَلا وَجَلِ
قُولُوا لَهُمْ : « لا ! » ، إذا هَمُّوا بِقَتْلِ أخٍ
أَوْ نَهْبِهِ ، دُونَ أَسْبابٍ وَلا عِلَلِ
لَوْ لَمْ يَقُلْها لأهْلِ الشِّرْكِ سَيِّدُنا
مُحَمَّدٌ ، ما وَرِثْنا أفْضَلَ المِلَلِ

(١) « شيلوك » شخصية شكسبيرية تمثل اليهودي الحاقد القاسي

حسن الشريف [المغرب]

●● كتب الأخ محمد بشير - من الولايات المتحدة الأمريكية تحت هذا العنوان :

[ملاحظات حول مذكرات شيفشنكو]

يقول :

نشرت مجلة « التايم » الأمريكية في عددها الصادر في الحادي عشر من شباط [فبراير] عام ١٩٨٥م قسماً من مذكرات المنشق السوفييتي « اركادي شيفشنكو » Arkady Shevchenko ، الذي اعلن لجوءه إلى امريكا في السادس من ابريل [نيسان] لعام ١٩٧٨م اثناء شغله منصب مساعد الأمين العام للأمم المتحدة .

واركادي يعتبر من اهم الشخصيات الروسية التي غادرت الاتحاد السوفييتي منذ الحرب العالمية الثانية . إذ شغل منصب مساعد الأمين العام للأمم المتحدة لمدة خمس سنوات - كورت فالدهايم حينذاك - وقبل ذلك مستشاراً لوزير الخارجية السوفييتي « اندرو غروميكو » .

والمذكرات وإن كانت لا تفاجىء المثقف المسلم بما تكشف من اسرار وما تحويه من معلومات ؛ إلا انها تصبح ذات قيمة عندما تصدر عن سوفييتي شغل مناصب مهمة في الجهاز الحاكم في روسيا .

واود هنا ان انقل للإخوة قراء « الأمة » بعض ما ورد في هذه المذكرات من امور اظن انها مفيدة .

● قضية حرب حزيران [يونيو] : يقص الكاتب تفاصيل كثيرة عن تطورات الحرب لا تخلو من صفاقة عندما يصف العرب بالغباء المطلق ويصف اليهود ممثَّلين بممثل امريكا في الأمم المتحدة « آرثر غولدبرج » بالذكاء والحنكة والخبث : « آرثر غولدبرج يهودي خبيث يستطيع ان يخدع الشيطان نفسه » ، والذي يهمنا في ذلك ما جاء في نهاية الفصل عن حرب حزيران والذي انقل ترجمته حرفياً :

« والعبرة من حرب الأيام الستة يجب ان تكون واضحة : سواء أكان المتورط سورية أم مصر ، جنوبي اليمن أم العراق أم الفلسطينيين . فإن الكرملين يهدف إلى الشيء نفسه باستمرار وهو أن يثبت ويوسع السيطرة الروسية في الشرق الأوسط ليستخدمها فيما بعد كوسيلة للمنافسة مع الغرب في المنطقة .

● والعالم العربي بالنسبة لرجال السياسة في الحزب الشيوعي الروسي يعتبر ارضاً خصبة لنشر مبادىء العقيدة الماركسية ، اما المخططون العسكريون فإن اهمية العالم العربي عندهم تكمن في موقعه الجغرافي الذي يخدم كمحطة مواصلات وخدمات للسفن الروسية في البحر المتوسط والمحيط الهندي ، وكمركز للقواعد العسكرية الروسية ، وبين الساسة والعساكر يلعب الدبلوماسيون دوراً وسيطاً لتخفيف حدة الأمور عند الحاجة » .

وبينما يبدو الاتحاد السوفييتي جاهزاً لتزويد بعض الدول العربية بالأسلحة وإرسال الخبراء العسكريين من اجل التدريب وإعطاء المساعدات الاقتصادية ، فإنه لم يكن جاهزاً ابداً للمخاطرة بمواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة ، وإذا كان القادة السوفييت طامحين لنشر نفوذهم في العالم العربي . فإنهم لم يكونوا مستعدين ابداً للدفاع عن عملائهم بصورة فعَّالة ، على العكس ، فقد اثبتت الحرب ان الاتحاد السوفييتي مستعد لخذل تلك البلدان في اللحظات الحرجة بعد ان يكون قد ساهم في دفع تلك البلاد باتجاه الأزمة .

● تحوي بعض تفاصيل عن تورط الروس في مقتل الأمين العام للأمم المتحدة « داغ هامر شولد » Dag Hammar Skjold ، الذي قتل في ظروف غامضة في الكونغو عام ١٩٦١م .

ألبانيا :

« الدولة المسلمة التي تحولت إلى الدولة الملحدة الأولى في العالم »

توفي في مطلع شهر إبريل (نيسان) الماضي ، « انور خوجة » الزعيم الشيوعي الألباني . وقد اتاحت وفاته الفرصة ليتذكر العالم ذلك البلد الذي حكمه (٤١) عاماً ، فرض عليه خلالها عزلة فريدة من نوعها في التاريخ ، حتى قيل : إن الإنجاز الوحيد لـ (خوجة) هو قدرته على إثبات ان بإمكان بلد ما ان يعيش منعزلاً في هذا القرن الذي تحول فيه العالم ، بفعل وسائل الاتصال ، إلى قرية صغيرة .

البانيا دولة صغيرة يبلغ طولها (١٢٠) ميلاً وعرضها (٤٠) ميلاً تحيط بها اليونان ويوغسلافيا والبحر الادرياتيكي . ويبلغ عدد سكانها حالياً اقل قليلاً من ثلاثة ملايين نسمة . تعتبر افقر دولة اوروبية ، من حيث دخل الفرد الذي لا يتجاوز الف دولار سنوياً ، وفي الوقت نفسه لديها اكبر معدل نمو سكاني في اوروبا ، ويتوقع ان يصل عدد سكانها مع نهاية هذا القرن اربعة امثال ما هو عليه الآن .

لدى البانيا اكتفاء ذاتي من النفط ، وفائض منه للتصدير ، كما ان لديها بعض الثروات مثل : النيكل ، ورغم تدني دخل الفرد إلّا ان المسؤولين الألبان يفتخرون بان بلادهم لا تعرف التضخم ، ولا تعاني من الديون الخارجية ، ولا يعرف مواطنوها الضرائب .. ولدى سؤالهم عن عدم امتلاك السيارات الخاصة مثلاً يجيبون : ولكن لدينا انظف هواء في العالم ، والمواطنون يركبون الدراجات الخاصة .

ألبانيا في التاريخ

يعتبر الألبان من بقايا « الإليريين Illyrions » الذين قاتلوا الرومان قرنين ونصف قرن من الزمن ؛ وقد ورد ذكرهم في رواية « شكسبير » الكوميدية (الليلة الثانية عشرة) .

وقد ظلت البانيا تحت الحكم البيزنطي حتى القرن الخامس عشر عندما اصبحت ولاية عثمانية ، وفي عام ١٩١١م اصبحت تتمتع بالحكم الذاتي إثر تمرد حصل هناك .

بعد الحرب العالمية الأولى حاولت الدول الكبرى تقسيم البانيا بين جيرانها ، ولكن امريكا رفضت ذلك .

عام ١٩٢٥م تزعم (زوغو) الذي خدم في الجيش

العثماني والنمساوي ، البانيا ، وعام ١٩٢٨م نصب نفسه ملكاً حتى عام ١٩٣٩م . عندما سقط العرش باحتلال إيطاليا لألبانيا ، وعام ١٩٤٥م بدأ الحكم الشيوعي ، مع انتهاء الحرب .

وقد بدات صلة البانيا بالإسلام ، عندما فتح المسلمون صقلية ، واعتنق عدد من الالبانيين الإسلام بفعل الاتصال بين البلدين . ثم فتح الأتراك البانيا فيما فتحوا من البلقان . وجاء علماء مسلمون إلى البانيا ، وتاثر الناس بسلوكهم حتى انتشر الإسلام خلال فترة قصيرة ، ووصلت نسبة المسلمين إلى ٩٢٪ من السكان ، فيما ظل ٨٪ منهم على النصرانية .

ألبانيا والعالم

رغم صغر حجم البانيا جغرافياً وسكانياً ، إلّا ان لها اهمية كبرى لدى المعسكرين الغربي والشرقي . وقد بلغ الاهتمام بها ، إثر وفاة (خوجة) ، ان وضع حلف (ناتو) « سيناريو » للاحداث قد يؤدي إلى حرب عالمية ثالثة : تستغل يوغسلافيا وفاة (خوجة) فتسعى لإعادة البانيا إلى نفوذها ، فتطلب البانيا مساعدة الاتحاد السوفييتي الذي يهب لنجدتها ، فيتدخل حلف (الناتو) ...

سبب الاهتمام الغربي بها يعود إلى تخوف الغرب من إغراء الاتحاد السوفييتي لها فتعود إلى حلف (وارسو) ، فيصل السوفييت إلى موانىء الادرياتيكي . اما سبب الاهتمام السوفييتي فيعود إلى رغبة السوفييت في إعادة البانيا إلى بيت الطاعة .

على صعيد آخر تشعر يوغسلافيا بقلق دائم من احتمال قيام روابط البانية سوفييتية وثيقة ، مما سيؤثر على وضعها هي ، خاصة وان لديها اقلية البانية في مقاطعة (كوسوفو) لا يقل عدد افرادها عن مليون نسمة .

اما إيطاليا فتخشى ان يؤدي توثيق العلاقات السوفييتية الألبانية إلى نصب صواريخ سوفييتية في الأراضي الألبانية ؛ التي لا تبعد اكثر من مسافة قارب عن الكعب الإيطالي .

المعروف ان البانيا كانت على علاقة سيئة مع المعسكرين الشرقي والغربي ، وربما مع العالم اجمع . والجدير بالذكر انها لا تصنف نفسها لا في هذا المعسكر ولا ذاك ، ولا حتى مع معسكر عدم الانحياز ، وإنما تكتفي بوصف (الدولة الملحدة الأولى في العالم) .

تدهورت علاقات البانيا مع المعسكر الغربي ، بعد محاولة الولايات المتحدة وبريطانيا غزوها عام ١٩٤٩م ، وقد اشترك عدد من الألبان في الخارج في تلك المحاولة . وارسل ملك البانيا « احمد زوغو » الذي كان يعيش في القاهرة ، رجاله للمشاركة في الغزو .

وتعزو بعض المصادر فشل المحاولة إلى خيانة (كيم فيلبي) العميل البريطاني المزدوج ، الذي قاد الشق البريطاني من العملية . وقد اخبر (فيلبي) السوفييت الذين سارعوا لدعم (خوجة) .

اما مع الاتحاد السوفييتي فقد ظلت العلاقات ممتازة حتى عام ١٩٦١م . كان « ستالين » المثل الأعلى لـ (خوجة) . وقد وصف (خوجة) ستالين بانه « رجل المبدا والعدل والتواضع ... عطوف يراعي شعور الآخرين » . وقد وقف مع ستالين ضد تيتو ، وذلك عام ١٩٤٨م ، وجمد علاقات بلاده مع يوغسلافيا . ولكنه قطع العلاقات مع موسكو عام ١٩٦١م ، بعد اتهام (خروشوف) بالتحريف والانقلاب على مبادىء ستالين . كما اتهم الاتحاد السوفييت بمحاولة إحداث انقلاب في البانيا . وعام ١٩٦٨م انسحب من حلف وارسو ، إثر غزو تشيكوسلوفاكيا .

هذا وكانت البانيا قد دخلت في بداية حكم (خوجة) ، اي إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، في وحدة نقدية وجمركية مع يوغسلافيا . (خوجة) خشي من التفوق اليوغسلافي ، فالغى تلك الوحدة عام ١٩٤٨م ، وظلت العلاقات سيئة منذ ذلك التاريخ ، خاصة بعد انحياز (خوجة) إلى « ستالين » ضد « تيتو » . كما ان هناك سبباً آخر لسوء العلاقات بين البلدين ، وهو وجود اقلية البانية يزيد عدد افرادها عن مليون نسمة ، وتقطن مقاطعة (كوسوفو) اليوغسلافية . وتتهم البانيا يوغسلافيا دائماً بإساءة معاملة تلك الاقلية ، ويمكن القول : إن البانيا تتخوف باستمرار من يوغسلافيا ، وتقول بانها حاولت بعد الحرب جعل البانيا المقاطعة السادسة منها . وبالمقابل فإن يوغسلافيا تخشى دائماً من إثارة البانيا القلاقل في (كوسوفو) . وقد حدث تمرد بالفعل عام ١٩٨١م في هذه المقاطعة . كذلك فإن يوغسلافيا تتهم البانيا بإساءة معاملة الأقلية السلافية المكدونية في اراضيها وتحظر عليها الاتصال بتراثها الثقافي .

ظلت البانيا تحتفظ بعلاقات طيبة مع الصين حتى عام ١٩٧٨م . وقد قدمت الصين لألبانيا مساعدات تقدر بثمانمائة مليون دولار ، على مدى

سبعة عشر عاماً . ولكنها في عام ١٩٧٨م قطعت علاقاتها مع الصين ، ونعتتها بالأوصاف التي نعتت بها الاتحاد السوفييتي من قبل ، واتهمتها بالتحريف خاصة بعد تقارب الصين مع الولايات المتحدة .

على صعيد العلاقات مع الدول الأخرى فهي لا تقل سوءاً : بين اليونان والبانيا مثلاً حالة حرب لم يُعلن انتهاؤها رسمياً إلّا في العام الماضي ، عندما اعلن (باباندريو) انتهاء المطالب اليونانية في جنوبي البانيا ، واعلنت البانيا من جهتها ان (موسوليني) كان سبب الحرب بين البلدين .

بريطانيا لا تزال تطالب البانيا بالتعويض عن سفينتين حربيتين لغمتهما البانيا في قناة (كورفو) عام ١٩٤٦م . وفي عام ١٩٦٨م حكمت محكمة دولية لصالح بريطانيا ، لكن البانيا رفضت دفع التعويضات التي اقرتها المحكمة . وبالمقابل رفضت بريطانيا إعادة طنين ونصف طن من الذهب لألبانيا كانت قد استولت عليها اثناء الحرب العالمية الثانية .

وكما اشرنا ، فقد شاركت بريطانيا الولايات المتحدة في محاولة الإطاحة بنظام (خوجة) عام ١٩٤٩م . وبررت الدولتان الغزو بعدم التزام الشيوعيين بوعدهم إجراء انتخابات حرّة كشرط لاعتراف الحلفاء باستقلال البانيا ، وقد جرت انتخابات ولكن لم يسمح لغير الشيوعيين الاشتراك فيها .

مع المانيا الغربية ظلت العلاقات سيئة إلى وقت قريب ، إذ كانت البانيا تطالب المانيا بدفع بليوني دولار كتعويضات عن سنوات الحرب ، ولكنها اسقطت مطالبتها مؤخراً مقابل قيام شركات المانية غربية ببناء مصانع تعمل بالتكنولوجيا الحديثة .

في السنوات الأخيرة بدأت البانيا تخرج من عزلتها الديبلوماسية والتجارية ، فقد افتتح (خوجة) خطاً حديدياً إلى يوغسلافيا ، وبرياً إلى اليونان ، وبحرياً إلى إيطاليا ، وسمح لليونانيين بزيارة اقاربهم في البانيا . ودرس إمكانية السماح لشركة المانية باستخراج النيكل ، كما سمح بمحادثات تجارية مع الصين وتركيا وإيطاليا واليونان ويوغسلافيا . وقد كفّت البانيا منذ العام الماضي عن اتهام الصين بالتحريف ، ورأى المراقبون في ذلك دليل تغير ؛ واغلب الظن ان البانيا بحاجة إلى قطع غيار لمشاريعها الصناعية التي بنيت ايام ازدهار العلاقات الصينية الالبانية .

هناك محادثات ايضاً مع إسبانيا لإقامة علاقات ديبلوماسية كاملة ، وكذلك مع النمسا . قال احد الديبلوماسيين : إن هناك محادثات مع الكيان الإسرائيلي كذلك ، كما بدا تحسن العلاقات مع رومانيا وبلغاريا ، ويتوقع ان يصل حجم التبادل مع يوغسلافيا مائة وعشرين مليون دولار .

يلاحظ ان البانيا تسعى لتحسين علاقاتها مع الدول الصغيرة والمتوسطة ومع حلفاء القوى الكبرى ، وليس مع الدول الكبرى نفسها .

وقد لاحظ المراقبون ان الزعيم الألباني الحالي ، « رامز عالية » ، هو الذي قاد الانفتاح المشار إليه ، بمباركة من (خوجة) الذي كان مريضاً في العامين الماضيين .

« خوجة » وسياسة القمع

على الصعيد الداخلي اعتمد (خوجة) الأسلوب الستاليني في القمع والكبت وخنق الحريات ومحاربة الأديان ... وقام بسلسلة حملات تطهير وادار الأمور بقسوة لا تعرف الرحمة . وافتخر عام ١٩٦٧م انه حوّل البانيا إلى الدولة الملحدة الأولى في العالم .

عام ١٩٧٤م طرد وزير دفاعه (باقر بلوكو) وفي العام التالي اعدمه بتهمة التآمر ضد النظام . وعام ١٩٨٠م اعلن ان رئيس وزرائه (محمد شيخو) قد انتحر . ولكن مسؤولاً البانياً اعلن بعد ذلك انه جرت تصفيته . وقد ادّت تلك الحملات إلى اختفاء نصف أعضاء اللجنة المركزية للحزب الذين كانوا موجودين عام ١٩٤٨م .

لقد حظر على مواطنيه السفر إلى الخارج ، وحظر عليهم مشاهدة غير تلفزيون البانيا ، حتى إنه انشا وحدات بوليس خاصة لمراقبة الهوائيات المصنوعة محلياً التي تلتقط البث الخارجي ، حتى كبار المسؤولين في الحزب ، ممن يسمح لهم بمشاهدة التلفزيون الإيطالي ، كانوا يجدون احياناً شاشات اجهزة تلفزيوناتهم سوداء خلال الأخبار .

عام ١٩٧٦م صدر قرار بتغيير الأسماء التي تحمل معاني معادية للتوجهات السياسية والعقيدية والأخلاقية .

محاربة الدين

لقد كان للدين اكبر قدر من القمع في البانيا . ومع ان معظم البلدان الشيوعية ، تسمح - ولو نظرياً - بحرية الاعتقاد الديني وتحظر الدعوة إلى الدين في الوقت نفسه الذي تحث على الدعاية ضده ، إلّا انّ (خوجة) حرّم ممارسة العبادات ولو داخل البيوت .

وقد نص دستور ١٩٧٦م في المادة (٣٧) منه على ان الدولة (لا تعترف باي دين ، وتدعم وتقوم بالدعاية الإلحادية لغرس النظرة المادية للكون في نفوس المواطنين) . وحظرت المادة (٥٥) قيام اي منظمات دينية واي منظمات ذات مضمون مضاد للاشتراكية .

« خوجة » و « عالية » ... السلف والخلف

■■ ولد انور خوجة عام ١٩٠٨م . وكان والده تاجر اقمشة في الثانية والعشرين من عمره ، حصل على منحة للدراسة في فرنسا حيث اعتنق الشيوعية . عمل سكرتيراً في القنصلية الألبانية في بروكسل ، ثم فصل من العمل بسبب ميوله الشيوعية ونشاطاته المعادية للحكومة .

بدأ نشاطه الشيوعي السياسي في البانيا بعد احتلالها من قبل إيطاليا . أسس عام ١٩٤١م الحزب الشيوعي الألباني الذي اصبح اسمه « حزب العمل الألباني » فيما بعد . وترأس أول حكومة انتقالية عام ١٩٤٤م ، وفي العام التالي اصبح رئيس وزراء الجمهورية الشعبية الألبانية ، إثر انتخابات لم يسمح لغير الشيوعيين الاشتراك بها . بسبب ذلك قطعت الولايات المتحدة وبريطانيا العلاقات معه ، وظلتا تحولان دون دخول البانيا هيئة الأمم المتحدة حتى عام ١٩٧٥م .

أما « رامز عالية » ، خليفة (خوجة) فقد عمل في الدعاية الحزبية وتعزيز الستالينية . وكان قد التحق بالحزب عام ١٩٤٣م ، واصبح وزيراً للتعليم عام ١٩٥٥م . بعد إحدى حملات التطهير التي قادها (خوجة) عام ١٩٥٦م اصبح عضواً في المكتب السياسي للحزب ، بدون حق التصويت . عام ١٩٥٨م اصبح رئيساً لمجلس العلاقات الخارجية . عام ١٩٨٢م تسلم رئاسة الجمعية الوطنية . وهذا المنصب يعادل رئاسة الدولة . وقد حلّ بذلك محل الرئيس السابق « خاجي ليشي » الذي ظل في منصبه منذ عام ١٩٥٣م . اشتهر « عالية » بعد عام ١٩٨١م إثر تصفية رئيس الوزراء السابق محمد شيخو ... ■■

بدات الممارسة القمعية ضد الدين في وقت مبكر ، ففي عام ١٩٤٥م تمت مصادرة جميع الأوقاف الدينية مع بدء حملة الإصلاح الزراعي ، وأفرغ التعليم من اي محتوىً روحي ، وأخضعت النشرات والاحتفالات الدينية لرقابة مشددة وعيِّن المسؤولون الدينيون من قبل الدولة ، وتم اعتقال وإعدام عدد كبير من الائمة ؛ وفي عام ١٩٤٧م هوجم الدين رسمياً بحجة انه عائق في سبيل التطور والوحدة الوطنية ، وصدر قانون عام ١٩٥٠م و ١٩٥١م تم بموجبه وضع الهيئات الدينية تحت سيطرة الدولة ، وحظر عليها الاتصال بالعالم الخارجي .

تكثفت الحملات ضد الدين في منتصف الستينيات مع بدء الثورة الثقافية والايديولوجية . وفي شباط (فبراير) عام ١٩٦٧م اعلن (خوجة) ان البانيا اصبحت الدولة الأولى الملحدة في العالم ، وشجَّع الشباب الصغار على إغلاق المساجد والكنائس . وتم تحويل عدد كبير منها إلى مراكز ثقافية او متاحف ... وتدمير عدد آخر . وفي نيسان (إبريل) من العام نفسه أعلنت الحكومة إغلاق الفين ومائة وتسعة وستين مبنى دينياً ، معظمها مساجد . وفي (نوفمبر) تشرين الثاني من العام نفسه ألغي الوضع القانوني للمسلمين والنصارى ، وحظر على الأئمة والرهبان إقامة الصلوات والاحتفالات . وقد جاءت هذه الإجراءات انتهاكاً حتى لدستور ١٩٤٦م الذي يضمن حرية المعتقد والطقوس الدينية .

شهد عام ١٩٦٧م إعدام عدد كبير من الأئمة بتهم الدعاية ضد الدولة او التحريض او بسبب حيازة كتب دينية .

واستمرت الصحافة الألبانية في استنكار الممارسات الدينية ، إلَّا ان الغريب قيام إحدى الصحف ، وهي (صوت الشعب) بنفي وجود اضطهاد ضد المؤمنين ، وزعمت الصحيفة في ٢٦ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م ان الدين لم يقاوم بالقوانين والقيود والقوة ولكن بالحجة .

رغم ذلك القمع كله لا تزال البانيا تتوجس خيفة من الدين . ففي عام ١٩٧٩م صرح (خوجة) بأنَّ إزالة المؤسسات الدينية لم يقض على الدين وإنما اضعفه فقط . واعترف بان تاثير الدين لا يزول بسهولة .

تشير بعض التقارير إلى ان الإسلام لا يزال هو الدين الذي يقاوم ؛ هناك ممارسات دينية لا تزال تتم بشكل او بآخر ، في المناطق الريفية خاصة .. هناك نساء محتشمات وشباب يصومون رمضان ، حتى المدارس التي يعوّل عليها الحزب في نشر الإلحاد ، لا تبدو فعَّالة تماماً ؛ وتقول التقارير : إن الطلاب يعودون إلى الأسر لتعلم الدين بعد التخرج ، وحتى بعد تلقيهم دروساً بالإلحاد والدعاية ضد الدين . لذلك دعا النظام عام ١٩٨٢م إلى تكثيف جديد للدعاية ضد الدين . وشن النظام حملة عنيفة ضد المدرسين الذين اخفقوا في القضاء على « الميكروب » الديني بين الطلاب ، وعلى الأسر التي ترسخ المعتقدات الدينية .

أوكرانيا السوفييتية
تطالب بحقوقها الدينية

■■ نشرت صحيفة « ذ صنداي تايمز » اللندنية في عددها رقم (٨٣٧٣) تقريراً عن حركة مقاومة ذات توجهات دينية في مقاطعة «أوكرانيا» السوفييتية ضد القمع والإرهاب الذي تمارسه السلطات السوفييتية وبوليسها السري (كي . جي . بي) على سكان المقاطعة .

وبناء على معلومات وردت في منشور سري ، يتداوله الأوكرانيون ، تشير الصحيفة إلى تشكيل لجنة (ايلول [سبتمبر] ١٩٨٢م) للمبادرة بالمطالبة بوضع قانون يسمح للكنيسة الكاثوليكية الأوكرانية بحرية ممارسة شعائرها الدينية .. ونوَّهت الصحيفة إلى ان هذه الكنيسة حُظر نشاطها قانوناً منذ سنة ١٩٤٦م حين فُرض عليها الاندماج في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية ، إلَّا ان اتباعها البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة ـ يشكلون اكبر اقلية محظورة في الاتحاد السوفييتي ـ ظلوا يمارسون طقوسهم الدينية طيلة هذه السنوات من خلال كيانات سرية ..

وإلى جانب هذه الحركة الدينية توجد حركة اخرى تطالب بحقوق الإنسان وقد حكم على عشرين من افرادها بالسجن بينما قتل اثنان من زعمائها في العام الماضي تحت وطأة الأعمال الشاقة .. وقد اطلق على عام ١٩٨٤م عام « ضحايا » أوكرانيا .

واوردت الصحيفة ما جاء بالمنشور من إشارة إلى أن أعداداً كبيرة من الشباب الأوكراني الذي يعمل بسلك الجندية ويقاتل على ارض أفغانستان يلقون حتفهم ، الأمر الذي دفع الشباب للتمرد ورفض التجنيد الإجباري .. وقد قوبل هذا التمرد بحملات واسعة من الاعتقال والإرسال إلى معسكرات الأعمال الشاقة لفترات تتراوح بين ٣ ـ ٥ سنوات .

وتؤكد البيانات والإحصاءات التي جاءت بالمنشور تحت عنوان (مكاسب لموسكو وخسائر لأوكرانيا) أن عمليات الجيش السوفييتي في افغانستان أصبحت مثاراً للغضب والكراهية في هذه المقاطعة التي يبلغ عدد سكانها (٤٥) مليون نسمة ينحدرون من أصل غير روسي ..

وفي ختام تقريرها تقول الصحيفة اللندنية : إن هذه الإحصاءات الواردة في المنشور تؤكد ما سبق ان جاء في تقارير غير رسمية من ان معظم افراد الجيش السوفييتي في افغانستان هم من ابناء المقاطعات مثل أوكرانيا والبلقان . ■■

متهمون بالعمل للإسلام !

■■ في كثير من البلاد يُعتبر العمل للإسلام جريمة يعاقب عليها القانون .. في تركيا ، مثلاً ، اصدرت محكمة امن دولة ـ في شعبان المنصرم ـ حكمها على « أمينة سنليكو جلو » (٣٥) سنة بالسجن لمدة ست سنوات وثلاثة اشهر بتهمة نشرها لكتاب يدعو إلى الالتزام الكامل بأحكام الشريعة الإسلامية مع التوصية برجم الزانية .. وقد اعتبر الكتاب دعاية مضادة للمنهج العلماني الذي بدأ تنفيذه « كمال أتاتورك » ..

وفي إندونيسيا ، يَمْثُل احد المدرسين أمام محكمة « سورابايا » شرقي جاوا بتهمة تدريس المبادىء الأساسية للإسلام لطلبة المرحلة الثانوية دون الحصول على تصريح مسبق من السلطات .. كما اتهم ايضاً بتشكيل مجموعة من الأتباع بهدف إقامة دولة إسلامية في إندونيسيا .. وهكذا الدعاة .. ■■

قراءة ثقافية

ندوة الأدب الإسلامي بالرياض

■■ انعقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ندوة « الأدب الإسلامي » في الفترة من ١٦ إلى ١٩ رجب ١٤٠٥هـ ، بُحث فيها ثلاثة موضوعات رئيسة ، هي :

* نظرية الأدب الإسلامي .
* الملامح السائدة في الأدب الإسلامي ، وشخصياته البارزة عبر العصور القديمة والحديثة .
* المنهج الإسلامي للفنون الأدبية الحديثة ، وأدب الأطفال .

وتاتي هذه الندوة في إطار اهتمام المسلمين عامة في العصر الحديث بالاتجاه الإسلامي في الأدب باشكاله المختلفة بعد أن عانوا كثيراً من سيطرة الآداب الغريبة عنهم على حياتهم ؛ وكانت هذه الآداب مدخلاً رئيساً للغزو الفكري والثقافي في حياتهم .. وقد انعقدت من قبل الندوة العالمية للأدب الإسلامي في « لكهنؤ » بالهند (١٩٨١م) وبعدها كانت ندوة حوارية عن الأدب الإسلامي بالمدينة المنورة بالسعودية (١٩٨٢م) .. كما أعلن مؤخراً بالهند عن قيام رابطة للأدب الإسلامي يرأسها سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي .

وقد أصدرت الندوة عدة توصيات هامة تناولت الموضوعات التي دارت حولها المناقشات ، وتوجهت في إحدى توصياتها إلى الأدباء الإسلاميين ودعتهم إلى أن يعودوا إلى الينابيع الإسلامية الثَّرة في إبداعاتهم ، وإلى ضرورة تضافر العقل والقلب في العمل الأدبي الإسلامي ... كما أوصت بالأمانة العلمية في التاريخ للآداب الإسلامية ..

وفي مجال الفنون التمثيلية أوصت الندوة بأن يستفيد المسرح الإسلامي من الأشكال الفنية التقليدية الأساسية للبناء المسرحي بصفتها تراثاً إنسانياً عاماً ، مع قيام الأديب المسلم بتنميتها وتطويرها بما يتفق وطبيعة المنهج الإسلامي ..

اما في مجال أدب الأطفال ، فقد طالبت بضرورة توفر المضمون التوجيهي لبرامج الاطفال ، وأن تكتب هذه البرامج بلغة عربية سليمة في البلاد العربية ، كما حذرت الندوة من خطر مشاهدة القسوة والعنف على سلوك ونفسيات الأطفال ، ومن الأثر السلبي للقصص الخرافية على طاقات الأطفال كيلا تبدد وتدفع بالطفل إلى التهرب من مواجهة الواقع ... وفي التوصيات العامة دعت الندوة إلى نقد وتحليل البحوث المتعلقة بالتراث الإسلامي ، والعمل على نشر الأدب الإسلامي والعناية به من خلال المتابعة النقدية والترجمة .. وان تقوم المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث بإنجاز فهارس رصد وعرض الأدب الإسلامي (ببليوجرافيا) وعلى جامعة الإمام محمد بن سعود متابعة تنفيذ توصيات هذه الندوة . ■■

متابعات ثقافية

■ اصدر المركز العالمي للتعليم الإسلامي بجامعة ام القرى بمكة المكرمة مؤخراً كتاب (معجم فقه السلف) في اربعة اجزاء ، وقد اشتمل على تبويب لموضوعات الأحكام الفقهية ، رتب على حروف المعجم واعده الشيخ محمد المنتصر الكتاني الأستاذ بالجامعة .

■ تنتهي قريباً المرحلة الأولى لمشروع ترميم الآثار الإسلامية التي ترجع إلى العصرين المملوكي والعثماني الموجودة في مدينة « رشيد » بمصر ، وتعد هذه المدينة اكبر مركز تجمع للآثار الإسلامية في هذين العصرين .

■ فاز الدكتور سهيل انور (تركيا) بجائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في مجال تحقيق التراث ، وهي عبارة عن ثلاثة آلاف دينار كويتي وميدالية ذهبية وشهادة تقديرية .. وتمنح الجائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي تدعيماً للبحوث بمختلف فروعها ، وتشجيعاً للباحثين في الكويت والعالم الإسلامي على البحث في مجال إنجازات الحضارة العربية الإسلامية في حقل الطب وفروعه ، ومجال التطبيق لذخائر التراث على ضوء التمحيص التجريبي ، ووفق منهاج العصر الحاضر .. ولم يفز احد في مجال الممارسة التطبيقية بالجائزة .

■ اقامت جامعة الدول العربية بالتنسيق مع مكتبة الكونجرس الأمريكي مؤخراً في واشنطن ندوة ثقافية عن العلوم العربية ، حضرها مائة من المتخصصين والأكاديميين ، وبحثت الندوة : « دور العلوم العربية في الحضارة العالمية » ، واشار الباحثون إلى أن الحضارة العربية قد قامت بالوصل بين الحضارة الإغريقية وحضارة القرون الوسطى ، مع إضافتها وتطويرها وتجديدها للكثير من العلوم .

■ عقدت منظمة المدن العربية مؤتمراً عن (التراث الحضاري المعماري الإسلامي في المدن) في مدينة استانبول بتركيا ، شاركت فيه (٤٤) مدينة عربية ، وشارك فيه اتحاد مدن مرمرة الذي اعدّ للمؤتمر إعداداً علمياً وإدارياً ووجه الدعوات للجهات المعنيّة ؛ درس المشاركون سمات المدينة الإسلامية ومكوناتها التي يجب الحفاظ عليها وتاثير التراث المعماري الحضاري الإسلامي على البنية الكلية للمدينة الإسلامية ، كما تعرفوا على المشاكل التي تواجه بعض المدن الإسلامية وتراثها الثقافي محاولةً لإيجاد الحلول وتطبيق القوانين التي تحكم ذلك .

في عالم الاقتصاد

المؤتمر الرابع للمصارف الإسلامية

■■ عُقد بمدينة الدوحة في الفترة من ٢٥ ـ ٢٦ رجب ١٤٠٥هـ (١٥ ـ ١٦ نيسان [إبريل] ١٩٨٥م) ، المؤتمر الرابع لمديري الاستثمار في المصارف الإسلامية ، بحضور ممثلي ثمانية عشر بنكاً إسلامياً .. وقد بحثت عدة موضوعات تشغل بال المستثمرين كثيراً .. وتركز البحث بصورة خاصة حول استخدام الأموال واستثمارها بشكل ينميها ويحافظ عليها دون الارتكاز إلى النظرية التقليدية التي تقوم على اساس الفائدة (الربا) .. وكان الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المحمود رئيس مجلس إدارة مصرف قطر الإسلامي قد اشار في كلمته في الجلسة الافتتاحية إلى أن (المال في الإسلام وسيلة وليس غاية .. والإنسان مطالب باستغلال المال في الأغراض التي شرعها الله .. ونهى عن حبس المال وتكديسه) .. وأوضح أن دور المصرف الإسلامي يتمثل في [أن يُوجد للأموال التي أودعت لديه منافذ مامونة للاستثمار فلا يدخل إلَّا في مشاريع مجدية ، ويطبق من الضوابط والقيود ما يضمن حماية المال المستثمَر وعوائده] ..

ودعا المصارف الإسلامية إلى التكتل والتعاون [حتى تتمكن من العمل في غابة من المصالح والمعاملات الأجنبية التي لا تخلو من الربا] .

وطالب المؤتمرُ في توصياته « البنك الإسلامي للتنمية بجدة » أن يزيد ودائعه لدى المصارف الإسلامية الأخرى للمساهمة في عمليات التمويل والاستثمار ممَّا يساعدها على النهوض بالأعباء الملقاة على عاتقها .. كما أوصى بتكليف مصرف قطر الإسلامي بمتابعة ما يتم بين المصارف الإسلامية في دول الخليج من ترتيبات حول الاتفاق المقترح عقده بينها لتوفير السيولة في حالة السحب المفاجىء للاسترشاد به ..

■ الشيخ عبد الرحمن ابن عبدالله المحمود : المال وسيلة وليس غاية .. ■

وأكَّد المؤتمر على ضرورة قيام المصارف الإسلامية بموافاة البنك الإسلامي للتنمية بجدة بقائمة تضم المستخدم لديهم من عبارات ومصطلحات ، وإرسال النماذج والعقود المستعملة في المصارف إلى البنك الإسلامي للتنمية تمهيداً لتعميمها على المصارف المشتركة بغية الاستفادة منها .. كما أوصى بموافاة بنك التنمية بالمعلومات الحديثة المتعلقة بالمصارف الإسلامية ليتم جمعها في دليل واحد .

وجدير بالذكر أن مؤتمر مديري الاستثمار في المصارف الإسلامية يُعقد كل ستة اشهر ، وينظمه البنك الإسلامي للتنمية بجدة بهدف تنمية وتطوير التعاون بين المصارف الإسلامية .. ■■

(٣٢٠) بليون دولار ..

أموال عربية متورطة في أزمة الديون العالمية

■■ تُقدر الأموال العربية المستثمرة في بنوك أمريكية متورطة في أزمة الديون الدولية بـ(٣٢٠) بليون دولار أمريكي .. تشتمل على الاستثمارات المصرفية وودائع الأفراد العرب في تلك المصارف . ويغطي جزء من تلك الودائع ضمانات الخزانة العامة للولايات المتحدة .. بينما يقع الجزء الأكبر تحت ضمانة البنوك الأمريكية .

ونبَّه السيد فيصل الزامل مساعد المدير العام للتخطيط والمتابعة في بيت التمويل الكويتي إلى أن ذلك ـ إضافة إلى التراجع الملحوظ لأسعار الدولار ـ سيضطر البنوك الخليجية لإعادة النظر في سياسة التوظيف الدولي لأموالها باللجوء إلى مصادر ربحية أقل من المقدم من تلك البنوك الأمريكية مع هامش مخاطرة اقل . واضاف : إن هذا يستتبع بحث أولويات النشاط التمويلي الذي يجب ان تتضافر إزاءه جهود القطاع المصرفي مع الحكومات الخليجية لترتيب تلك الأولويات وفق توجهات الإنفاق والسياسة النقدية في الخليج . ■■

أسباب اقتصادية

■■ يفسر بعض المراقبين إعلان دولة الكيان الصهيوني عن تأجيل مشروعها المزعوم لشق قناة تربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميِّت ، بأنَّه يعود لأسباب اقتصادية ليس من بينها تكاليف الإنشاء التي تقدَّر بمليار وخمسمائة مليون دولار .. وإنما تعود لتخوف الأوساط الصناعية الإسرائيلية من تأثيرات سلبية للقناة على استثمار البوتاس على الساحل الجنوبي للبحر الميِّت .. ■■

التعبير بالصورة

البابا – بيريز ..

[أيهما في خدمة الآخر ؟!]

أخبار قصيرة

●● تقول مصادر المجاهدين الأفغان إن قوات كوبية تقاتل حالياً إلى جانب قوات الغزو السوفييتي في أفغانستان ، وإنها تُستخدم في عمليات تدمير القرى الأفغانية التي أدَّت مؤخراً إلى مصرع مئات المدنيين .. ففي أواخر نيسان (أبريل) الماضي قام ما لا يقل عن (١٢٠٠) مظلي كوبي بعملية إنزال واسعة النطاق ضد (١٥) قرية أفغانية ، فحرقوا العديد من القرى ودمَّروا المزارع ومخازن الحبوب وذلك في محاولة لقطع الإمدادات الغذائية عن المجاهدين ..

●● من المقرر أن تبدأ أول محطة تلفاز إسلامية في أمريكا إرسالها في أواخر أيار (مايو) الحالي ليغطي كل الولايات الأمريكية ويصل إلى كندا .. استغرق الإعداد حوالي عشر سنوات ، وتقدر تكاليف السنة الأولى للإرسال بثلاثة ملايين دولار .. وستقتصر البرامج على الندوات الإسلامية والأفلام العربية والعالمية والرياضية وأخبار العالم الإسلامي ..

●● بدأت دولة الكيان الصهيوني في إنفاق (١٢٠) مليون دولار إضافية على تحصين حدودها مع لبنان في إطار ما يسمى : المرحلة الأخيرة من الانسحاب العسكري .. يبدأ التحصين بحفر « خندق» عمقه ثلاثة أمتار وعرضه مثل ذلك وعلى امتداد ما يزيد على (٥٠) كيلو متراً .. حيث إن الأسلاك الشائكة والألغام والإلكترونيات والدوريات السيارة المستمرة ليلاً ونهاراً وغير ذلك لم يضمن أمن الجليل الأعلى ، و « الخندق » ربما يحول دون اندفاع السيارات والشاحنات المفخخة إلى الأراضي المحتلة ..

●● ذكرت مجلة « جينز » العسكرية البريطانية أن الاتحاد السوفييتي نشر صواريخ متوسطة المدى من طراز « إس ، إس ٢٠ » غربي أفغانستان موجهة نحو أهداف عسكرية أمريكية في جزيرة « دييغو غارسيا » بالمحيط الهندي .. غير أن السوفييت سارعوا فنفوا ذلك ..

●● أصدر وزير الأوقاف المصري قراراً بإنشاء المركز الدولي للسيرة والسنة النبوية .. يتبع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .. ليتولى تجميع وتصنيف المخطوطات الإسلامية لكل فرع من فروع السنة والسيرة وتنقية كتب الأحاديث والتفسير والفقه والتصوف .. كما يضم مكتبتين للمطبوعات وكتب التراث ..

متابعـــــات

القضايا الإسلامية في الإعـــلام العـربي

●● أصبح الحديث عن تشويه الإعلام الغربي للأخبار المتعلقة بالعالم الإسلامي امرأ معاداً ، كما أصبح الحديث عن عدم التوازن في التدفق الإخباري بين العالم المتقدم والعالم النامي امرأ معاداً أيضاً .

العالم المتقدم يمتلك وسائل بث عملاقة تمكنه من الحذف والإضافة ، والتشويه والتزييف ، والتعتيم وتسليط الأضواء ، كما يريد وبالطريقة التي تخدم مصالحه . هذه الحقيقة تكمن وراء الدعوة إلى نظام إعلامي عالمي جديد ، وهي الدعوة التي نادت بها دول العالم الثالث في السنوات الأخيرة .

ليس هذا موضوعنا ، ولكنه مقدمه لموضوع متعلق به ، وهو قيام وسائل الإعلام الإسلامي بالممارسات نفسها التي ذكرناها عن الإعلام الغربي ؛ تقوم بالممارسات نفسها التي يدعو الجميع إلى التخلص منها .

إنها تتلاعب بالأخبار والأحداث والحقائق ، حذفاً وإضافة وتشويهاً وتزييفاً ، بما يتلاءم مع مصلحة القائمين عليها واتجاهاتهم ، مع أن هذه الممارسات ستضر بها في النهاية ، لأن الجمهور سيفقد ثقته بها . وهي بذلك تخالف مبدأ هاماً يقوم عليه الإعلام الناجح ، وهو أن الحقيقة أو الخبر لا يُمَسّ ، ولكن التعليق مسموح أو حر ؛ والتعليق بطبيعة الحال يفقد تاثيره إذا ناقض الحقائق .

وفيما يتعلق ببعض القضايا الإسلامية بالذات فقد أخذت بعض وسائل الإعلام ، وتحديداً بعض الصحف التي تصدر في بلاد عربية وإسلامية على عاتقها ، أمر تشويه تلك القضايا .

هناك حملة منظمة تتولى كبرها بعض الصحف العربية ضد القضايا الإسلامية .. إن القضية الواحدة تتناولها تلك الصحف في صفحاتها الأولى والداخلية والأخيرة ، وتعمل فيها تشويهاً ممزوجاً بالسخرية والغمز والطعن والتشكيك ، وكأنها تواصت بذلك !!

لقد ساء تلك الصحف أن يعود الناس إلى إسلامهم ، ورأت في ذلك تهديداً للاتجاهات التي تسيّرها ، فكانت الحملة المضادة التي اشرنا إليها وما من يوم تصدر فيه تلك الصحف إ' وتجد فيها حملة شعواء على الاتجاهات والتيارات الإسلامية ، والمؤسسات الإسلامية ، والقيم الإسلامية ، وبالصفاقة كلها تعبر تلك الصحف في النهاية عن احترامها للإسلام وتؤكد التزامها به ، وانها هي التي تفهمه على حقيقته ، بل وأنها تريد حمايته من ادعيائه ، أي : من دعاته ..

والغريب ، وربما ليس غريباً ، انها لا تهاجم اي تيارات او افكار أخرى بل إنها تقوم بتجميل وجه كل فكر غير إسلامي ، وتلمع وتبيّض صفحة كل تيار غير إسلامي . وحبذا لو تطبق تلك الصحف على نفسها ما تطالب الإعلام العالمي بتطبيقه من مبادىء مهنية تحترم الحقيقة .

ويتم ذلك في ظل خلل إعلامي لصالح التيارات العلمانية (غير الدينية) واليسارية التي تمتلك الصحف ، بينما لا تمتلك الاتجاهات الإسلامية أية صحيفة يومية ، وإنما مجلات اسبوعية أو شهرية يفترض فيها من الناحية الرسمية ألَّا يكون لها توجهات سياسية .

هكذا نجد أن القضية الإسلامية تعاني على الصعيد الإعلامي في العالم الإسلامي نفسه ، ما يعاني منه العالم النامي والعالم الإسلامي ، على الصعيد الإعلامي العالمي ... ●●

Arabia

الأبعاد المستقبلية للمقاومة الإسلاميـــة اللبنانيـة

■■ في لبنان برزت الحقائق الجديدة . وحتى نكون اكثر دقة ، فإن المقاومة الإسلامية اللبنانية هي التي قلبت الأمور ؛ فما كان متوقعاً أن يكون هيمنة إسرائيلية على لبنان ، انتهى إلى ازمة تهدد الوجود الإسرائيلي ذاته ، ولأول مرة منذ عام ١٩٤٨م .

كيف كانت ردّة فعل العالم الإسلامي للحقائق الجديدة ؟ يمكن أن نلاحظ اتجاهين : اتجاهاً يصر على قتال إسرائيل حتى النصر النهائي وإزالتها من الوجود ، ويعتمد هذا الاتجاه على أن استمرار المقاومة سيحرك المسلمين النائمين ويوقظ وعيهم ، مما سيؤدي - في النهاية - لا إلى إزالة الكيان الإسرائيلي فحسب ، بل والقضاء على كل القوى غير الإسلامية التي فرضت في ظل انعدام توازن القوى ، وسيكون ذلك عملية تحرير كاملة وتجديد كامل للأمة .

الاتجاه الآخر ليس متفائلاً إلى هذا الحد ، بعد عقود من الهزائم يريد هذا الاتجاه أن يقتنص الفرصة النادرة ويعقد صفقة . وفي رأي هذا الاتجاه أن الفرصة قد لا تتكرر غداً ، « لذلك دعونا نحصل على ما يمكن الحصول عليه » .

حتى الآن تسير الأمور كما يريد الاتجاه الأول ، فحتى وقت قريب كان الحديث عن النهوض الإسلامي واستعادة كرامة الأمة وحقوقها ، حديثاً نظرياً ، اقرب إلى الأدب والإنشاء ، اليوم أخذ الحديث طابع التجسيد العملي . القوة التي لم يحسب احد حسابها من قبل استيقظت .. إنها المقاومة الإسلامية اللبنانية ، التي حققت ما عجزت عن تحقيقه الحكومات والأنظمة ، رغم الفارق ما بين ترسانات هذه وتلك .

هذه القوة الجديدة وعد وتهديد في آن . وعد بتجديد حياة الأمة ، وتهديد للوضع القائم ، على النحو الآتي : إذا كانت المقاومة التي لا تستند إلى أي نظام قد هزمت إسرائيل ، فمعنى ذلك أن هناك أوضاعاً معينة محيطة بإسرائيل ، هي التي تحمي وجودها . من هنا وجدنا أن كل من يستفيد من الوضع الراهن الذي يحيط بإسرائيل ويحمي وجودها ، والذي أصبح مهدداً مع استمرار

THE ECONOMIST

الشيوعية وسلاح التعليم

■■ تعتمد الأنظمة الشيوعية ، إلى درجة كبيرة ، على التعليم والدعاية والتوجيه العقيدي من أجل نشر مبادئها ، جنباً إلى جنب ، مع محاربة العقائد والأديان التي تقف في طريقها . لذلك فهي لا تهتم لما تواجهه في البداية من متاعب ، لأنها تدرك أنها على المدى البعيد ، ومن خلال سيطرتها على مؤسسات التعليم بالذات ، تستطيع إنشاء اجيال من الشيوعيين ، فيما تبدأ الأجيال القديمة بالاندثار .

ولا تجد بعض تلك الأنظمة غضاضة من مهادنة الأجيال القديمة ، أو تملق معتقداتها احياناً ولبعض الوقت من أجل تسهيل مهمتها على المدى البعيد ، وفي هذه الأثناء قد تُظهِر احترامها للدين وتنفي عن نفسها الكفر .

مثال ذلك النظام الأفغاني الماركسي ، الذي يدعي دائماً احترامه للإسلام ولرجال القبائل الأفغانية . ومن أجل كسب ودّ الشعب الأفغاني فقد أقام النظام الحاكم مؤسسة قبلية أشبه بالبرلمان ، تمثل فيها القبائل ، كما انه أعاد العلم الأفغاني إلى تصميمه الأول ، بعد أن كان أول رئيس شيوعي « نور طره قي » قد حوَّله إلى اللون الأحمر .

وقد نصّ الدستور الذي أعلنه النظام الأفغاني على أن الحكومة « سوف تحترم الإسلام وتلتزم به وتحميه » . وقال « كارمل » لدى إعلان الدستور الجديد : إن « الله قد حمى أفغانستان بمنحها الثورة ، وإن النظام سوف يعتني بالمساجد وأئمتها » .

في هذه الأثناء يشن النظام حملة توجيه عقيدية في صفوف الشباب والصغار ، على اعتبار أن لا أمل في الكبار ومتوسطي العمر . التعليم اليوم إجباري ومجاني في المدن . ومحور العملية التعليمية في المدارس العقيدة الشيوعية . في الريف يبدو صعباً حتى الآن افتتاح المدارس أو التحكم في ما يدور في صفوفها . في الوقت نفسه يسعى النظام للتأثير على الكبار من خلال توجيه الصغار .

كذلك فقد تم توسيع نطاق التعليم العالي . ويرسل اليوم حوالي عشرة آلاف طالب سنوياً إلى الاتحاد السوفييتي للتدرّب في مختلف الميادين . وتقدم الجامعات السوفييتية ما لا يقل عن (١٥٠٠) منحة دراسية سنوياً . والأخطر من ذلك إرسال أطفال صغار لمدد طويلة للدراسة في الاتحاد السوفييتي . ففي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤م أرسل (٨٧٠) تلميذاً بين سن السابعة والتاسعة إلى الاتحاد السوفييتي من أجل الدراسة لمدة عشر سنوات .

هذه السياسات توحي بأن السوفييت ينظرون إلى أفغانستان على أنها استثمار على المدى البعيد ، ويقارن بعض المراقبين بين الحرب الأفغانية اليوم والاضطرابات التي شهدتها الجمهوريات الإسلامية الخاضعة الآن للحكم السوفييتي ، بعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م ، وقد استخدم السوفييت يومها سلاح التعليم إلى جانب سلاح القتال ، إلى أن سيطروا في النهاية .

في منطقة أخرى من العالم - هي إثيوبيا - تجري عملية مشابهة . فقد أعلن دستور جديد ، ضمنت فيه « حرية العبادة » ، مع التركيز على مهاجمة الأديان « التي تعوق مسيرة الثورة » والتي تنافس الثورة على « ولاء الجماهير » ، وقد حذَّرت ديباجة الدستور من « الإسلام المرتبط بالبترو دولار » ، والذي « يكتسب مؤمنين جدداً يومياً » . وقد اقترحت الديباجة « فصل الجماهير عن الدين من خلال حملة مكثفة يتم فيها تحطيم قبضة الدين » . وركَّزت على ضرورة إبعاد الشباب الصغار عن تأثير الدين من خلال الخدمة العسكرية الطويلة . ■■

المقاومة ، قد تحرك للعمل ، على نغمات التحذير من « الأصولية الإسلامية » التي تهدد أصدقاء الغرب إذا فشلت مساعي حل القضية الفلسطينية .

وتحرك الأصدقاء على هذا الأساس من ناحية ، وبيدهم مبرر إنقاذ الفلسطينيين الذي يختنقون في ظل الاحتلال - من ناحية اخرى - مطالبين العالم أن يدعم مطالبهم ، ولكنهم غفلوا عن حقيقة أن المقاومة الإسلامية اللبنانية هي التي أجبرت إسرائيل على الانسحاب ، وليس العالم ولا أية قوة اخرى ، ومن المؤكد أن تنتقل « عدوى » تلك المقاومة إلى الأراضي المحتلة الأخرى . وقد بدات الصحف الإسرائيلية تتحدث عن ذلك بالفعل ، وتطالب بالاستعداد لتوقع « ما لا يتوقع » . ■■ [العدد ٤٤]

الاتحاد

الطوفان الإعلامي

■■ تتزايد سيطرة التلفزيون على حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والحضارية والأخلاقية وحتى الصحفية ، وسوف تزداد هذه السيطرة أكثر واكثر بعد ان مكَّنت تكنولوجيا الاقمار الصناعية الإنسان من مشاهدة المزيد من المحطات العالمية . في غضون السنوات الخمس القادمة سيتمكن الإنسان وهو في منزله من مشاهدة ما لا يقل عن (٣٠٠) محطة تلفزيونية ، وبتكاليف لا تتعدى بضع مئات من الدولارات .

فهل إعلامنا واجهزة تلفزيوناتنا في حالة تسمح لها بمواجهة هذا الفيضان الإعلامي ؟ إن إعلامنا الحالي في حالة من الهلهلة لا تمكنه من مواجهة هذا الطوفان ومن مسايرته سواء في الكم او الكيف . وهذه الحالة ليست حقاً مفروضاً ، ولكنها نتيجة لكون إعلامنا إقليمي النزعة . كل دولة عربية تعتقد انها سوف تقارع هذا الطوفان وحدها وبواسطة إعلامها المحلي ومن خلال منظورها الإقليمي الذي يعبر عنه إعلامها . بهذا الاسلوب لن يتمكن الإعلام العربي من مقارعة احد ولا حتى من مقارعة نفسه .

وحتى لا ننزلق إلى عالم السلبيات فإنَّ علينا البدء بالإعداد النفسي للمجتمع العربي لمواجهة هذا الطوفان الإعلامي ، حتى لا تكون ردود فعله آلية . كما يجب إنشاء مؤسسة مستقلة عن الإعلام العربي الإقليمي ، تكون تابعة لجامعة الدول العربية مثلاً ، لاغراض استعمال القمر الصناعي العربي ، وهذه المؤسسة تضطلع بمهمة بث البرامج التلفزيونية على المستويين العربي والعالمي . ويمكن ان تشكل مؤسسة الإنتاج البرامجي المشترك لدول الخليج العربي نواة لها .

وقبل ذلك يجب رسم استراتيجية إعلامية عربية يشترك في صياغتها إعلاميون وعلماء وخبراء من كل الميادين ، ويستحسن أن تضطلع الجامعات العربية بهذه المسؤولية بعيداً عن التداخلات الإقليمية العربية .

ويجب ان يركز البث التلفزيوني العربي على مخاطبة الشباب وجذبه لمتابعة البرامج عن طريق إشعال خياله نحو المستقبل بالأفلام العلمية والقصص المستقبلية وعن طريق إدخال القيم والمثل بشكل غير مباشر ، وعن طريق توسيع مداركه عن مستقبل العالم وتشجيعه على التفاعل معه ، وعن طريق مخاطبة همومه ، وبذلك يكسب الإعلام ثقة الشباب .

خلاصة القول : إن الإعلام يجب ان يتجاوز دور الترفيه والتسلية لأنه اصبح جزءاً لا يتجزأ من الحياة تماماً كالغذاء والشراب والملبس . ■■

حل مسابقة العدد ٥٥

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ الأكمه : المولود أعمى .

﴿ ... وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٤٨)

○ مواخر جمع ماخرة ، وهي التي تشق الماء بصدرها .

﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل : ١٤)

لُجِّي : منسوب إلى اللج ، وهو معظم البحر .

﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ... ﴾ (النور : ٤٠)

○ فخَّار : طين قد مسَّته نار .

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن : ١٤)

○ النَّجدين : طريقا الخير والشر .

﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد : ١٠)

٢ ـ الشهيد الذي حرَّضته أمُّه على القتال والشهادة هو : سعد بن معاذ رضي الله عنه .

٣ ـ الصحابي الجليل : أبو عامر الأشعري رضي الله عنه .

٤ ـ الشاعر : مأمون فريز جرَّار .

٥ ـ [المؤلف] : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم .

[الكتاب] : فتوح مصر وأخبارها .

٦ ـ الدولة التي استخدمت حق النقض (الفيتو) ضد قبول موريتانيا في الأمم المتحدة عام (١٩٦٠م) هي : الاتحاد السوفييتي .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٥

الفائز الأول :

● عقيلة امردفي (الجزائر)

الفائز الثاني :

● سمر أحمد الحريري (لبنان)

الفائز الثالث :

● أحمد سلي جنق (موريتانيا)

الفائز الرابع :

● بدرية إبراهيم التركي (السعودية)

الفائز الخامس :

● ابن داود أحمد (بلجيكا)

الفائز السادس :

● الحيمر عبد السلام (المغرب)

الفائز السابع :

● جلول جلجلي (انجلترا)

الفائز الثامن :

● محمد محمود جرادات (الأردن)

الفائز التاسع :

● بناني اسيت (فرنسا)

الفائز العاشر :

● عبلة يعقوب محمد زقوت (الإمارات العربية المتحدة)

مسابقة الأمة

الجوائز

● **الفائز الأول**

خمسمائة ريَال قطَري

● **الفائز الثاني**

ثلاثمائة ريَال قطري

● **الفائز الثالث**

مائتا ريَال قطَري

● **الفائز الرابع حتى العاشر**

اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■

مجلة الأمَّة

ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :

مسابقة الأمة

ورقم العدد

مسابقة العدد ٥٧ السنة الخامسة

١ ـ قامـــوس المســـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمـــام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآيـــة التي وردت فيها :

● النسيء	اسم عهد مع الكفار	تأخير تحريم الشهر الحرام	الكفـــر
● المَثُلات	التجارب الماضية	الحسنـــات	العقوبات
● واصبـــاً	دائمـــاً	الجزاء والحســـاب	قائمـــاً
● السَّموم	اسم لمكان قديم	ريح حارة تهب بالنهار	النار الضعيفة
● العِهن	الصوف المصبوغ	الرمال المتطايرة	الأحجار غير الصلبة

٢ ـ لفاطمة أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما دور في إسلامه ، حين دخل عمر عليها ، كانت تقرأ القرآن مع زوجها سعيد بن زيد وأحد الصحابة ، فبطش عمر بها وبزوجها ، واختبأ الصحابي ، وعندما رأى عمر بن الخطاب الدم يسيل على وجه أخته ، لان قلبه وندم ، وطلب منها أن يقرأ ما كان معهم من الصحيفة المدون فيها القرآن ، لكن فاطمة اشترطت عليه شرطاً قبل أن يقرأ الصحيفة ..

ما هـــو هذا الشرط ؟ ومن هو الصحابي الذي كان معهما ؟

٣ ـ مـــن هـــو ؟ :

- ● اسلم مع سبعة عرفوا بفرسان مزينة ، وقد اقبلوا على رسول الله ﷺ كوكبةً من الفرسان .
- ● ولاه سعد بن ابي وقّاص رضي الله عنه فتح « جنديسابور » فانتصر فيها على الفرس ، ثم قاد الجيوش مرة أخرى إلى « كسكر » وانتصر ، وولاه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إمارتها ، لكنه عاف الحياة الهادئة وأرسل إلى الخليفة يطلب منه ان يبعثه جندياً في جيش من جيوش المسلمين .
- ● ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيادة جيش المسلمين إلى « نهاوند » وقال : (والله لأولِّيَن رجلاً يكون أول الأسنّة إذا لقيها غداً) .
- ● قال قبل استشهاده في « نهاوند » : (اللهم أعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل ... ... (وسمى نفسه) أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك .. اللهم إني أسالك أن تقر عيني بفتح يكون فيه عزّ الإسلام ، واقبضني شهيداً) وكبّر ثلاثاً ثم هجم في مقدمة الجيش .
- ● قال عبد الله بن مسعود بعد أن نعاه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما : (إن للإيمان بيوتاً ، وللنفاق بيوتاً ، وإن من بيوت الإيمان بيت ... ...) .

٤ ـ مـــن القائـــل ؟ :

قـومـوا انظـروا القَسَّامَ يُشْـ.........ـرِقُ نـورُه فـوقَ الصُـرودِ
يـوحـي إلـى الـدُنيـا ومـن فيـهـا بـأسـرارِ الخُلـودِ
قـومـوا انظـروا فـرحـانَ فـو ق جبينـه أثـر السُجـودِ
يَمشـي إلـى جَبـل الشَّـهـادَةِ صـائمـاً مشـي الأسـودِ
سبـعـونَ عـامـاً فـي سبيـلِ اللَّـهِ والحَـقِّ التَّليـدِ
خجـل الشبـابُ مـن المشيـبِ بـل السنـونَ مـن الـعقـود

٥ ـ مؤلـــف وكتـــاب :

[المؤلـــف] :

- ● ولد بالمدينـــة المنورة عام (٩٣هـ) .
- ● تلقى العلم عن « ربيعة الرأي » ، وأخذ عن كبار الفقهاء من التابعين ، وسمع كثيراً من « الزهري » ، كما سمع من نافع مولى ابن عمر ، واشتهر بالرواية عنه حتى أصبحت روايته تسمى في عرف بعض المحدّثين بالسلسلة الذهبية ، وهي (... عن نافع عن ابن عمر) .
- ● عرف بلقب عالم المدينة وإمام دار الهجـــرة .
- ● تكونت أصول مذهبه من الكتاب والسنّة والإجماع والقياس ، وعمل أهل المدينة والمصالح المرسلة .

[الكتـــاب] :

- ● سمعه من مؤلفه أشهر الأئمة كالأوزاعي والشافعي ومحمد بن الحسن .
- ● مُبَوَّب على أبواب العلم المختلفة ، وفي كل باب يذكر ما جاء فيه من الحديث ثم من الآثار عن الصحابة والتابعين ، وأحياناً يفسر كلمات الحديث .
- ● بلغت رواياته حوالي ثلاثين رواية ، اختصره كثيرون ، وشرحه محدّثون .
- ● يعدّ أقدم كتاب مؤلَّف في الحديث النبوي ، من مؤلفات السلف في القرن الثاني .
- ● قال الشافعي عنه : (ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب ... ...) .

٦ ـ المـاء من النعم الكبرى التي أنعم الله بها على الإنسان وسائر المخلوقات ، فهو أصل الحياة ، وهو مكون ـ علمياً ـ من غازين : الهيدروجين والأكسجين ، وله ثلاثة أحوال : الصلابة والسيولة والغازية ، وفوائده لا تنتهي عند الإنسان والحيوان .

وفي الصحراء يعزّ الماء ، لكن الإنسان يدبر وسائل تخزينه ، أما الجمل سفينة الصحراء ـ فإنّ القدرة الإلهية الرحيمة منحته ثلاثة أماكن في جسمه يختزن فيها الماء على صورة جدائل كالحبال .. ما هي هذه الأماكن الثلاثة ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

□ أين الخلل ؟ السنن في القرآن الكريم
السيدة حنان لحام

□ الأدب الإسلامي وقضية الإبداع
الدكتور نجيب الكيلاني

□ (دعوة إلى كسر الحواجز) عن الشيخ بديع الزمان النورسي رحمه الله
الدكتور عماد الدين خليل

□ السيرة النبوية بين الرؤية العاطفية والرؤية التاريخية
رمضـان الحسنين

□ (عـالـم وكتـاب) :
ابن جرير الطبري وكتابه « جامع البيان في تفسير القرآن »
خالد بن جدية

□ النظرة السياسية وأبعاد الضغوط الخفية
أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

□ أدب البحث العلمي عند الإمام الشوكاني
الدكتور سعيد إسماعيل علي

□ كليات الإلهيات في تركيا ... الدور المطلوب لمؤسسات التعليم في مجال التربية الإسلامية
(استطـلاع مصـور)

خواطر وأفكار

جلال التفصيل القرآني

□□ ليس عجيباً أن تنزع بعض الدراسات القرآنية المعاصرة إلى تأكيد وحدة الموضوع في دراسة جوانب النص القرآني بشكل لم يتعرض له القدامى من بعيد أو قريب باستثناء بعض الإبداعات النادرة والمهمة التي جاءت على أيدي أفذاذ من العلماء القلائل أمثال : ابن زياد النيسابوري ، والفخر الرازي ، وبرهان الدين البقاعي . ويبدو أن هذا المنزع جاء نتيجة طبيعية لاتساع آفاق المعارف والعلوم التي فتحت البصائر أمام أفهام جديدة لكتاب الله تصديقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

مفهوم الوحدة الموضوعية :

وإبراز وحدة الموضوع في بنية الصرح القرآني العظيم إنما تعني في مفهومها الشامل أن جميع موضوعات القرآن تكوّن فيما بينها نسيجاً محكماً لا يمكن لجميع تقنيات وأجهزة العلم الحديث أن تحيط بأحكامه وأسراره كاملة ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾ (الكهف : ١٠٩) أما المفهوم الطبيعي لمصطلح الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم فإنما يعني أن كل موضوع ذُكر موزعاً ومتناثراً على مختلف السُور يكون عند الجمع وحدة متكاملة لا تنافر فيها .

أسرار التنزيل القرآني وإعجازه

ومن المعلوم أن الله تبارك وتعالى أنزل كتابه مفرقاً منجماً لحكمٍ وأسرار عظيمة أهمها ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ (الإسراء : ١٠٦) .

يقول الإمام الواحدي في شرح هذه الآية في كتابه أسباب النزول : « فرّق الله تنزيل القرآن فكان بين أوّله وآخره عشرون أو نحو عشرين سنة أنزله قرآناً عظيماً وذكراً حكيماً وحبلاً ممدوداً وعهداً معهوداً وظلاً عميماً وصراطاً مستقيماً فيه معجزات باهرة وآيات ظاهرة وحجج صادقة ودلالات ناطقة ، دحض به حجج المبطلين ، وردَّ به كيد الكائدين ، وأيَّد به الإسلام والدين .. » فإذا كان استغراق هذا الزمن كافياً لإقامة دعائم العقيدة والشريعة في بيئتي مكة والمدينة باكتمال عناصر الدين وهديه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (المائدة : ٣) فإن ترتيب آيات النزول ضمن سور القرآن المعلومة لدينا اليوم آخذة بأعناق بعضها يعتبر من الوجهة المنطقية أروع شكل للإعجاز والشمول إذ لا يمكن للعقل أن يستوعب إمكانية القدرة على تنسيق كتاب تتنزل موضوعاته متفرقة على امتداد أكثر من عشرين سنة ثم تجمَّع ثانية متسلسلة في صورة جديدة ضمن سور ووحدات فكرية تقرؤها فلا تحس بأي انخرام أو تفكك في مجالي المبنى والمعنى .

إن هذا الأمر المدهش يمر به القارىء العادي دون اهتزاز يذكر رغم أن القرآن يلفت أنظارنا مصرحاً : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس : ٣٧) □□

محمد بدر الدين [بن حسن]

صدر:

كتاب
الأمّة
Al Ummah

١٠

التراث و المعاصرة

الدكتور أكرم ضياء العمري

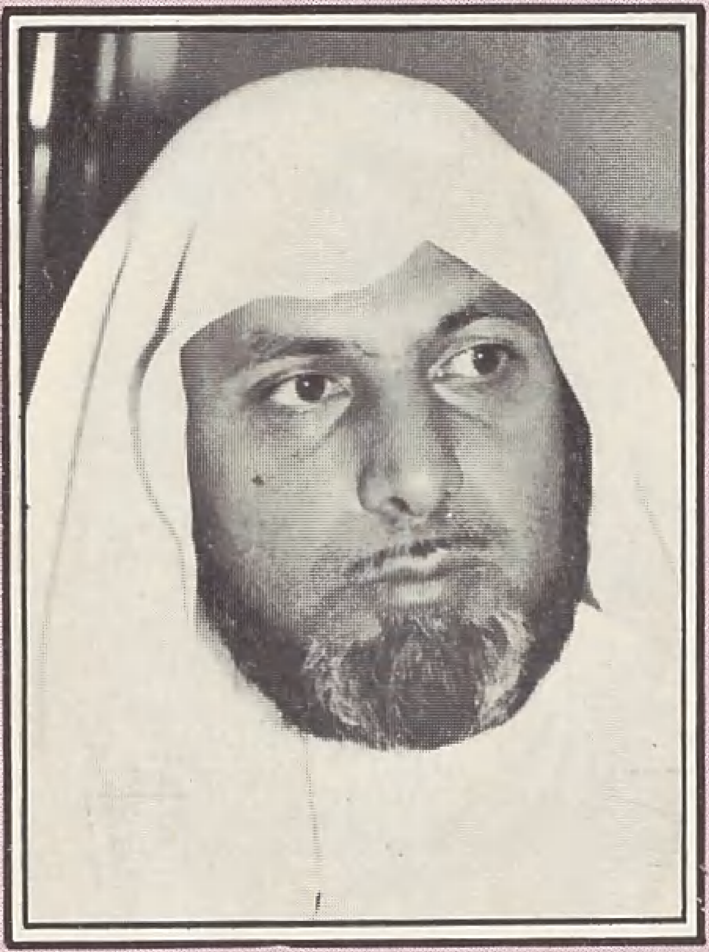

■ يمكن للجامعات الإسلامية ان تؤدي دوراً كبيراً في تحديد ملامح المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والحفاظ على تميزها ووحدتها وتجانسها الروحي والفكري والعلمي، وتكاملها الجغرافي والاقتصادي، ويمكن ان تبرز على الصعيد العالمي كتلة قوية متضامنة لتؤثر في واقع العالم المعاصر ■

■ إن الثقافة الإسلامية تمر بازمة قوية تتمثل في غياب حركة النقد الواعية التي تحكم على الاعمال الفكرية والادبية، مما ادى إلى فوضى فكرية تتمثل في ضياع مقاييس التقويم، وكثرة التكرار في الأشكال والمضامين، وغلبة السطو الادبي من «الجدد» على «القدامى» ومن «المبتدئين» على «الراسخين» ■

■ إن تراكم المعرفة يحتاج إلى تخطيط بحيث يبني اللاحق على السابق، ويضيف المتاخر على المتقدم، وبذلك تتراكم المعرفة ويحصل التقدم العلمي. ومن اجل ذلك لابد من وضع استراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية من اجل نموها ولحاقها بالفكر المعاصر من حيث تناول مشاكل الحياة المعاصرة بشمول وعمق وإبداع وابتكار، ويحتاج ذلك إلى رسم المسارات، وتحديد الأهداف، وتجنيد الوسائل ■

■ قضية التراث نفسها لم تنج من آثار الغزو الفكري فقد طرحت احياناً بمنظار غربي بحيث احتل الفلكلور الشعبي مساحة واسعة مما حوّله إلى نمط من المتعة والثقافة التي اضافها الغربيون انفسهم إلى انواع الترف الفكري الذي يعيشونه بعد ان حققوا احلامهم بالثروة والسيطرة على عالم اليوم ■

يطلب من وكلاء توزيع الأمّة في العالم

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٥٧ السنة الخامسة رمضان ١٤٠٥هـ